

ديوان من دواوين

عباس محمود العقاد



ديوان من دواوين

ديوان من دواوين

تأليف

عباس محمود العقاد

المحتويات

٧	بين يدي القراء
٩	خواطر وتأملات
٤٥	صفات وأشباهُ
٦٣	مناجاة
١٠٧	مترجمات
١١٣	حديقة الحيوان
١٣٣	قصص وأماثيل
١٦٧	ترجمة شيطان
١٨٣	قوميات
١٩٧	تقدير
٢١١	تأبين
٢٣٧	رثاء وعزاء
٢٥١	متفرقات
٢٧١	مقدمات ما تقدم

بين يدي القراء

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها؛ لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم، وهي: يقظة الصباح، ووهج الظهيرة، وأشباح الأصيل، وأشجان الليل، ووحى الأربعين، وهدية الكروان، وعابر سبيل، وأعاصير مغرب، وبعد الأعاصير، وما يلي من شعر نظم بعد صدور هذا الديوان الأخير.

وقد نفذت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفذت في حينها، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعاً إلا القليل، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعاً ويطلبون إرسالها إليهم، وبخاصة قراء البلاد العربية التي لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها في بعض العهود، فترددنا بين طبعها في مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة، وكلاهما لا يغني في تيسير المطلوب منها، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن، فأثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التي تنوب عن شعر الدواوين جميعاً إلى حين، وتتم أبواب الشعر في جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء.

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاذ هذه الدواوين؛ لأننا نستفيد منه ميزاناً من موازين الأدب في عمومه، وميزاناً من موازين الشعر على الخصوص، وميزاناً من موازين الشعر في عصرنا هذا على الأخص، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان وإلى بيان. فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال.

وأصدق ما يكون ذلك الميزان في دلالته على القول الأخير في نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوبه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوي الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التي تسوغ ما ليس بالسائغ في موازين النقد والتميز.

وبين يدي هذا المرجع الأمين، بل هذا الموئل القرير الذي لا نرتضي لكلام نقوله موئلاً سواه، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعاً من قبل، شاكرين ذاكرين.

عباس محمود العقاد

خواطر وتأملات

النور

(... إلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلًا عن الفلاسفة والمتصوفة؟
ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط
لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب.)

النُّورُ سِرُّ النَّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الْحَيَاةِ
النُّورُ وَحْيُ الصَّلَاةِ	النُّورُ وَحْيُ النُّهْيِ
النُّورُ شَوْقُ الْفَتَاةِ	النُّورُ شَوْقُ الْفَتَى
لمح العيون الخَوَاةُ	ألمحه بالروح لا
معناه إلا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهُدَاةُ!	هذا سبيلُ الهدى

إلى غاندي

حين أعلن الصيام

وتقضي بها جوعًا وما عَزَّ مَأْكُلُ!	أتيت إلى الدنيا العريضة عاريًا
على أي شيء بعد موتك تُقْبَلُ	تركت لهم حتى الطعام فقل لنا

إذا اليؤس والحرمان كان شفاعة
لعالملك الأعلى فما هو أفضل
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمة
لمن يطلب النعمة فبئس المعول

الوجه الفيلسوف

أرى لك أنت فلسفة صراحًا
أدُم العيش في ألفي كتاب
إذا ما الفيلسوف أطال سخطي
غنيت عن الأدلة والأحاجي
بلمح العين أقرأها جميعا
وتعرض لي فأمدحه سريعا
على لؤم الحياة فكن شفيعا
ومن حاجاك لم يكُ مستطيعا

القدر يشكو

صغيرٌ يطب الكبرًا
وخالٍ يشتهي عملاً
ورب المال في تعب
ويشقى المرء منهزماً
ولا يرضى بلا عَقِبٍ
ويبغي المجد في لهفٍ
ويخمد إن سلا فإذا
فهل حاروا مع الأقدار
شكاة ما لها حَكْمٌ
وشيخٌ ودَّ لو صغرا
وذو عمل به ضجرا
وفي تعب من افتقرا
ولا يرتاح منتصرا
فإن يُعَقَّب فلا وزرا
فإن يظفر به فترا
تولَّه قلبه زفرا
ر أو هم حَيَّرُوا القدرًا؟
سوى الخصمين إن حضرا

الحمد المعكوس

يا رَبِّ حمدٍ لم ينله الذي
وربَّ هجوٍ طاف بي لم يكن
قد ناله إلا لهجوي أنا
يطوف بي لو لم أكن محسنا

عدل الموازين

إننا نريد إذا ما الظلم حاق بنا
عدل الموازين ظلمٌ حين تنصبها
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت
عدل الأناسي لا عدل الموازين
على المساواة بين الحر والدون
بين الحلي وأحجار الطواحين

الخبز والفقير

أحسب الخبز لو درى لتأبى
إنما تُسَلِّسُ الطَّلَابُ جميعًا
في يد الجائع الفقير إليه
لامرئٍ هانتِ الطَّلَابُ عليه

شطور

دليل على أن الكمال محرَّم
فما المرء في جسم وروح بكاملٍ
إنّا خلقن بيننا وذكور
ولكنَّ كل العالمين شطور

الآمال

كانت الآمال تحملني
إن أحلامًا تعللني
فأراني اليوم أحملها
غير أحلام أعللها

يوم ميلادي

يوم ميلادي تَقَدَّمَ
لا تقل لي قبل عام
لا تقل لي بعد عمري
غاية الأمر أظانين
سوف نمسي مثلما كنـ
إن يكن ذلك شيئاً
أو يكن ليس بشيءٍ
أية الحالين قل لي
تظلمُ الموتَ إذا قلـ
نحن لا بالموت أُعطيـ
من يَعدُّ يوماً كما
صفقة الأعمار فيها
وتَأخَّرُ ... وتَكَلَّمُ
كيف كنا أنا أعلمُ
كيف نمسي لست تعلمُ
وبعض الظن يأثمُ
ننا ولم نولد ونفطمُ
لست بعد الموت أعدمُ
أترى «لا شيء» يندمُ؟
بعد طول العمر أسلمُ؟
ست ظلومٌ ليس يرحمُ
ننا ولا بالموت نُحرمُ
ن فقد تم وتَمَمُ
قلَّةُ الخسران مَغْنَمُ

رجاء كاليأس

أنا لم أياس من الخير ولا
أنا أغنيت يدي عن خيرهم
فليكن من شاء منهم ملكاً
كلهم بعدُ سواءٌ عند من
أحسب الشر على الناس لزاما
وأمنت الشر من حيث ترامى
أو يكن جنأً على الكيد أقاما
لا يدين الناس شكراً وانتقاما

الحب إعطاء

لا تطلبِ الحبَّ بين الناس تأخذه
أشقى البرية من لم يعنه أحدُ
بل فاطلب الحب تعطي منهما تجدُ
وليس من كان لا يُعْنَى به أحدُ

موضع العجب

لا تعجبَنَّ لعييب واعجب لفضلٍ ونبل
نقص الطبائع أصلُ والفضل ليس بأصل

أغلب الظن

أنا شيءٌ فكيف أصبح لا شيءُ ء إذا تمَّ للحياة مداها؟
أغلب الظن أنني سوف أرقى غايةً بعدها تفوق ذراها

موت الحي

أعجب من حياة الميت

فيمَ عشنا وغايةَ العيش موتُ؟ فيمَ متنا وغاية الموت بُقيا؟
أعجب الحاليتين عندي حيُّ سوف يفنى لا ميتٌ سوف يحيا

زمان الذرة

دعوا الذرةَ تطغى في زمانٍ يعبد الذرةَ
صغيرٌ كل ما في الأر ض من جاءٍ ومن شهرة
ومن خير ومن شرَّ ومن رأيٍ ومن فكره
فلو قيسوا بلا جسمٍ لما ضاقت بهم إبره

هذا وهذا وهذا

قلت لعمرو: خانني خالد
أبلغتها زيّدًا فما زادني
ناجيتهم سرًّا وبني خيفة
ثق من خيانات بني آدم
لا تشكُّ هذا عند هذا ففي
كُلِّ بني الدنيا ومن بينهم
وخانني عمرو فماذا أقول؟
عن صاحبيه فاحتواني الدهول
مِمَّنْ أناجيه ففيه فضول
إذن وقل أنتم ثقاتُ عدول
هذا وهذا عنصرٌ لا يحول
أنت فروع جمعتها الأصول

ميثاق الأمم

أجيبوا صيحة الدنيا وهبوا
توافقت الشعوبُ على رجاءٍ
ولا تصغوا إلى من قال دعوى
هبوهم خادعين فهل رأيتم
إذا الأقوامُ جدًّا بها هواها
ولو لم تصب دنياكم لسلم
ولبوا داعي الميثاق لبوا
فلا ينكل عن الميدان شعبُ
يروّج أمرها باغٍ وخبُّ
مخادعة بشيء لا يُحبُّ؟
إلى حقٍّ فما في الحق صعبُ
لما خدعت به من حيث تصبو

تهنئة بمولد

مهنئي أنت يا صديقي
أنسيتني أنه غروب
تسعُ وخمسون في طريق
أسائلُ الركب أين يمضي
لا أنا أدري ولا رفاقي
بمولدي طُبَّتْ من صديقٍ
ساعة هنأت بالشروق
لم أدري ما وجهة الطريق
وكلهم ها هنا رفيقي
يدرون بالموعد الوثيق

من محدّث فيه أو عتيق	ركبٌ عجيبٌ بلا دليل
ألي المطايا إلى فريق	إذا مضى منهم فريقٌ
في مشرع سار أو مضيق	وكلهم يبتغي مسيراً
وليس للمهل بالمطيق	يطيق طول السفار عدواً
هنا على موقفٍ عميق	إخالنا كلنا وقوفاً
مقترن السبق بالحق	في أبدٍ لا زمانٍ فيه
من طارق الليل في الطروق	أقرب من يومنا وأوفى
كالظل من ستره الرقيق	يكاد لولا الحجاب يبدو
والسرُّ في موضعٍ سحيق؟	أنعصب العين حول سرِّ

حشرات

خُلِقَ زائفاً وجهلاً مبيناً	ما وجَدْنَا مِنَ البريةِ إلا
وفيها الهلاكُ للعارفينَا	حشراتٌ لا تعرفُ الخيرَ والشرَّ

ألمُ اللذةِ ولذّةُ الألمِ

تنام إذا طال الصياح على النَّهْمِ	إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها
وفي طاعة اللذات شيء من الألم	وقهر الفتى آلامه فيه لذةٌ

الحياة حياة

قلنا فأين الصميم؟	قالوا الحياة قشورٌ
نعم فأين النعيم؟	قالوا شقاءً فقلنا
ففارقوا أو أقيموا	إن الحياة حياةٌ

المجد والفاقة

على المراقب يمناه بيسراه
ونسوة نسيت ما ليس تنساه
بل البلاء بلاء الخلق ننعاه
وأنفس الخبز في مصر وأعلاه
إذا الفقير طلاب القوت أعياه
ويبلغ المجد فيها مَنْ توخاه؟
عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
في العجز لا في اقتسام الرزق أشباه؟
في باطن الأرض أو زادت خباياه
كالإثم يأبى العفيف الذيل رؤياه
ذلّ الفقير سعوا في كشف بلواه
بالمال يدرون في الدنيا مزاياه

ضلّ الصواب وغمّ الأمر واشتبهت
شيبَ عِراءَ وأطفالَ مُجَوَّعة
ليس البلاء بلاء القوت نندبُه
ما أبخس الروح في مصر وأرخصها
لا تحسبوا أمة يعلو أعاضمها
أيرزح القوت في أرض بطالبه
هبكم قسوتكم على من ذنبه كسل
ما بال مَنْ ذنبه يا قوم أنكم
دفنتم المال أكاماً فهل نبتت
إن العزيز ليأبى الذلّ يلّمحه
وَأَ لهفَ نفسي على قوم إذا نظروا
وَأَلفَ لهفٍ على قوم إذا شغفوا

الوجوه الكاذبة

كذّابة لا تحسن التمويها
لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

سُحْقاً لهاتيك الوجوه فإنها
حسنت ولو نقلت صفات نفوسها

إلى السعادة

فما أنا من رجالك
بالسعي خلف خيالك
مللت طول سؤالك

مه يا سعادة عني
لا تطمعي اليوم مني
فقد سألتك حتى

وقد جهلتك لَمَّا	سحرتني بجمال
إن الحبيب بغيضٌ	إذا استعز بخال
فلا تمرِّي ببالي	ولا أمرٌ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ	مُعَلَّقٌ بحبالك

اللؤم سلاح

يسر صديقي أن يراني مُبرأً	من اللؤم موسومًا بكُلِّ سماح
كما سرَّ خصمًا أن يراك أمامه	تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للئيم وجُنَّةٌ	من الناس والدنيا مجال كفاح
فَوَاهَا لنفسي في المجال مجرَّدًا	أضعت مجني بينهم ورماحي

العقل والجنون

ليس بين الجنون والعقل إلا	خطوتا سائر فحاذِرْ وأمسك
أول الخطوتين نسيانك النا	سَ وأما الأخرى فنسيان نفسك

الرجاء

ما للرجاء كأنه نغمٌ	يدنو فأسمعه فيبتعدُ
يا ضاحكًا للناس يخدعهم	هلاً وفيت لهم بما تعدُ
لو نال منك الناس أجمعهم	فوق المرام لأمكن المددُ
لكنْ بخلتَ فما يزال لهم	شوقٌ إلى شوق وإن جهدوا
وردوا إليك فكان أظمأهم	قلبًا على شطيك من وردوا

حظ الشعراء

وطيرٌ ولكنَّ الجدودَ قعودُ
 بعيدٌ وأقطار السماء بعيدا
 راحة هذا العيش وهو رغيد
 تدوم لهم أحلامهم وتجد
 وما أنصفتهم صحبة وجدود
 فينظم منها جوهرٌ وعقود
 غبين وغبن الشاعرين شديد
 محبٌ عليها من حلاه نضود
 ومهما تردُّ في العيش فهو يريد
 خليٌّ ويُزوى عن هواه عميد
 يذاد عن الدنيا وليس يذود
 به عَمَهُ عن نفسه وشروود
 وحمقٌ وقلبٌ ذائبٌ وجمود
 هي النار تخبو ساعة وتعود
 ولكنه بين الأنام فقيد
 فإنَّ مدَّ بالكفين فهو طريد
 وأدنى مُناه في الممات خلود
 قديمٌ وماضيه القديم جديد
 وإن مات عاش الدهر وهو شهيد
 وليس له عن حالتيه محيد
 أولو الفهم لو أن الفهوم تفيدُ

ملوكٌ فأما حالهم فعبيدُ
 أقاموا على متن السحاب فأرضهم
 مجانيُّ تاهوا في الخيال فودَّعوا
 وما ساء حظ الحالمين لو أنَّهم
 فوا رحمتا للظالمين نفوسهم
 ويذرون من مس العذاب دموعهم
 بني الأرض كم من شاعرٍ في دياركم
 بني الأرض أولى بالحياة جميلة
 محبٌ تناجيه بأسرار قلبها
 على أنه قد يبلغ السُّؤلَ خاطبُ
 بني الأرض لا تنضوا له السيفَ إنَّه
 أريد به للناس خيرٌ فلم يزل
 تجمَّعت الأضدادُ فيه فحكمةُ
 حُماداه صبرٌ في الحياة وإنما
 مقيمٌ على عرش الطبيعة حاضرُ
 إذا جال بالعينين فالكون بيته
 وأقصى مُناه في الحياة نهاره
 يرى الغيب عن بعدٍ فمقبل عهده
 إذا عاش في بأسائه فهو ميتُ
 شقاوته في الشعر وهو هناؤه
 جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره

عزاء

لا اليأس أول يأس ولا الرجاء بسرمد
فإن تقضى رجاء فإنه يتجدد
أو حلَّ يأس فأهلاً إن الطريق ممهد
شق الطريق قديماً فالعود أهدي وأحمد

إنصاف الظالم

أنصفتَ مظلوماً فأنصفَ ظالماً في ذلة المظلوم عذرُ الظالم
من يرضَ عدواناً عليه يضره شرُّ من العادي عليه الغانم

أحلام الموتى

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقري عبد الرحمن شكري):

ستغرب شمسُ هذا العمر يوماً ويغمضُ ناظري ليلُ الجِمامِ
فهل يسري إلى قبري خيالٌ من الدنيا بأنباء الأنامِ
ويؤنس وحشتي ترجيعُ هامٍ وبألحان المنور والغمامِ
وأحلم بالزواهر دوائرٍ بأحلام كأحلام النيامِ
ألا ليت النيام هناك تحظى فتعبق في نوافحه عظامي
وليت الوردُ يورقُ فوق رمسي عبست لوجهها فوق الرغامِ
وأبسم في أزاهره لدنيا

فأجابني بأبيات يقول منها:

وكان النصفُ أن نرضى بموت فلا طيفُ يساعد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأنًا وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية:

أَبَيْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَ الرِّجَامِ تنير حواشي الموت الزؤام
رضينا بالحمام أصم يحشو منافذ حسه سافي الرغام
رضينا بالحمام كما رضينا بعيش نوره ظلُّ الحمام
خلعت اسمي على الدنيا ورسمي فما أبكي رحيلي أو مقامي
حياتي في حياة الكون طرًّا كقطر الغيث في اللجج الطوامي
وما شمس الحياة بمستحيل سناها إن قضيتُ إلى ظلام
يظل الحسن في المعشوق حسنًا وإن حسرت لحاظ المستهام

ضيق الأمل

شر ما يلقي الفتى أجلُّ ضيقُ عن واسع الأمل
ولشر منهما أملٌ ضيقُ في فسحة الأجل

الشيء من غير معدنه

ليس أضنى لفؤادي من عجوزٍ تتصابى
ودميم يتحالي وعليم يتغابى
وجهولٍ يملأ الأر ض سؤالاً وجواباً

خَفِ العيش

خَفِ العيش فإن الموت
وإن الموت إذ يأتى
ت لا يفجع مولودا
لك لا يلفيك موجودا!

السعادة

إن الشقي الذي لا صنو يشبهه
من شابة الناس سرته مودتهم
فاهناً بمجدك إذ تشقى بعزلته
إن السعادة تحت الأرض معدنها
وللأصاغر أشباه وأمثال
ومن علا عنهم ساءت به الحال
وليحظ بالصفو أوعاد وجهال
لا يطلب السعد من آوته أجيال

زماننا

فَسَتِ الجهالة واستفاض المنكر
والصدق يسري في الظلام ملثماً
إننا لفي زمن كأن كباره
من كل ذي وجه لو أن صفاته
بئس الزمان لقد حسبت هواءه
وكان كل الطيبات يردها
وثب اللئام إلى ذراه فقهقها
ما نيل فيه مطلب إلا له
وبقدر ما بذل امرؤ من قدره
فالحق يهمس والضلالة تجهز
ويسير في الصبح الرياء فيسفر
بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
تندى لكان من الفضيحة يقطر
دنساً وأن بحاره لا تطهر
فيه إلى شر الأمور مدبر
إن القروء لبالتسلق أخبر
ثمن من العرض الوفير مقدر
يجزى فأكبر من تراه الأصغر

صلاح المشيب

أَبْعَدَ الشَّيْبَ تَرْغَبَ فِي الصَّلَاحِ
فَرِغْتَ مِنَ الْحَيَاةِ فَأَنْتِ تَرْجُو
رَجَعْتَ عَنِ الْحَرَامِ وَأَنْتِ عِنْدِي
فَمَا تَقْوَى الشُّيُوخَ سِوَى اضْطِرَارٍ
وَتَزْهَدُ فِي الْمَدَامَةِ وَالْمَلَاكِ؟
حَيَاةً فِي الْفِرَادَيْسِ الْفَسَاحِ
عَجَزْتَ عَنِ الْمَحْرَمِ وَالْمَبَاحِ
كَتَقْوَى اللَّصِّ بَاتَ بِلَا سِلَاحِ

عمر يوم

مِنَ النَّاسِ فَدَمَّ يَوْمُهُ مِثْلَ أَمْسِهِ
تَسْرِبِلَ حِينَئِذٍ بِالْحَيَاةِ فَشَانَهَا
فَأَيَّامُهُ مَا عَاشَ يَوْمٌ مَكْرَرٌ
كَمَا يَلْبَسُ الْخَزَّ الْأَجِيرُ الْمَسْخَرُ

الملام

أَنَا لَا أَلُومُ وَلَا أَلَامُ
لَيْسَ الْعِتَابُ بِمُصْلِحٍ
أَنَا إِنْ غَنَيْتُ مِنَ الْأَنَا
وَإِذَا افْتَقَرْتُ إِلَيْهِمْ
حَسْبِي مِنَ النَّاسِ السَّلَامُ
خِلَالًا تَوَارَثَهُ الْأَنَامُ
مِ فَقَدْ غَنَيْتُ عَنِ الْمَلَامِ
فَاللُّومُ مِنْ لُغُو الْكَلَامِ

الفضل المغموط

إِذَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ فَلَا تَكْ غَابِطًا
لَعَلَّكَ لَا تَرْضَى وَقَدْرَكَ خَامِلٌ
وَأَجْمَلُ أَلَا يَعْرِفُ النَّاسُ فَاضِلًا
جَهُولًا بِلَا فَضْلٍ لَدَيْهِ يُعْظَمُ
بَأَنَّكَ تَغْدُو مِثْلَهُ وَهُوَ مَكْرَمُ
وَيَعْرِفُهُمْ مِنْ أَنْ يَمُوقَ وَيَعْلَمُوا

قانون العظماء

لا تلحَ ذا بأُسٍ وذا همّةٍ
فليس مقياسُك مقياسَهم
والليث لا توثق أعضاده
انظر إلى ما خَلَّفوا بعدهم
لم يخطِ إن داسَ رعوس الوريّ
من ركب الهائل من أمره
على ذنوب العصبية الغلب
ولا هُمُ مثلك في المأرب
حباله تنصب للثعلب
من المعالي ثم لُمُ واعتب
من علقت كفاه بالكوكب
فعدّره في ذلك المركب

مدح الناس

ما عهدنا الأنام أجود بالمد
إنما يظهر الأنام ضئيلاً
ح لأعلامهم لديهم مكانا
ليس يخفيهم إذا هو بانا

حب النفس

ما في الأنام سوى محب وامق
في كل قلب صورةٌ معبودة
لا القبح ينقصه وليس بزائد
عشقٌ تملُكُ كلَّ نفسٍ حيةٍ
سكن الغرام بكل قلب خافق
وكمين وجدٍ بالجوانح عالق
حسن الشمائل في هواه الصادق
في الكون والمعشوق عينُ العاشق

كنت فصرت

كأس الحياة أعلّيني على ظمأ
وأسكريني حتى لا يكون ردى
وفتشي في زوايا القلب فاقتدحي
وبللي بالحُميا طين صلصالي
إلا كما غاب حسُّ بعد جريال
ظناً بظن وبلبالاً ببلبال

إني حسبت حياتي غير واحدة من التغير من حالٍ إلى حال
... .. من التغير من حالٍ إلى حال

* * *

إن الحياةَ حياةً كيفما اختلفت ألوانها من مسراتٍ وأوجال
كم ذا أهبت بروحي أن تفارقني ورحت أجفل منها أي إجفال
فالأَن أنشد ألامي وأحمدُها كيما أحس بروحي بين أوصالي

الغنى والسعادة

لا تحسدن غنيًا في تنعمه قد يكثر المال مقرونًا به الكدرُ
تصفو العيونُ إذا قَلَّتْ موارِدُها والماء عند ازدياد النيل يعتكرُ

يا كتبي

يا كتبي أشكو ولا أغضب ما أنت من يسمع أو يُعتَبُ
يا كتبي أورثتني حسرة هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتبي ألبست جلدي الضنى لم يغن عني جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها سهران حتى أدبر الكوكب
كأنني ألمح تحت الدجى جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إما غارق في الكرى أو غارق في كأسه يشرب
أو عاشقٌ وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادرٌ يحلم في ليله بيومه الماضي وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتني وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المني وخبرة صاحبها متعب
إذا أراني النور قبحًا فيا حسن الذي يضره الغيب

يا كتبي أين ترى المنتأى
أنفقت مني ما يضمنُ الورى
من ضوء عيني ومن صحتي
ومن شبابٍ فيك ضيعته
لو كنت كالجبار في نقمتي
في ذمة الطرس وفي حفظه
لا رحم الرحمنُ فيمن مضى
عن أسر أرواحك والمهرب
به على الله ولم يذنبوا
سدى ومن وقتي وما أكسب
فما أنا إلا الفتى الأشيب
لكان في النار لها معطب
عمرٌ تقضى شطره الأطيب
من علّم العالم أن يكتبوا

الشيب الباكر

ما أقبل الليل حتى طرت بالقمم
وما انقضى شفق الأيام عن عُمرِي
لو كنت تحسب أيامي لما خطرت
دون الثلاثين تعروني وما انصرمت
مرّت بقادمتي نسرٍ مولية
وما اعتدادك بالأيام تحسبها
إذا أَلَمّا بإنسان صحبتهما
ما أنت طارق دارٍ لا رفيق بها
قد شبتُ والشعر مسودٌ فما عجبِي
ما كان مسود شعري وهو مشتملٌ
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجلٌ
إذا أدكرت شبابًا في النعيم مضى
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني
يا شيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها
من لا يبالي أفجرُ أنت تنذره
يا مرحبًا بصباحٍ ليس يسلبني

يا صبحُ جرتَ على الظلماء في القَسَمِ
فكيف لحت بفجر منك متهم؟
يداك يا شيب في مسوِّدة اللَّمم
إلا كما تنقضي الأعوام في الحُلُم!
وكنْتَ أعهد فيها ثقله الرحم
وإنما أنت خدن الويل والألم؟
فانزل فقد نزل في أعظمي ودمي
ولست مُهرِمَ قلبٍ ليس بالهرم
من واضح الشيب بعد الشيب في القتم
عليك إلا كجلباب من الكتم
دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
لم يدكر من شباب كان أو نعم
إن لم تشب أبدًا كفي ولا قدمي
كلا ولا شيم الفتيان من شيمي
فانزل بلا ضائق بالشيب أو برم
بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
صفواً وبُعْدًا لليلٍ فيه لم أنم

إيه يا دهر

إيه يا دهر هات ما شئت وانظر
ما تعسفت في بلائك إلا
عزمات الرجال كيف تكون
هان بالصبر منه ما لا يهون

الخداع القاتل

إلام تخذعني عيني وما انخدعت
جربت كل خليل في مودته
أكلما ضاء لي نجم فأتبعه
أكلما قلت هذا جوهراً نطق
أكلما لاح لي صيد فأحسبه
أكلما قلت هذا كوثر خضر
ويلاه ما أحقر الدنيا وأبغضها
عز الكمال على خلق الخيال فما
نفسى ولكنها تهفو مع البصر؟
فما جمعت يدي إلا على صفر
خبا الضياء فلم أبصر سوى كدر؟
عليه دون بناني خسة الحجر
صيد الأسود إذا الجرذان في الأثر
تجمع الصاب لي في الكوثر الخضر
لم ينح أحسن ما فيها من القدر
طماعة المرء أن يلقاه في البشر!

الهداية

كم في السماء نجوم
وأنت في الأرض تبغي
ضلت سواء السبيل
هدياً بغير دليل

سحر الدنيا

سحر دنياك يا أخي قديم
أفيمضي بسحرها كاهن ما
أفيمضي بسحرها كاهن ما
سوف يبقى ويذهب الكهان
ت وفيها الشموس والأغصان؟
ت وفيها الثغور والأجفان؟

أفيمضي بسحرها كاهنٌ ما	تَ وفيها الألحان والألوان؟
كاهن الأولين أول مسحو	ر وفي كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا	م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا	مت عليها الحياة والإنسان

فلسفة حياة

الغرام الملك والملك الضياعُ	هات لي الحسن الذي ليس يضيعُ
ليلة قمراء أو سحر سماعُ	أو قصيدًا راق أو زهر ربيع
قال قومُ زينة الدنيا خداعُ	قلت خيرٌ بالذي نشري نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ	أنا أنعاهها ولكن لا أصومُ
طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ	أنا أراعاهها ولكن لا أهيمُ
بين هذين لنا حد قوامُ	وليُلم من كل حزبٍ من يلومُ

* * *

أيها السائل: ما بعد المماتُ	يمم الصحراء وانظر قفرها
ما وراء القبر في قول الثقافتُ	حالةُ تحمد يومًا سرها
لست بالراضي حياةً كالحياةُ	لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

يعبد الأقوام ما يخشونه	وأنا أعبد ما لست أخاف
ليس ينسى الله من ينسونه	فعلام البحث فيه والخلاف؟
إن وصلتكم أو وقفتكم دونه	لم يقف دون مقامٍ أو مطاف

* * *

شرعك الحسن فما لا يحسن	فهو لا يحلو وإن حل الحرام
------------------------	---------------------------

ليس في الحق أثامٌ بيِّن
ما عدا هذين مما يمكن
غير مسخ الحسن أو نقص التمام
فاستبحه وعلى الدنيا السلام

إنذار الغضب

إلى الحق المحتجب

يا حقَّ لا تبرحُ خباءكُ
فيم الإباء ولم نكن
فالزم مكانك في الثرى
ما الروضة الغناء ذا
والحسن عند المبطـلـ
ما فاز من يرجو رجا
أنا إن سلوتُك لم أكد
يا حق هذا حدُّنا
إن جئتنا طوعاً فجئ
أتعبتنا سعياً وراءك
يا حق إلا أصدقاءك
إن شئت أو فالزم سماءك
بلّة إذا حرمت ضيائك
ين وعند من يهوى عداك
لك في الحياة ولا نساءك
أشتاق ما يغني غناءك
فاختر ظهورك أو خفاءك
أو لا فلا تبرح خباءك

كل ما فيها امرأة

أيما لفظة جرت
تبتغي الزوج من فئه
ليس بالجسم وحده
من فم المرأة امرأة
والأخلاء من فئه
يعرف الجنس منشأه

المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرجى
فإذا أنكروا قبيحاً ففي القبر
ذاك لب اللباب في كل شيء
من بنيتها قبوله واعتقاده
ح من الموت لونه أو شعاره
شطّ بالفكر أو تدانى مزاره

حكمة التوائم

حكيمٌ ذلك التوأم
تهيب أرضهم فرداً
ولو جاء بجيشٍ كا
ومن آبائه أحزم
فجاء بصاحب ملزم!
ن في تدبيره أحكم

على بحر الحياة

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى
لقد كانت الأجيال عندي قريبة
نظرتُ إلى عُليا الحياةِ أرودها
فأليت أقضيها كمن راح طافياً
فإن شئت قل هذا غريقٌ وإن تشأ
إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى؟
فقد عادت الساعات توسعني ثقلاً
فألقيتها صفرًا ولم أحمد السفلى
على اليمّ لم يضرب يدًا فيه أو رجلاً
فقل سابحٌ لم يدرٍ أقبل أم ولّى

نقمة في نعمة

نعمة الإحساس ما برحت
لا يحسُّ الفقد فاقدها
نعمة في طيها نقم
ونصيب الوجد الألم

رعونة الحياة

فيم اقتحام جنينٍ واهنٍ عَطُلٍ أرضاً أبوه بها حيرانٍ مهمومٍ
هي الرعونة في طبع الحياة ثَوَتْ وإنما حِكْمَةُ الأَقْوامِ تعلِيمُ

بنية قوية

تعاقب السوس والجراد وما باد ربيعٌ ولا انطوى شجر
فلا تخفُ آفةٌ ولا غَيْرًا يُمنى بها في الضمائر البشر
دنياك هذي قويةٌ صمدت لكل شر جرى به القدر

ما فوق الحياة

يا طالباً فوق الحياة مدى له يعلو عليها، هل بلغت مداها؟
ما في خيالك صورةٌ تشاقها إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتها كفوًا لعينك لا تروم سواها

على الشاطئ

وردوا البحر فأهلاً بهم يا بحر أهلاً
أنت لا تحفل منهم من ولى أو من تولّى

* * *

نزلوا شطك غيداً وشباباً ومشيباً
طلبوا في الماء برداً فذكا الماء لهيباً

* * *

وردوا البحر عطاشاً رشفوه غرفوه!
لو يكون البحر بحرًا من سرورِ نزفوه

* * *

المساكين يريدو ن من الدنيا اتساعا
اخذعوها فهي لا تو سعكم إلا خداعا

* * *

وإذا لاحت بوجه يملأ الأبصار رعبا
فاضحكوا منها وقولوا ما أُحْيَى ما أحبا!

* * *

وإن مدّت إليكم بيد فيها الحمام
فخذوا الموت وقولوا هو خلدٌ وسلام!

نصف رغيف

عجبي للحياة أشرف ما تحـ ويه وقفٌ على الحقيـر الطفيف
صفحات السماء والأرض طرّاً والمعاني من تالـدٍ وطريف
والوجوه التي تشوقك حسنًا تنطوي إن فقدت نصف رغيف

ذات وجوه

وجوه حياتنا متعدداً ودع عنك البراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحاً فقد تنعي دمامتها مساءً

ضلال الخلود

كان في الأرض قبل عشرين ألفاً	من سني الأرض شاعرٌ عبقرِيٌّ
كان لا شك فيه عندي ولا مِـ	ن وإن شك جاحدٌ وغبي
نظم الشعر في الحسان وحيّـ	قبلة الشمس وهو داع شجي
ليت لي من قصيده بيت شعرٍ	في ثنايا البلاد يرويه حي
ليت لي من قصيده فرد بيتٍ	صح أم لم يصح منه الروي
اشترى بيته بديوان شعبـ	ين فأين المساوم الصيرفي؟!
ضلة للخلود نأسى عليه	أُخلدُ الخالدين فينا دَعِي!

أصداء الشارع

بنو جرجا ينادو	ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألـو	ك تعريباً وتتركـا
وبتراكي إلى الجو	د على الإسلام يدعوكـا
وفي كفيه أوراقٌ	بكسب المال تغريكـا
وأقزامٌ من الياـبا	ن بالفصحى تحييكـا
وإن لا تكن الفصحى	فبالإيماء تغنيكـا
قريبٌ كلها الدنيا	كرجع الصوت من فيكـا
دعا الداعي فلبوه	طغاةً وصعاليكـا
إذا ناديت يا دينـا	ر من ذا لا يلبيكـا
فما في الناس هـاذاك	ولا في الأرض هاتيـكا

عصر السرعة

طاروا وداروا مسرعين في الثرى
لو لم يكن هذا الزمانُ آفةً
يركب منهم رأسه من ركبا
ما اتخذوا السرعة منه مهربا

عسكري المرور

متحكّم في الراكبيـ
لهم المثوبة من بنا
مُرّ ما بدا لك في الطريـ
أنا ثائرٌ أبداً وما
أنا راكبٌ رجلي فلا
وكذاك راكب رأسه
من وما له أبداً ركوبه
نك، حين تأمر والعقوبه
ق ورُض على مهل شعوبه
في ثورتي أبداً صعوبه
أمرٌ عليّ ولا ضريبه
في هذه الدنيا العجيبه

الفنادق

فنادق تشبه الدنيا لقاء
تقول لكل من وفدوا عليها
فمن تلقاه في يومٍ صباحاً
ورب عصية في الحب باتت
تقول لقلبها ما الحب إلا
فلا سرّ هنالك مستباح
مَنَازِلُ كُلُّ ما فيها انسجام
وما افتترقت شعوب الأرض يوماً
ففيهم يافتُ حيناً وشيئ
وتفرقة وإن قصر المقام
بأن العيش نهبٌ واغتنام
تفارقه إذا جن الظلام
وأقرب من بدايتها الختام
أمانٌ حيث يزدهم الزحام
ولا شوق هنالك أو غرام
مَنَازِلُ كُلُّ ما فيها انقسام!
كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
وفيهم تارةً حامٌ وسام

المصرف «البنك»

شبران من ذاك البناء
بيني وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصى في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت آماد السماء؟!

* * *

في سكتي أبداً وما
من سكة أبداً إليّ - له ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلم
واسأل: أهذا مصرفٌ ملئوا جوانبه دما؟
تجد الصواب مجسماً

* * *

فيه دم لا شك فيه
في كل طرس أو كتأب أو سجل يحتويه
ودم المقتتر والسفيه
يجري هناك وأنت تحاسبه من الورق الرفيه
نغليه كالدّم في العروق سرى وكالدّم نتقيه
وسل المدلس والنزيه!

* * *

سلني فلم أك طالبا
ورقاً هناك على الرفوف أنال منه جانبا

خواطر وتأملات

وأعد منه حاسباً
إلا لأوراق أراها قارئاً أو كاتباً
ولما تجيش به الخواطر حاضراً أو غائباً
ودع الحسود الغاضباً

يا رب ... ويا خلق!

يا رب!

يا رب أعطيناك أرواحنا
يا ربنا فاقض لنا مرة
في هذه الحرب وفي الماضي
بالسلم في أيامنا الباقية

يا خلق!

يا خلق ما أرواحكم سمحة
أعطيتكم إبليس أضعافها
وعبتم في سوقه كل ما
لم تشتروا السلم بأرواحكم
عطاؤكم إبليس سمح بلا
وما بذلتم قط لي قربة
عندي ولا إن سمحت كافيه
من حيوات عندكم غاليه
وهبتكم من عيشة راضيه
بل اشتريتم نعمة ثانيه
أجر ولا أمنية خافيه
إلا رجاء العفو والعافيه!

بابل الساعة الثامنة

(في بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة، فيجتمع الباعة عند
مداخل تلك الأحياء صامتين متأهين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة
واحدة ينادون على السلع، كلُّ وما يبيع، وهي خليط لا تألف أصداؤه ولا أشيائه، فهي
بابل لا مراة!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط،
ولكنها تنسجم في معناها المبرر باستئناف الحياة وعودة النور، وإن هذه المقابلات
جميعاً لحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء.)

كم بابل في الساعة الثامنة	تثور في حلبتنا الساكنة
خفية الأصداء لا تنجلي	ولم تكن عجماء أو واهنة
شتى فإن أفردتها لم تكد	تبين منها لفظةً بائنة
كأنما تُصْغِي إلى راطنٍ	يُتَعَتِّعُ الأحرفَ أو راطنُه
لفظةً ينطقها دونها	عشرون في حلقومه قاطنه
واسم يليه اسمٌ وما جَمَعَتْ	قرينةً بينهما قارنه
إن بعدت عن سامع أو دنت	لم تدنُها أوصافها المائنه
البرتقال الحلو والفحم والـ	أطباق والريحانة الفاتنه
والبيض والأثواب والتبغ والـ	أخشاب والزينة والزائنه
وأشربات العصر في حينها	مثلوجة إن شئت أو ساخنه
والنאי والأرغن تتلوهما	ربابةً كالهرة الداجنه
ومن يناديها ويدعو بها	إليه في زوبعة زابنه
مخلوطة ممزوجة كلها	معجونة في لفظها عاجنه
في بابل الباعة تلك التي	تسمعها لا بابل الحائنه
يحبسها الشرطي حتى إذا	حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقها فانطلقت فجأةً	على الحِمَى كالفارة الكامنه
تجدُّ أقصى الجدِّ لكنها	في السمع كالمجنونة الماجنه

إذا تهادى النوم بي ضحوً	أو أرقتني خطرةً رائنه
أيقظني من بابلي هذه	نفيرُ حربٍ في القرى الآمنه

عباد الطغيان

كلكم كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما
لو وقفتم يوماً إلى جانب المغف لوب ما فاز غالب قط ظلما

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه

تعلم كيف تستغني إذا ما شئت أن تغني
فمن يجهل ما يلقي فقد يجهل ما يجني

فصد

قالوا هي الحرب فصد به الشفاء يؤمل
قلنا نعم فصد عرق حي وإعفاء دمل

الخلود المزدري

نفوس أعاف مقامي بها أأخذ فيها لبئس الخلود؟
وسجن أعاف وجودي به أليس كفيلاً ببغض الوجود؟
فدع عنك يا صاحبي خالديك وقل من مَرَّك لهم أو شهيد
فلا خير في عيشهم سرمدًا إذا سُرِمِدُوا في ضمير القروء
فَرُبَّ خلود كقيد السجين ونسيان قوم كفك القيود

الشعر

من الطوارق نُزَالٌ وضيْفَانُ
والشاعر الفذ بين الناس رحمانُ
لو يسمع الصور يوم البعث صفوانُ
على الجماد فيزكو فيه ريعانُ
من الخلائق سُمَّارٌ وخُلصَانُ
إذا جفاه من الأحياء خَوَّانُ
والودق يبكيه دمعُ منه هتانُ
ثغر الورود ومالَ السَّروُ والبانُ
للريح والغاب أبواقٌ وعيدانُ
كأنما هو في الدنيا سليمانُ
ما فرقته أقانيمٌ وصلبانُ
دينٌ لعمرك لا تنفيه أديانُ
لولا التجاذب ما ضمتك أكوَانُ
إلى الحياة بما يطويه كتمانُ
خرساء ليس لها بالقول تبيانُ
ففي صحائفه للشعرِ ديوانُ

إني ألوذ بشعري حين يطرقني
والشعر من نفس الرحمن مقتبس
كأنَّ من صُورِ إِسْرافيلَ دعوته
يظل ينظفُ من ماء الحياة ندَى
فما يزال لراويه وقائله
يجني المودة مما لا حياة له
ويحسب النجم أَلحَافًا تساهره
إذا تجهم وجه الناس ضاحكُهُ
أو ملَّ هاتفةَ الأصواتِ أسمعُه
تُفْضي له ألسنُ الدنيا بما علمتْ
لقد عبت الأقانيم التي جمعت
الحب والشعر ديني والحياة معًا
هي الحياة جنين الحب من قدم
والشعر ألسنة تقضي الحياة بها
لولا القريض لكانت وهي فاتنةُ
ما دام في الكون ركنٌ للحياة يُرى

سر في طريقك

تحفل بمن جد في لوم ومن لعبا
ويغضبون على من يحفل الغضبا

سر في طريقك بين اللائمين ولا
فالناس يرضون عن ليس يحفلهم

الخلاصة

ليست خلاصة كل شيء غنية عنه وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا يغني العيون عن الربيع الزاهر

وصايا معكوسة

من عمل بها فعلية وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله: «اذهب إلى السوق فهات عنبًا حامضًا!» فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض، وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه، وكذلك هذه الوصايا إنما هي وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب. والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانًا بين الناس، وتنكر أن يشيع):

الضعة والشرف

والمدنس بالعيوب ولا تكن	يومًا وليًا للنبيل الطاهر
فذوو المعائب لا تناحر بينهم	والنبيل فيه سبيل كل تناحر
وذوو المعائب آمنون لمن وفى	والنبيل ليس بأمن للغادر
وذوو المعائب ما لهم من حاصر	والنبيل محصور قليل الناصر
وذوو المعائب يسترون خلالهم	والنبيل ما لهناته من ساتر
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم	والنبيل ما لكماله من عاذر
وذوو المعائب ينعمون بحظهم	والنبيل ما لشقائه من آخر
ولرب ربح فات من ذي ذمة	يسعى إليك مع الخئون الخافر
رأي السلامة إن أردت فخذ به	أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

بمن تثق؟!

ثِقْ بِالرَّذِيلَةِ تَلْقَهَا	فِي كُلِّ حِينٍ حَاضِرَةٌ
إِنْ الْفَضِيلَةُ قَلِمَا	تَلْقَاكَ إِلَّا عَابِرَةٌ
حَتَّى الْأَفْضَلُ عَرْضُهُ	لَهْوَى الْهَنَاتِ الْبَادِرَةُ
مَا كُلُّ يَوْمٍ يَرْتَجِي	عَطْفَ النُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ
وَمِنَ النُّوَادِرِ أَنْ تَرَى	عِنْدَ التَّعَطُّفِ قَادِرَةٌ
مَنْ لَمْ يَدْرُ فِي دَهْرِهِ	دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَةُ

ومن تكون

ومن لا تكون

كُنْ بَيْنَهُمْ «بُؤْذًا» فَإِنْ لَمْ تَتَّقْ	فَكُنْ كَتِيمٍ وَنِيرُونَا
أَوْ عَشٍ مُعَافًى بَيْنَهُمْ لَا تَرَى	إِصْلَاحَهُمْ دُنْيَا وَلَا دِينَا
قَدْ ضَلَّ مَنْ يَطْلُبُ إِصْلَاحَهُمْ	لَا غُرُو أَنْ سَمَّوْهُ مَجْنُونَا!
يَأْمَنُهُمْ مِنْ فَاتِهِمْ طَائِعًا	أَوْ سَاقَهُمْ كَرْهًا مَطِيعِينَا
أَوْ رَاحَ مِنْهُمْ طَالِبًا نَفْعَهُ	لَا عَالِيًا يَأْبَى وَلَا دُونَا
مَنْ هَانَ أَوْ هَانَ الْوَرَى عِنْدَهُ	أَوْ سَامَهُمْ فِي ظُلْمِهِ الْهُونَا
أُولَئِكَ الرَّهْطُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ	يَأْمَنُ مَا يَخْشَى النَّبِيُونَا
يَا بؤْسَ أَرْضٍ لَا تَرَى فَوْقَهَا	إِلَّا طُغْيَانًا أَوْ مَرَائِينَا

صُورُ الرَّجَاءِ

أَمْسَيْتُ أَذْكَرُ مَا مَضَى مِنْ صَبُوتِي	وَالذِّكْرُ آمَالُ الزَّمَانِ الْغَابِرِ
قَدْ يَيْأَسُ الْإِنْسَانُ مِنْ غَدِهِ وَلَا	تَلْقَاهُ يَيْأَسُ مِنْ حَنِينِ الذَّاكِرِ
مَا شَتَّتْ مِنْ صُورِ الرَّجَاءِ فَلُذُّ بِهِ	بَعْضُ الْغَدِ الْآتِي كَأَمْسِ الدَّابِرِ

قرش معقول

إن أحبُّوا القرش لم يجدوا
فإذا ما الطفل هام به
يا محبي القرش ويحكمُ
هل علمتم في طرائفكم
ذاك قرش الطفل نضح من
وهو أولى من قروشكم
هو «حق» عنده جُلُ
ثمن الحلوى يلذُّ بها
وأفانين الملاعب لم
وهو وهمٌ في خزائنكم
وسجين ثم مُدَّخَرُ
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا
الحياة الحق ناضرة

عجبًا في حبه الخطر
جعلوه طرفة السم
هل سمعتم أصدق الخبر؟
أي قرشٍ بالهيام حري؟
حبه إياه في الصغر
كلها بالحب والسهر
حاضر الميعاد والأثر
وجمال الحسن والنظر
تخل من نفع ومن ثمر
وخيال كاذب الوطر
لرجاءٍ غير مُدَّخَرٍ
منه بالآيات والعبر
فاقطفوا من غصنها النضر

جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا
فلا تجعلن الموت حجة كاذبٍ
جلالة حق لا جلالة باطل
لمدحة مذمومٍ ورفعة سافل

عصر السرعة

طار في الذُّرى
مسرع الخُطى
هام في السهول
حيثما يجول

عدوة الوعول	ما له عدا
سطوة السيول	ما له سطا
يشبه النزول	في صعوده
حائر الملول	تلك سرعة الـ
آثم الخجول	تلك سرعة الـ
سَّعي والوصول	أين سرعة الـ

التقديس

يُّ وإن قَدَّسَ جسما	عارفُ التقديسِ روحِـ
يُّ وإن كان «بَرَهْمًا»	ومهين الجسم جسمِـ
لا بما قدستَ تُسمَى	أنت بالتقديس تسمو

السرور

ألا يتم وبعده التنغيصا	منع السرور حذار قلبي قبله
ألا يباح إذا أبيع رخيصا	ويزيدني كلفًا به وضنائه

حكمة الجهل

فالناس لؤمٌ وشرٌ	ألم أقل لك مهلاً
فهم من العطف صفرٌ	لا تولهم منك عطفًا
لما أصابك ضرٌ	لو كنت تعلم علمي
إني بذاك مُقرٌ	نَعَمْ نَعَمْ قلتُ هذا
وأنت عندي غرٌ	وأنت عندي طفلٌ

خواطر وتأملات

وما لنصحك شكر	وما لقولك وزن
وذاك يا صاح فقر	أنفقت عطفك قبلي
وغفلة هي فخر	كم حكمة هي جهل

الحكمة الصادقة

هذه أصدق الحكم	حكمة قد تناقضت
م إذا الجهل قيل تم	ليس للعلم من تما
وانتظم منه ما انتظم	فاغتنام منه ما بدا

صفات وأشباه

فُرْضة البحر

يا ليت نوركِ نافعٌ وجداني
أرقُّ يقلب مقلتي ولهان
تسري مدلّهة بغير عنان
لجج من الشبهات والأشجان
باب النجاة وموئل الحيران

قطبَ السّفين وقبلة الرّبان
يزجي منارك بالضياء كأنه
وعلى الخضم مطارح من ومضه
كمطارح الأفكار في لجج على
تخفى وتظهر وهي في ظلماتها

* * *

صورٌ إليك من البحار رواني
شمل الأحبة فيه والإخوان
نوحٌ ولم تمخّر على الطوفان
شرقٌ وغربٌ ليس يستويان
عنها وتحفل بالنزِيل الداني
وطنًا ومغتربٌ عن الأوطان
متبايني اللهجات والألوان
شتى ديار جُمّعت بمكان
موجٌ أشمُّ أحمُّ ليس بواني
فيها طواف الضيغم الغرثان

أمسيت أحداق السفائن شرّع
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى
جودي كل سفينة لم يبناها
فيها التقى بر وبحرٌ واستوى
بسطت ذراعيها تودع راحلاً
زمر توافت للفرار فقاصدٌ
متجاوري الأجساد مفترقي الهوى
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها
في فُرْضة متقاصر عن متنها
موجٌ يطيف بها وقد ران الكرى

ألقت مراسيها السفائن عندها وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القرى لو كان يُبعثُ ميّت النيران!

الخريف

حي الغمام في السماء كأنها ببيضاء ترتع في فضاء شاسع
طوراً كتمسيح الذبول وتارة ترفو حواشيها الرياح وتنتحي
والدوح مهدول الأرائك ساهم والماء كالمرور في وسواسه
والشمس ساهية الشعاع كمقلة ضحك الطبيعة في الربيع كأنه
فإذا تبسم في الخريف جبينها كالغادة الحسناء يغرب حسنها

أنس الوجود

تماثيل مصر أنتِ صورتُها الصغرى حياتك أجدى من رجال كأنهم
رعى الله من أسوان داراً سحيقةً أقام مقام الطود فيها وحوله
بعيداً عن الأقران منقطعاً بها بأسوان مرصوداً وهل يُعبد الضحى
بأظهر منها للضحى كيفما ذراً؟ نطقاً وأجلى عن مطالعها السترا

صفات وأشباه

وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا	بنو الشمس أهلوها إذا اشتد قيظها
شأبيب ما أحيا وما قتل القطرا!	بقرص كأفواه البراكين قاذف
فأنفسنا من حرها شعلة حرى	لقد نفثت فينا الحياة ضرامها
قيامٌ تناجي في سكينتها الدهرا	درجنا بحيث الدارجون عروشهم
خطى الزمن الوثاب تاركة إثرا	تلوح على تلك الرمال كأنها

* * *

...	...	...	...	...	...	...	...	...
عبرنا من الماضي إلى الضفة الأخرى	عبرنا إليه النهر ليلاً كأننا							
فكان له رسماً وكان له قبراً	قضى نحبه فيه الزمان الذي مضى							
مساحير ترجو كاهناً يبطل السحرا	وأشهدنا منه شخوصاً كأنها							
ويملاً من أهوائه ذلك الصدر	فيخفق ذاك القلب بعد سكونه							
تغالوا فقالوا الإنس قد مُسَخَتْ صخرا	ولما رأوها يشبه الخلق صنعها							
فقالوا براها ثم أصمتها قهرا	لقد أكبروا إلا على الله صنعها							

السماء

أعجب ما أبصرت من أعجوبة	يا للسماء البرزة المحجوبة
تهولنا قُبَّتْها المضروبة	تروعنا أنجمها المشبوبة
كأنها الجمجمة المنخوبة	كأنها الهاوية المقلوبة

وقفة في الصحراء

وهل فيك من وردٍ لغير التوهم؟	هضابك أم هذي أواذي عيلم
فلا تخدعيني إنني لست بالظمي	تخايلت كالدنيا وأقفرت مثلها
إلى الآل ركب الناس جمعاء فاعلمي	أيا ربة الآل الخلوب وإنما

خلوت فلا آثار حي ثوابتُ
نبا بك عن حال العمار وضده
تشاهبت الأيام فيك فلم يكن
صحاري من الدهر الفسيح جديبةً
لفيك وإن طال الزمان غواربُ
أضاءت عليها النيرَاتُ ولم تزل
إلى أي ركن فيك يلجأ هاربُ
تسدين أرجاء السماء بحاصبِ
ثُور كأفواج الدخان تطلَّعت
إذا ما رآها الوحش ولَّى كأنها
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمره
ويذهل حتى يفلت الليث صيده
وما سكنتها الوحش إلا لأنَّها

عليك ولا آثار ميّت معظّم
شماش فلم تُبْنَي ولم تتهدمي
إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمي
كعهذك لم تعبس ولم تتبسم
على الناس أخفى من غوارب أنجم
هنالك في ليلٍ من الغيب أيّهم
وفي أي ظل من ظلالك يحتمي
من النار مؤارٍ العجاجة مظلم
إلى علو من قاصي قرار جهنم
من النقع تُجلى عن خميسٍ عرمرم
خياشيمه م القيط يبضضن بالدم
ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
أحبُّ إليها من جوار ابن آدم

السينماتوجراف

بربك ماذا في ستائرِك الطُّلسِ
إذا لم تكن جنًّا فما لي عهدتُها
ستورٌ ولكن يكشف النور عندها
كأنني أرى فيها قريحة شاعرٍ
وكالعين إلا أنها تمسك الرؤى
ترد تجاليد القبور كواسيًّا
وتحمدها عين الغريب لأنَّها
وكم معجزاتٍ للصناعة بيننا
تميط عن الطرف الحجاب كما رأى

أشباحُ جنٍّ تلك تظهر للإنس؟
تفرُّ فرارَ الجن من طلعة الشمس
فنونا من الأسرار تخفى على النفس
مصورةً للناس في عالم الحس
وترسلها رسمًا تراه على الطرس
وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
تنوب بها الرؤيا لديه عن الحدس
يجيء بها رسل المعارف والدرس
نبيُّ الهدى في مكة صورةَ القدس

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

الشتاء في أسوان

كانون آذن بالظهور	ألق الربيع على البشير
بل كل مخضر نضير	أسوان تزهو حين يذ
نور تألق فوق نور	في كل مربأة بها
عة بالصغير وبالكبير	بلد تجود له الطبيب
إلا على غير البصير	لا تستجن شموسه
ل وماؤه عذب نمير	نسماته برء العلي
س بطبه إلا غرور	ما طب جالينوس قي
ئعها بسور خلف سور	أبدًا تحوط به ودا
قلالها عمد الدهور	من كل شاهقة كأن
فات طرًا والشرور	حصن تهاب ظروفه الآ

* * *

من كل مختال فخور	بولون أقفر غابها
لق ورقه الأيك الغضير	سرحت صوادحها وأط
ب من الجوانح والصدور	يلقطن حبات القلو
داهن من حسن تنير	الفاتنات تكاد إح
أهرام في الرسم الصغير	الناهدات كما ترى الـ
الكوثریات الثغور	العبهريات الشذى
يضوع في كل الشهور	الورد في وجناتهن
رياب مصفرًا غزير	المرسلات الشعر كالز
س مؤزرات بالحرير	متمنطقات بالدمقـ
تلقيه أو ظبي غرير	من كل قاع جوذر
أكوان من فجر البدور	مثل الشموس برزن للـ
لم تدر ما نور البدور	باراتهن مطالعـ
م ومعرض الحسن الطرير	فيهن معترك الغرا
فردوس لا للزمهرير	الحور هن خلقن للـ

* * *

الماء فاض على الجنا	دلِ والسواحل والجسور
خلجانه تنساب كالـ	حيات ما بين الصخور
متسابقات كالسوا	بق في مجالٍ مستدير
والنيل مصطفق كمن	قد هزه فرط السرور
متدفّع الأمواج تر	قص وفق توقيع الخير
وترى الزوارق كالبوا	شق حوَّماً أو كالنسور
قد حار فيها العنصر	ن الريح والماء القدير
والشمس شاخصةً تكا	دُ تنوء من جهد المسير
فضفاضة الأذيال تخـ	طر كالعروس إلى السرير
وكانها فوق الذرى	فوق الجزائر والبرور
حسناء ترقب قادمًا	في النيل من أعلى القصور
وعلى الروابي والهي	كل مسحة الشفق الأخير
تبدو كما نصل الخضـ	بُ بعارض الشيخ الوقور
ما كان أول مغرب	شهدت على مر العصور

* * *

كم آية في الكون أخـ	فى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العيا	ن فما يرى إلا اليسير

ليلة الأربعاء

شفَّ لطفًا عمًا وراء السماء	نورٌ بدرٍ مفضض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ	عين تتلو هناك سر القضاء
وسرى الطرف في الفضاء فما يثـ	خيه ثانٍ عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما في الـ	كون غير الظلال من ظلماء

فُ بهيجُ في الليلة القمراء	تلك أولى لوائح الصيف والصيف
يطرق الأرض وافداً من ذكاء	يَمَنَّ الله سعيه من رسول
كلَّ عامٍ مطارف الأضواء	مولد الأرض فهي تلبس فيه
فر يعدو في إثر جند الشتاء	أضرم الجو بالمشاعل كالظا
نين بين الصباح والقرناء	فنهضنا للهو في دار ذي القر
ناب عنه الصفاء في الدأماء	بلد ما تحجَّب الجو إلا
عنه حتَّى ما فيه من غرباء	كل من ينتحي حماه غريبٌ
كعين المنوم النجلاء	تكشف الشمس ثم ما يضمر اليمُّ
كاشفٌ عن سرائر الأنبياء	فعلى اليم للمطيفين سرٌّ

وأعيدي يا ليلة الأربعاء	ليلة الأربعاء بالله عودي
وَأَفْجَاءَتْ كَحِكْمَةِ الْبِلْهَاءِ	ليلةُ أرسل الزمان بها عف
هُ بنور من بدرها الوضاء	قد نسينا الصباح حتى ذكرنا
ووصلنا صباحها بمساء	فوصلنا مساءها بصباح
... ..	
سك ذكر الحياة والأحياء	خير ما في الحياة يا قلب ما أن
ر وإن كان فيه بعض العناء	بيد أن النفوس تصبو إلى الذك

... ..	
برقعا حيك من شعاع الضياء	نسج الفجر للنجوم الدَّارِي
يلِ واللَّيْلُ مؤذُنٌ بانقضاءِ	وكأنَّ النسيمَ همومُ اللَّـ
بات لم يبق منه غير الذماء	همسات العوَاد حول حبيبِ
ثم لم ينتبه من الإغفاء	وترى البحر لو توسده النا
لم أو خفق طائر في الهواء	في سكونٍ كأنه نفس الحا
ب حتى لهم بالإصغاء	وكان الخريز صوتٌ ينجي الغيـ
قدُما ترف فوق الماء	فبعثنا الأرواح سرباً كروح الله

الورد

وأشرق نجمه بعد الخنوس	أراح الورد عازفة النفوس
جلا البستان عن خدر العروس	وغرّد هاتف الأطيّار لما
مكللة المفارق والرءوس	وأشرقَت الرياضُ على الروابي
غضون الورد مترعة الكئوس	نديم الكأس طف بالروض فانظر
من الأفراح كرم الخندريس	وفيه ثمالةٌ لم يودعوها
فأضحك غرة الزمن العبوس	تبسّم في خمائله النشاوى
ثناه عن مناجاة الجليس	يُخَيِّلُ ناطقًا لولا حياء
... ..	
تنادي الناس من خلف الرموس	أطلّ من الرغام كأن روحًا
... ..	
وخصّتها بقربان الشموس	مجامر للطبيعة أَرَجَّتْهَا
على الأفنان أرواح الأنيس	تلقيها إذا نشرت شذاها
من الجنّان خافية الحسيس	كما لبي بحوز السحر حور
نكاء النار والجمر القبيس	جنى الفردوس إلا أن فيه
كما بثته نيران الوطيس	يكادُ يبثُّ حويله ضياء

* * *

... ..	
إلى غير المحاسن والطروس	لَوَ أَنَّا قَادِرُونَ لَمَا هَفَوْنَا
ويبلو القلب بالغرض الخسيس	ولولا الدهر بالإنسان يلهو
بحبّاتٍ من البُرِّ الدريس	لَمَا أَلْهَاهُ عَنْ آسٍ وَوَرْدٍ

حديقة البرتقال

أَحْبَبُ به من منظرٍ سَرِيٍّ
متصل الخضرة فِرْدَوْسِي
جَناته تثني على الوسمي
كالسُرُج المذكاة بالعشي
منها بألف كوكب دري
غصنًا على غصنٍ زمُرُدي
وساجد في الأرض كالقسي
كأنه جلاجلُ الحلي
أخذ الحلي مقلة الغوي
أغلى لدى الشاعر والصبي
فاعجَبَ لهذا الصائغ الغني
من نفسٍ حام ومن طمي
ومخرج الحي بغير الحي

منظر

الروضُ جُمُّ العبير
والدرُّ ينشر نورًا
كأنما الكون يبدو
كأنه ظلُّ كونٍ
والليل شَفُّ الستور
كأنه نصف نور!
من خلف سترٍ وثير
مغيَّبٍ في الدهور

قدوم الشتاء

تسير الكواكبُ سيرَ الحذرِ
وللشمس مشيةً مستكره
ونهرٍ كمرآةٍ مهجورةٍ
وللروض زهرٌ به طائِحُ
ونادى المنادي بركب الطيور
فهذا يحوم على وكره
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا
وما للرياح بأعلى الشجر
تنام العيون ويعلو لها
تُحطِّم أعوادها العاريا
فيا ويلَ من بات في ليله
ويرجف في الجو نور القمرِ
يساق إلى منظر لا يسر
على وجهها من جواها أثر
تقلَّب في الأرض كالمختضر
هلمَّ فقد حان وقت السفر
وهذا يصيح ولمَّا يطر
كأن الأصيل عليه انتشر
تعجُّ كموجٍ خَضَمَ زخر
نشيحٌ إذا الليل أغضى ظهر
تِ تحطيمَ ذي جِنَّةٍ منذِعِرُ
يجاوبها بالبكا والسهل

النهر النائم

تمهَّلْ يا نسيماً ولا تكدِّر
وقرِّي يا طيور على الحوافي
لعلَّ النهر ينطق وهو غافٍ
ويحكى طيف هاتيك الليالي
نعاس النهر بالهمس الضعيف
وكفي يا غصونُ عن الحفيف
بسرٍّ فيه أو حلمٍ لطيف
ليالي الوصل في عهد الخريف

يا قمر

فضِّضِ الماءَ يا قمرُ
وانظم الغصن بالندى
وانقشِ النورَ في الحجرِ
والثَّم الزهرَ في الشجرِ

صفات وأشباه

واجعل الكون ضاحكًا عن سماءٍ من الغُرر
واملكِ الليلَ مفردًا ومع الشمس في البُكر

* * *

في مجاليك راحةً راحة النوم والسهر
في لياليك بهجةً بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل في الظلا م ولا الصبح في الكدر
أنت كالطيف والدجى ناعس الطرف يا قمر

* * *

ساهد الليل لا تجم واتل ما شئت من ذكر
قد تناسيت ما مضى ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى يسئل لذاته الآخر

النجيلة

هات نرجيلة يضاحكني من ها خريّر كجدول البستان
ذات أنبوبة كحية حوا ء بفيها تفاحة الحرمان!
إن بين الضلوع نارًا أوار يها فأخفي زفيرها في الدخان

القمرء

كلما أشرق في الليل القمر
وسها الناس ولاذوا بالحجر
خلت أرواحًا تداعت للسمر
زُمَرًا تهمسُّ من حولِ زمر

إِنَّ هَذَا الْحَسَنَ لَا يَمْضِي هَدْرَ
حَيْثَمَا أُسْفِرَ نُورٌ وَانْتَشَرَ
وَحَلَا فِي خُلُوةِ اللَّيْلِ السَّهَرِ
فَهَنَا لَا رَيْبَ حِسٍّ وَبَصَرِ
شَيْمَةِ الْمَسْحُورِ يَقْفُو مَنْ سَحَرِ

يوم شتاء

يوم بيتٍ لا يوم خوض الدياجي
وجمالٍ من النفوس يُنَاجِي
مستهلين والطبيعة غضبي
نتحدّى الرياحَ والليلَ والأهـ
فإذا ما يروع منها ويضني
كالذي يشهد الكوارث فنا
فانجُ ما بين صفحةٍ وسراج
في أسارير وجهه ويناجي
وكلانا من هولها الصعب ناجي
ـوال طرّاً بصفحةٍ من زُجاج
نتلقاه ههنا بابتهاج
من فنون التمثيل والإخراج

زهرة القرنفل

تَعَشَّقْتُ مِنْ زَهْرِ الْقَرْنَفْلِ لَوْنَهُ
تَقَسَّمَ نُورُ الشَّمْسِ أَحْمَرَ قَانِيَا
وَنَازَعَ مَحْزُونُ الْبِنْفَسِجِ لَوْنَهُ
كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ تَقَارِبُنْ صُورَةَ
وَأَسْمَعُ مِنْهُ حِينَ أَقْبَسُ ضَوْءَهُ
تَشَاغَلَ بِمَا يَجْلُو الْعْيُونَ وَغَمَضُهَا
وَسَيَانَ تَحْدِيقِ الْعْيُونَ وَغَمَضُهَا
فَحَسِبْتُ مِنْهَا زِينَةَ تَبْهَرُ النِّهْيَ
وَنَشَرًا كَرِيحِ الْبَابِلِيَّةِ زَاكِيَا
وَأَصْفَرَ وَضَاءًا وَأَخْضَرَ زَاهِيَا
وَحَاكَ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الْجَوْ صَافِيَا
وَسَيْمَةَ حَسَنٍ وَاخْتَلَفْنَ كَوَاسِيَا
وَأَنْشَقَ رِيَاهُ فَأَنْصَتَ وَاعِيَا
سِرَائِرَ دُنْيَانَا، وَإِنْ كُنْتُ رَائِيَا
إِذَا كَانَ مَا تَرْتَادُهُ الْعَيْنُ خَافِيَا
فَغَيْرَ قَلِيلٍ مَا تَرَى النَّفْسَ بَادِيَا

الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تُشعُّ
إذا ما الماء جمَّشها تراءى
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ
عليها من حياء الحسن درع
لها خجلٌ على الأعطاف بدع
سنَى الخجل المورِد فيه طبع؟

ليالي رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
تلوح كذكرى حالمٍ يستعيدها
فمن عالم النسيان فيها مشابه
ليالٍ برأس البر تَنَدَى وداعة
وداعة ذات الدَّلِّ شاب فؤادها
ولولا سناها قلت: كنت أراها!
لعمق معانيها وبُعدِ مداها
وفيهما من السلوى جميل رضاها
ورقة أشجانٍ وطاب نداها
شوائب من هجرٍ فراض صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طاب نداها
هنا النيل ساج طال في الدهر سيره
هنا البحرُ ثَوَّار الدهور على الكرى
إذا استرسلت أصدائه في اطرادها
هنا عالم السلوى هنا العالم الذي
هنا العالم المشهود ذكرى قديمة
فلولا حياتي في عروقي أحسَّها
وشفَّت دياجيتها ورقَّ سناها
وطالت مرامي نبعه فسلاها
ويطغى فلا يحمي النفوس كراها
ترسَّلت الأحلام ملء مناه
تحسُّ الليالي فيه همس خطاها
وذكراك دنيا لا تزال تراها
لقلتُ نعيمُ الغابرين طواها

* * *

جمالكَ رأس البرِّ في زي ناسكٍ
لياليك رأس البر في صومعاتها
صحابك رأس البر أطياف نائمٍ
عناها الذي يعني النيام من الرُّؤى
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
مناسك ضلَّت في الظلام هداها
تساوى لديها صبحها ودجاها
ولم أر جهدًا في الحياة عناها

* * *

حياتك رأس البر طفلٌ مجددٌ سقته ثديُّ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما فنينا وكم تُفني الجسومَ نهاها
بحسبي من أبناء آدم إن صفا لنا العيش يومًا أن تكفَّ أذاها

أغاني

في الهوى قلبي زورقٌ يجري
أين يمضي بي نهري الخمري
ليتنى أدري!

* * *

ليته يجري يا أبا الأنهار
مثلما تسري في حمى الأقدار
حورك الأزهار

* * *

حورك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
في الهوى السحري

* * *

يا رياض النيل علمي قلبي
فرحة التَّهليل عشت للحب
يا منى الصبِّ

* * *

صفاتٌ وأشباهُ

قال لي قلبي والهوى يرعاه
هو في قربي ما الذي أخشاه
عندما ألقاه

الشتاء والربيع

كل بادٍ يريد أن يتواري في الشتاء المغلف المسدود
كل خافٍ يريد أن يتجلّى في الربيع المزخرف المشهود
هات لي العالم الصريح ودعنا من حياةٍ خجلى وطبعٍ برود

في القمر

في الليلة القمرء ما أحلى النظر لكل شيءٍ لاح في ضوء القمر!
حتى الثرى حتى الحصى حتى الحجر

ليست من الأجّر هاتيك البنى لا بل خيال من ظلامٍ وسنى
كخيلة الأشكال في السحب لنا

أكاد عند رؤيتي طلاءها أرسل عيني لما وراءها
كما تخوض نظرةً فضاءها

قد شفتُ بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكيف بالحجى
عاش على مرّ الليالي مسرجا؟

العيش جميل

صفحة الجو على الزر
لمعة الشمس كعين
رجفة الزهر كجسم
حيث يَمَمَتَ مروجٌ
قل ولا تحفل بشيء
قاء كالخد الصقيل
لمعت نحو خليل
هزه الشوق الدخيل
وعلى البعد نخيل
إنما العيش جميل

القمر والظلام

لا أوتر القمرء في حسنها
سناك يا بدر يريني الثرى
على الدجى والطرف فيه يحوم
وظلمة الليل تريني النجوم

صداح الأثير

ملاً الآفاق صداح الأثير
لك من كل فضاءٍ شاسع
ما صفاء الجو إن فتشته
لجبٌ لكنه مستأذنٌ
أو هي الأرواح إن قلت احضري
قيل أمواجٌ فقلنا وبحور
تركب الأبواب فيها سفناً
حملت من كل زادٍ وقرت
ولها في كل يومٍ مددٌ
لا فضاء اليوم بل صوتٌ ونورٌ
حيثما يَمَمَت دأع وبشير
غير أصداءٍ حواليك تمور
يطرق السمع بسلطانٍ قدير
حضرت أو شئت أعيها الحضور
من معانٍ وبيانٍ وشعور
سُبَّقاً بين طويلٍ وقصير
كل غادٍ ووَعَتْ كلُّ أثير
يلتقي الأول فيه والأخير

وهو ذو الصرح المُعلّى والسريـر يسع العالم أياـن يدور أو مجال السيق أو ملهى السرور في الأساطير خيالٌ مستطير دعوة المذيع ظنٌ وغرور من صفات الله والله قدير نغم الأفلاك أو صوت الضمير	كان فرعون له مجلسه ولنا في كل دارٍ مجلس هو نادٍ لك أو مدرسة غلب الوهم الذي زيّنه دعوة المارد إن قيست إلى بورك العلم لعمري إنه ربما أسمعنا في غده
---	---

أسود يلتحي

سواد غراپ في لحاك معلق؟ فما زال فيه الليل بالليل يلتقي سوادك محفوفًا بأبيض مشرق على حالِك لو كان يجري بمنطق	أليس كفى هذا السواد فزدته سريت برأس لا حدود لوجهه ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى وأخلق أن يرتادك الشيب حالكا
--	--

على شاطئ البحر

فأعاد للـسالي قديم هواه مثل اطراد اللج حين تراه خيل الطراد تسوقهن صباه فيروزجٌ قدح الضياء سنـاه إن مج بالزبد النقي حشاه أفقًا يصدُّ الطرق دون مداه والعين ترسم في الفضاء خطاه فالنفس تألفه ولا تنساه	نفـض النسيم عن النفوس رمادها والبحر تطرد الخواطر عنده لم أبصر الأذي فيه كأنه وكان متن الماء في شمس الضحى وكأن مبيضّ الجليـد طفا به إلا وددت بأن أراه فلا أرى الروح يطمع أن يتيه بلا مدى البحر أقدم والنفوس قديمة
---	---

مناجاة

مناجاة

يا مَنْ أَحَبُّ لِقَاءِهِ	سِرًّا وَأُزَوِي عَنْهُ جَهْرًا
إِنَّ الْعَيُونَ بِمَرَصِدٍ	لِي فِي هَوَاكَ وَأَنْتَ أَدْرَى
مَنْ ذَا يَتِيهِ عَلَى الْجَمَا	لِ وَأَهْلُهُ بِالتِّيهِ أُحَرَى
الشَّمْسُ تَحِييُ بِالضُّيَا	ءَ لِحَاضِنَا فَنَغْضُ قَسْرًا
كُنْ فِي الْمَلَاةِ وَالصَّبَا	لِقُلُوبِنَا فَخًّا وَوَكْرًا
وَإِغْنِمْ بِحَسَنِكَ حُبَنَا	وَاقْنَعْ بِهَذَا الْحُبِّ أَجْرًا

لسان الجمال

يا مَنْ إِلَى الْبَعْدِ يَدْعُونِي وَيَهْجُرُنِي	أَسْكُتُ لِسَانًا إِلَى لِقْيَاكَ يَدْعُونِي
أَسْكُتُ لِسَانَ جَمَالٍ فِيكَ أَسْمَعُهُ	فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَنْ أَلْقَاكَ يَغْرِينِي
أَبَا الْجَمَالِ تَنَادِينِي وَتَجْذِبُنِي	وَبِالْمَقَالِ تَجَافِينِي وَتَقْصِينِي؟
هِيَ هَاتَ لَسْتُ بِسَالٍ عَنْكَ مَا نَطَقْتُ	فِيكَ الْمَحَاسِنَ فَانْظُرْ كَيْفَ تَسْلِينِي
أَعْصِيكَ أَعْصِيكَ لَا أَلُوكَ مَعْصِيَةً	وَلَسْتُ أَعْصِي جَمَالًا فِيكَ يَحْيِينِي

متى؟!

متى تشرق الشمس التي قد رأيته تغيب وراء الأفق في مغرب الأمس؟
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها توارت من الغرب المعصر في رسم

الحب الأول

(... كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقي الشاعران النابغان المازني وعلي شوقي قصيدة ابن الرومي النونية التي يمدح بها أبا الصقر ويقول في أولها):

أحنيتك الورد أغصان وكتبان فيهن نوعان: تفاح ورمان
وفوق ذنك أعناب مَهْدَلَّة سودّ لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرهما وقافيتها وقد فعلنا؛ فنظم المازني قصيدته في مناجاة الهاجر، ونظم شوقي قصيدة في هذا المعنى، ونظمت أنا هذه القصيدة فأهديتها روح ابن الرومي:

يهنيك يا زهر أطيّارٍ وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك لست بإنسان فتشبهني إني ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلّى في مواكبه وهكذا الدهر أنّ بعدها آن
تفتحت عنه أكمّام السماء رُضًا وزفه من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور في البستان باسمه والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك والآفاق صافية جلواء والروض بالأثمار فينان
وللنسيم خفوقٌ في جوانبه وللطيور ترانيمٌ وألحان
في كل روضٍ قُرى للزهر يعمرها يا حبّذا هي أبياتٌ وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عبّو كما تراسل بالأسواق حَبّان
الورد يحمرُّ عجبًا في كئامه والياسمين على الأغصان ميسان
وللقرنفل أثوابٌ ينوعها عن البلور صنّاع الكف رَقّان

كأنه راهبٌ في الدير محزان
منهنَّ جامٌ خلا من مثله الحان
بلايلٌ وشحاريِرٌ وكزوانٌ
فيستجيب له برٌّ وغيان
في الشرق والغرب أسحارٌ وأصلان
يحدو خطاها من الأملاك ربان
فكل ما في فضاء الله فرحان
ولا مودتُهُ حَبٌّ وإِذهان
إن الحداد عن الأعراس شغلان

... ..

وجدًا ويسألني هل أنت غصَّان؟
ومن عنيت به عن ذاك غفلان!
على امرئٍ فخره عرشٌ وإيوان
وللمحبين أحداقٌ وأعيان
بحسن وجهك يهذي وهو ولهان؟
ذنباً من الناس لا يمحوه غفران؟
ضدين بينهما نأى وهجران
حتى كأن ليس غير البغض إحسان
ما كان يعصم لا إنسٌ ولا جان
إلا القلوب فصيغتُ وهي أُحْدَانُ
خَلَقَ وَخَلَقَ فهل يرضيك نقصان؟
وفي الوجوه على الأرواح عنوان
عنك العيونُ ولم يشملك وجدان
حُبٌّ لما كان في الدنيا ومن كانوا
ولا يخف مكرنا وحشٌ وعقبان
منا غصونٌ نضيراتٌ وأحضان
لم تُغضِ منه بأيدينا أغيطان

وللبنفسج أمساحٌ ممسكة
وحبذا زهر الليمون يسكرنا
والليل يحييه والأطيار هاجعةٌ
مؤذن الطير يدعو فيه محتسباً
والصبح في حلال الأنوار طرزه
كأنما الأرض في الفردوس سابعةٌ
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح
إلا المحب الذي لا حبه دنسٌ
نفاه عن عرس الدنيا شواغله

... ..

يا من يراني غريقاً في محبته
وا ضيعةً الحب أبديةً وأكتمه
لي في مديحك أشعارٌ أضن بها
على محياك من وشي الصبا روع
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم
ما الحسن ذنباً فما للحب تحسبه
هما شقيقان فارتق أن تحيلهما
من علم الناس أن الحب مأثمةٌ
هَبَّهَا جنايةً جان أنت آثمها
إنَّ الجسموم مثناةٌ جوارحها
لكل قلب قرينٌ يستتمُّ به
إن التعاطف بالأرواح بُغِيَّتْنَا
تمثالك الصخر أحظى منك إن نَفَرَتْ
إنا لمن معشرٍ حُبُّ الجمال لهم
ليأمن الطير أننا لا نكيد له
لو تسمع الوُرُقُ نجوانا لكان لها
أو كان يدري حَيٍّ نبت عفتنا

أو ينظر السائم النابي طويتنا
ولا اتقى الحوت شرًا حين يبصرنا
يا ليت أن لنا كهفًا نعوذ به
إن راح يفزعها بغى وعدوان

... ما ضرَّ من نال في حين سعادته
إذا جنيت من الأيام زهرتها
ولا وربك ما بالنفس مقتنع
فإن روينا فبعض الري مظمة
أي الفريقين أحمى لهفة ووجى
يا ليلة حطمت أنوال حائكها
العيش من قبلها شوق نعمت به
طالت ولا غرو فالجنات خالدة
أصبحت والله لا أدري لبهجتها
وكيف لا وهي شطر حين أحسبها
لقد سقانا الهوى خمراً معتقة
هيهات لا تبلغ الصهباء نشوتها
فاض الهيام على قلبي ففاض به
وددت والدمع في عيني محتجز
أمسيت أرشف شهداً من مراشفه
والنيل تجري له في كل ناحية
يقودنا حيث شاء الموج واطردت
حتى تصرم جناح الليل وانبتقت
فما أفقنا وعين الصبح شارفة
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها
بقية لك أتلوها وأنشدوها

... إن فاته في طويل الدهر أحيان
فاقنع فسائرها شوك وعيدان
أكان نجح لها أم كان حرمان
وإن ظمئنا فما يرتاح ظمان
من ذاق أو لم يذق فالكل لهفان؟
فلا يحاك لها في الدهر ثنيان
والعيش من بعدها ذكر وتحنان
وفي الوصال من الجنات ألوان
أليلة سلفت أم تلك أزمان؟
والعمر شطر وفيها عنه رجحان؟
صبا بها قبلنا شيب وشبان
ولو تناول منها البحر نشوان
نبع له من وراء الدمع شطآن
لو سال منه على خدي غدران
والسلسبيل بعليين غيران
جداول لؤلؤيات وشغبان
أمواهه فكأن الفلك وسنان
من كل مطلع للصبح عمدان
وما هجدنا وغول الليل سهران
شموس أنس مضيئات وشهبان
هذي القصائد لي فيهن سلوان

عنها السنون فلي بالذكر قنعان
موج الخضم وفلكي فيه غرقان
كما ذهب فيطويهن نسيان
بالحب عن صلة المحبوب غنيان
أني سألقاه يوماً وهو غضبان
هاموا وهانوا فهم للوهم عبدان؟
لهم على حسب الأفهام أوطان
منا وشتان إنسان وإنسان
هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

بقية من متاع الذكر قد صفحت
كأنني تاجر في الشط مرتقب
خذي بقاياك لو يسطيع يذهبها
لا يأمن الحب صب لا يكون له
ما كنت أجهل لما أن كلفت به
من لي به مثل ما أرضاه في ملأ
تفرق الناس أوطاناً وما افتقرت
بتنا نساكنهم داراً ونحسبهم
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم

* * *

روحاً فيتفقا روح وجثمان؟
لا يكذبون أو أن العذل قرآن
سود لها غير ما تبديه أبطان
فالحق متئد والإفك عجلان
منهم فطاف بها في الأرض ركبان
شريعة نقضها كفر وعصيان
ولا بقللتهم للحق إيهان
بالمبصر الفرد يوم الشك ميزان

يا أملح الناس هلاً كنت أكبرهم
صدقت باطل ما قالوا كأنهم
أما علمت بأن الناس ألسنة
أحرى مزاعمهم بالشك أسيرها
ورب قول زور قالها رجل
تداولوها فراحت في مذاهبهم
ما كثرة المثبتين الأمر تثبته
فإن ألف ضرير ليس يعدلهم

... ..
حسي وأذهب فيها الحدس إيقان
حتى غدا وهو بالأوهام ضنان
وقد ينوح بغير الدمع أسوان
وضاق عن هديهم ذرع وإمكان
لا يجرمك بر الناس أو خانوا
ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
وإن تولته بالأرزاء حدثان
أدار بالسعد أم بالنحس كيوان

... ..
تكشفت هذه الدنيا فأنكرها
ما زال يحرمني دهري ويوهمني
إنا لنضحك لا صفوا ولا لعباً
أعيا العقول صلاح الخلق من قدم
فعش كما شاءت الأقدار في دعة
لعلهم في طريق الصدق قد سلكوا
من عاش في غفلة طاب البقاء له
لم يدر من نام والأفلاك دائرة

فأطلب لنفسك منها مهرًا آمنًا	ودان مَنْ شئت فالأعداء خلّان
والزم حياتك واعشقها فبينكما	في شرعة الطبع ميثاق وإيمان
هي الوجود فصنه أن تجود به	على التراب فإن الحرّ صوّان
... ..	
وانهض بها مرةً في الدهر واحدةً	ثم استرخِ أبدًا والحقّ بمن حانوا

كأس الموت

إذا شيعوني يوم تُقضى منيتي	وقالوا أراح الله ذاك المعذبًا
فلا تحملوني صامتين إلى الثرى	فإني أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأس شهية	وما زال يحلو أن يُغنى ويُشربا
وما النعش إلا المهد مهّد بني الورى	فلا تُحزنوا فيه الوليد المغيبا!
ولا تذكروني بالبكاء وإنما	أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا

الحبيب الثالث

(ردًا على قصيدة الحبيين لصديقنا شكري، وقد شبه أحدهما بالجنة والثاني بالجحيم، وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم!)

قلاك من دقّاع نار الجحيم	ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه	كالمهل في صدر المحب العظيم
وخدك الزقوم مُرّ لمن	تزويه عنه وهو حلو الشميم
وأنت تضني كل جسم سليم	وأنت تشفي من ضناه السقيم
وأنت دان نافرّ راحم	قاس محبّ، كاره لا تدوم
ويا نسيماً شبيماً ربما	أزكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا بريء الوجه في ناظري	ويا أثيمًا في الفؤاد الكليم

الحب لنوان وما إن أرى حبًا بلونٍ واحدٍ يستقيم
كن لي على النعمة عونًا أكن عونًا لقلبي في العذاب الأليم

خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليك أنني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي وقد تعلمت منك نسل حوائكن دمعاً شك
خير ما في النساء ساعة ضحك

إلى صديق

أخي وأعذب بها لفظة تذكّرني العهد عهد الصفاء
أهبت بودي ولمّا يمت فأسمعت حياً بذاك النداء
ولم يُنسني القصر عهداً خلا وكيف وفي القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإني نسي ت يا صاحبي أينما قد أساء
ولست بقال ولا ناكث ولكن كذلك شاء القضاء
وهذي القلوب بأيدي الزمان يقلب أهواءها كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه فكيف يلام على الأصدقاء؟!

خواطر الأرق

يا ليل لونك في اللواحق إثمد إلا لديّ فمن غبار يرمد
ها أنت بالرويا تظن لأنها سلواي حين تركتني لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطراً أعى عليه مع الصباح المورد

زعم يطيش وعارض يتردد
والعيش بينهما شقاق مجهد
كالطبع طفلاً لا يفارقه الدد
يجني الزمان وشر ما يتوعد
ما لا يسوغ وسرني ما يكمد
وصبرت حتى قيل صخر جلمد
بعض الرياء وبعضه قد يحمد
... ..

وترود حوليها الصلال الشرذ
حسناً ويوشك أن يطيب لها غد
لم تلق من يرعى ومن يتعهد
طوعاً ويدعوها النماء فتجمد
خصم على تلك المحاسن يحقد
حماً يطيب مع الذئاب ويرغد
تخشى من الداني الذي لا يبعد
وتظل تنثر عقدها وتبدد
والنار حولك والدخان الأسود
جهلاً وغررك أن غصنك أملد
ويزل عنه الزهر إذ يتأود
شر التقصف فالتجرد أنكد
من أن يحفك منه غيم أربد
أو لا فأرسلها فما لك منجد
إن ابن نوح كان فيمن ألدوا
إني لغير الطهر لا أتودد
كلا ولست مع المودة تخلد
منها يميل به الغواة فيفسد
منها ولو لم يعتدوا لم يهتدوا

كم في الدم المدعوى بالإنسان من
العقل شيخ والحياة فتية
والطبع يغرينا ولست بواجد
أواه من عبث الحياة وسوء ما
لا أشتكيه فقد أمر فساغ لي
وجزعت حتى قيل جن من الأسى
أبدي التجلد والتجلد في الأسى
... ..

وخميطة يجني الغداف قطافها
كرمت عناصرها وأينع يومها
ظلمتها بالنصح إلا أنها
باتت تجاذبها السموم فتلتوي
يا من أصون جماله وكأنه
لا شيء أوجع لامرئ من أن يرى
أخشى عليك من البعيد وأنت لا
وأحوط حسنك بالتمائم والرقي
وتبيت ريان الجفون من الكرى
لم تتبع نصحي وملت مع الهوى
والغصن تسقط — إذ يميل — ثماره
إن كنت تحميك الطراءة والصبا
أولى بوجهك أن يضيئك حسنه
هذي يميني في يمينك فاعتصم
لو كنت نوحاً لم تفدك سفينتي
فاستبق ودك للذين عرفتهم
ما كنت أول نعمة ودعتها
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً
لولا المشوب لما تمحض خالص

ما كنتُ يومًا بالأنام موَكَّلًا
إني اتخذتك للصيانة قنيَّةً
فالأَن أَلقي في التراب بحليَّةٍ
فأعدُّ منهم من يضل ويرشد
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ بهرَجٌ لا عسجد
كانت أحبَّ نَخيرة تُتَقَلَّدُ

إليك

إهداء الديوان الثاني

إليك إهداء أطرابي وأشجاني
شعر لحسنك فيه كل قافية
يُهدَى إليك ولم تطفن لدعوته
ولو صمدت بتسبيحي إلى وثن
وخَفَّفَ النار نار الوجد عن كبدي
لكنَّ جهلت مناجاتي فوا جذلي
يا من هو الناس في عيني وإن كثروا
أهدي إلى الناس ما أعنيك أنت به

لو كنت تعلم إسراري وإعلاني
وما تضمَّن إلا بعض وجداني
كأنما هو قربانٌ لأوثان
إذن لأثلج صدري صدق إيماني
علمي بأنك لم تجهل بقرباني
لو فزت منك على علم بحرمان
إني أخصُّ بشعري كلَّ إنسان
فاقبل فإنك بعض الناس ديواني

الدنيا الميتة

أحبك حبَّ الشمس فهي مضيئةٌ
أحبك حب الزهر فالزهر ناضرٌ
أحبك حبي للحياة فإنها
فهل في ابتغائي الشمس والزهر سُبَّةٌ
... ..
أنت مضيءٌ بالجمال منير
وأنت كما شاء الشباب نضير
شعور، وكم في القرب منك شعور
وهل في ولوعي بالحياة نكير؟
... ..
على غير ما سار الأنام نسير
رهينُ بأغلال الظنون أسير
فدع ما يقول الناس واعلم بأننا
لنا عالم طلقٌ وللناس عالمٌ

وإن لم يكن للحسن فيك نظير
إذا سئلت حارت وليس تحير
من الناس بسَّام التَّغْيِيرِ
ربيع الصبا في وجنتيه غضير
بعينه من ومض الملاحه نور
مطالعه إلا وأنت سمير
غنى عنك للمحزون حين يثور
من البث والشكوى سواك مجير
وإن غبتَ أَصَّ العيش وهو كدور
فيهذا قلبٌ بالضلوع نَفور
على جدولٍ في السمع منه خريـر
عليها ولم تضرب عليك ستور
على الجهل كَوْنُ بالجمال فخور
وما لمحِبٌّ في سواك سرور
وغنَّت عصافيرُ وفاح عبير
ولا النجم في عليا السماء يدور

ووا أَسْفا! ما أنت إلا نظيرهم
ويا عجباً منا نَسائل أنْفُساً
أُنشَقى بدنِيانا لأنْ منعَماً
أَيُذوي الصبا فينا لأنك ناشئ
أَتعشى مآقينا لأنك أحور
ألا نتملى الحسنَ والحسنُ جَمَّةُ
فيا ضيعةَ الدنيا إذا لم يكن بها
ويا ضيعةَ النفس التي لا يجيرها
إذا الشمس غابت لا نبالي غيابها
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمَعُ
قرئت ولم يخطئ عِطاشُ تلهفوا
وسرت على الأرض التي أنا سائر
فلو لم نُؤَلِّ الوجَّهَ شطرك لامنا
لديك مقاليد السرور وديعة
فإنْ تأذنِ الدنيا أباحت شوارها
وإلا فما في الأرض حظ لناظرٍ

بعد عام

أَوْ تَوَلَّى
لَيْسَ إِلَّا!

كاد يمضي العام يا حلو التثني
ما اقتربنا منك إلا بالتمني

* * *

وعذاب
في اقترابي
رسم رسم
شرب هائم

مَدَّ عَرَفْنَاكَ عَرَفْنَا كُلَّ حَسَنٍ
لَهَبٍ فِي الْقَلْبِ فَرْدُوسٍ لِعَيْنِي
غَيْرَ أَنَا لَا نَرَى الْفَرْدُوسَ إِلَّا
وَشَرِبْنَا مِنْ جَحِيمِ الْحَبِّ مُهَلًّا

* * *

لا تلمني أن قلبي خانني أو عشقتك
لم يكن مني إلا أنني قد رأيتك

* * *

كان في الدنيا جمالاً لا يُعدُّ ثم لحنا
فعدنا الحسن طراً فهو فرد وهو أنتنا

كأس على ذكرى

هاتها واذكر حبيب النـ	فس يا خير ثقاتي
ودع التلميح واجهر	باسمه دون تقاة
أترى نُحَرِّمُ حتى	ذكره في الخلوات؟
صفه لي صفه وما كا	ن بمجهول الصفات
غير أنني أمتع السمـ	ع بحظ الحدقات
صفه في عيني وما تعـ	دو به وصف الأضاة
صفه في قلبي لو اسطعـ	ت، وترجم زفرا تي
أترى أليق منه	باصطياد المهجات
أترى أملح من خطـ	رتـه بين الخطرات
أترى أصبح من خد	يه بين الوجنات
أترى أعـدل من قا	مته في الصعدات
ذهبي الشعر ساجي الطـ	رف حلو اللفـتات
وحـيُّ لا يحـيـ	ك بغير البسمات
جاهل بالحب أشكو	ه ولا يدري شكاتي
وغرير القلب لا يفـ	هم معنى نظراتي
ودَّ لو يسأل ما لي	مستهلَّ العبرات

من أفدّيه بذاتي	وإذا قلت شجاني
يه لو شاء نجاتي	ليس ينجيني وفي كف
ن غليظ القلب عات!	قال ما أقساه من جا
... ..	
جَتُّ عليه حُرَّقاتي	صفه بل أمسك فقد ها
ني وضاعت أزماتي	جمع الوجد بأشجا
في طلاها حسراتي	هاتها صرفاً وأغرق
من هوى أو لا يؤاتي	عوضاً عما يؤاتي

الصبابة المنشورة

فهبي فقد يغشى الرفات المغانيا	صبابة قلبي أقبل الليل غاضياً
إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا	وقد تهجر الموتى القبور أمانة
مكانك قد أنوى وعرشك خاويا	وثوبي إلى الدنيا مع النوم فانظري
تربعت فيه قبل ذاك لياليا	ومُرِّي به مرَّ الغريب وطالما
على موثقٍ ألا تجيب مناديا	ولا تسألني مَنْ بالديار فإنها

* * *

يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا	بدا شبحُ عارٍ من اللحم عظمه
ويمشي به ليلاً مع الليل ثانيا	يقارب في قيد المنية خطوه
دعائي لميتٍ بالسلامة واهيا	وقال سلام قلت فاسلم وإن يكن
نعمت بها حيناً وما أنت ناسيا	مَنْ الطارق الساري؟ فقال صبابة
وعهدي به من قبلُ أزهرَ كاسيا	فقلت أرى جسمًا عرى من روائه
بشاشتها أيدي المنون المواحيا	جهلتك لولا مسحةً فيك غالبت
يد الدهر لا تُبقي من الشك باقيا	جهلتك لولا هزةً في جوانحي
عليك فكيف استل تلك المعانيا	ألا شد ما جار البلى يا صبابتي
وأنت التي أسكرت عيني صاحيا؟	أأنت التي أسهرتني الليل راضياً

وَأَنْتِ الَّتِي كُنَّا إِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ
وَأَنْتِ الَّتِي جَلَيْتِ لِي الْأَرْضَ جُلُوهَ
أَسْأَلُ عَنْهَا كُلَّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ
نَفَخْتُ بِهَا رَوْحًا فَغَرَدَ صَامِتٌ
فَلَمَّا أَلَمَ الْبَيْنُ لَانَتْ بِصِمَتِهَا
وَهَلْ يَسْمَعُ الصَّاعِي إِلَى الْقَبْرِ نَامَةً

تَوَلَّوْا وَجَدْنَا مَغْنَمًا فِيكَ وَافِيَا
أَسْأَلُ عَنْهَا الْأَرْضَ وَهِيَ كَمَا هِيَ
أَمَّا كُنْتَ فَيَنَانِ الْمَحَاسِنِ شَادِيَا
وَرَنَّمْ جَلْمُودٌ وَأَصْغَيْتُ لَاهِيَا
وَأَمْسَيْتُ حَتَّى يَأْذُنَ اللَّهُ صَاغِيَا
وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَعْبَدُ الْقَوْمِ ثَاوِيَا

* * *

نَعَمْ أَنْتِ لَوْلا سَاوَرْتُ مِنْ مَنِيَّةٍ
وَإِنْ امْرَأَةً مَاتَتْ خَوَالِجَ نَفْسِهِ
حَيَاةً لَهَا حَدٌّ وَلَا حَدٌّ لِلرَّدَى
كَمَا تَتَوَالَى يَقْظَةُ الْعَيْشِ وَالْكَرَى
إِنْ لِنَشْوِقُنَا الْحَمَامَ اشْتِيَاقُنَا

وَحَسْبُكَ سِتْرًا بِالْمَنِيَّةِ سَاجِيَا
لَقَدْ جَمَعَ الشَّرِينَ حَيًّا وَفَانِيَا
فَلَيْتَ الْمَنِيَا وَالْحَيَاةَ تَوَالِيَا
وَتَرَعَبَ أَنْوَارَ الصَّبَاحِ الدِّيَاجِيَا
إِلَى النُّومِ وَاشْتَقْنَا الْحَيَاةَ دَوَالِيَا

الهيّن الصعب

أَكْبَرْتَ قَدْرَكَ حَتَّى لَسْتُ أَدْرِكُهُ
فَإِنْ تَبَاعَدَتْ عَنِّي وَأَدْنَيْتَ لَهُمْ
يَا لَيْتَ أَنْفُسُنَا صَيَّغَتْ كَأَنْفُسِهِمْ
أَوْ لَيْتَ مِثْلَكَ يَدْرِي مَا نَهَيْمُ بِهِ

وَأَصْغَرُوكَ فَنَالُوا مِنْكَ مَا طَلَبُوا
فَمَا تَوَانَيْتُ فِي خَطْوِي وَلَا دَأَبُوا
فَلَا يَمْلِكُ عَنَّا الصَّدَّ وَالْعَجَبُ
فَلَا تُعْزِ عَلَيْنَا بَعْضُ مَا نَهَبُ

نضرة في الشتاء

يَا نَضْرَةَ فِي الشِّتَاءِ أَبْصَرَهَا
كَأَنَّهَا وَالْعَيُونَ تَنْهَبُهَا

أَبْهَجَ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ نَضِرَ
وَالنَّفْسُ تَرَوِي بِحُسْنِهَا الْعَطِرَ

ألف ربيع للعين مدخر بل ألف حبٍّ للقلب مختصر
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعا من حسن شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه في قبلة كوثرية السَّكرِ

إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرها ففيم الوقوف على الساحل؟
إلى الماء لا بل إلى السابحِ من لا بل إلى الغرق العاجل
فليس على البر إلا غريقٌ وإن لم يكن فيه بالنازل!
سواحه احتشدت كلها علينا فيا ويح للغافل

مائدة

مائدةً أسرف في طهيها عشرين عامًا عبقرئُ الزمانِ
أكرمنا الطاهي بها ساعةً فكيف بالمكرم يلقي الهوان
حسنٌ وأنسٌ وحياءٌ معًا وطلعة البدر ونفح الجنان
مدّت لنا طوعًا فما عُدنا إذا تركنا لقمةً في الخوان

لغير البيع

جواهر الحب قالوا غير زائفة مهلاً فما أنا فيه بائع شاري
كلا ولا أنا من شكٍّ ولا ولع بالسر عارض أحباري على النار
خذ معدن الحب إن ألفت معدنه إني قنعت بومضٍ منه غرار
ما للأناسي من حبٍّ يدوم ولا حب يقوم على صدقٍ وإيثار

ليلة البدر

هات لي الذكرى وجدّ ما مضى عندك الذكرى ورجعها معا
هات ما كان كما كان انقضى أو فجّدْ غيرَه مبتدعا
ليلة البدر وقد كان الرضا موعد الأهرام نبغي مطلعا
فقضى الله سواءه غَرَضاً

* * *

قد نوبنا ونوى الغيب لنا نيةً أمتع للمستمع
خُسِفَ البدرُ وأمسيَتْ أنا أدّعي من نشوة ما أدعي
كلما ناديتني هيا بنا قلت هيا وأنا في موضعي
السنا عندي فما لي والسنا

* * *

خسف البدر وما كان الخسوف شيمة البدر الذي بين يدي
نشر الناس وطافوا بالدقوف وأنا والبدر في نشر وطي
خل من شاء كما شاء يطوف إن بدري طالع منه إلي
لا أحب البدر ترعاه الألف

* * *

يا سمير الليل يا نعم السمير ما لنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروضٍ وعبير حينما ألقاك لا ألقى سواك
رشفةً من ثغرك العذب النضير أو من الكأس احتوتها شفتاك
وسلامٌ أيها الكون المنير

* * *

هات لي من فيك أنفاس الغرام أو فقل إن شئت أنفاس الحياة
واسقني الخمرة من أعذب جام لا من البلور في أيدي السقا
ثغرك الضاحك كأسٌ ومُدَام ونديمٌ لي وراي في الرواة

ديوان من دواوين

ينشد الشعر فيشجيني الكلام

* * *

ينشد الشعر جديدًا كالصبا وأنا ناظمه منذ سنين
بث فيه من صباه عجا فإذا قلت ارتجالاً لا تمين
هات لي الحسن وهات الأدبا واسقني الخمر من الثغر المبين
ذاك حسبي في زماني مطلباً!

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء!
خوني فما أسهل التقصّي عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل في حسابي فَقَدْكَ يا زينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذي يعقب الشكوى فحبي من النعمى وليس من البلوى
بذلت له ناري ثلاثين حجةً فلا نار بعد اليوم لليوم للحلوى

لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيبتة: «لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما
على الأرض من بحر، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي،
ولأعطيتك الهيولى، وما في أحشائها من رحم خصب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات
والعالمين؛ ابتغاء قبلة واحدة!»

وسئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟» فقال:

أعطيك كيف وما العطاء بخير ما بل لو غدوت كما اشتهيت وأشتهي فترين أنك حين فزت بحظوتي وتسيطرين على الصروف وفوقها إن كان رب الكون عندك قلبه وبكل شمسٍ في السماء وضِيئةٌ	تبدي القلوب من الغرام الصادق؟! رباً أخذتك أنت أخذ الوثائق أحلى وأجمل من جميع خلائقي نبضات قلبي المستهام الوامق أهون لديك بأنجمٍ وصواعق وبكل بحرٍ في البسيطة دافق
--	---

ماذا عليه؟

ماذا عليه إذا استوى هذا القوام جماله أننى تمايلَ عطفُهُ أشتاق بعض نفاره	وإذا التوى ماذا عليه؟ مهما تعسّف في يديه! مالت جوانحنا إليه شغفاً برؤية صفحتيه
--	---

ملتقى الربيع

هات الربيع الغض لي كله إن فاتني جمعُ أزاهيره	في روضةٍ بل طلعه بل شفه في قطفةٍ فالرأى أن أرشفه
---	---

نبضات جديدة

خفقاتُ تلك من وزنٍ جديد ذلك الوجه وما العهد بعيد	أيها القلب فأسمعني صداك أنت تهواه فلا تنكر هواك
---	--

* * *

أنت تهواه وتسعى بي هنا كل يوم بعد يوم كي تراه
لا تراوغني وقل هيا بنا في صريح القول نستجلي سناه

* * *

نحسب الرقة فيه ألماً فإذا أنت من الوجد تذوب
لا يكون الحب إلا هكذا أنا لا أجهل أسرار القلوب

* * *

كاصفرار الشمس في ثوب الغروب واصفرار العاج في ثوب القدم
ذلك اللون نسميه الشحوب وهو في الحسن شفيق للسقم

* * *

رحمةً للقلب من ذاك الوجيه صيغ من نوبي حنان وحنين
كلما رفرفت بالعين عليه شبه الفرحان عندي بالحزين

* * *

إن أشأ قلت خيالاً في الكرى أو أشأ قلت عياناً لا خيال
جُمع الأمران لي فيما أرى حين صَحَّ الحُلم في خير مثال

جمالٌ يتجدد

كلما قلت لي الربيع جميلٌ قلت: حقاً وزاد عندي جمالا
عجباً لي بل العجيبةً عندي صور الكون كم يسعن كمالا!
خلتني قد وعيتهن عياناً وتتبعن من وعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتب قرأ الكتب دارساً فأطالا
فإذا نظرةً بلحظك تبدي صوراً ما طرقت عندي بالا

بعدد الأنوار في أعين الحـ ب نعد الأكوان والأجيالا

اليوم الموعد

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى	شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً
أسرع بأجنحة السماء جميعها	ودع الشمس تسير في داراتها
ما ضر دهرك إن تقدم واحد	...
...	...
يا يوم موعدها ستبلغني المنى	لا غصن رابية تقصر راحتي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي	فأبيت ثم إذا احتواني أفقها
فرحي بصبحك حين تشرق شمس	...
...	...
وتتم لي الفردوس خير مُتمِّم	عنه ولا ثمر يعز علي فمي
حتى أثوب على قدومك فاقدم	لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم	...

الحب المثل

كأنني مثلاً وحسنك تمثالي	فما أتمنى فيك معنى أريده
وأحلام قلب فيك تسري كأنها	تجول بأشكال الخيال وتنثني
إذا ما تمشت فيك معنى لمستها	إذا اقترحت عيني فأنت مجيبها
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى	عجائب حب ما خطرني على بال
من الحسن إلا وافق الحسن آمالي	خوالق أيدي الفن في الذهب الغالي
وقد أسعدت منك العيان بأشكال	محاسن أعطاف ورقة أوصال
فهل منك أو مني صياغة تمثالي؟	غني على وفر من الوقت والمال

فما فيك من نقص ولكنما الهوى نوازغُ شتى لا تقرر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعي لكل حبيب في الصبا ألف سربال
وأجمل من صوغ الدُّمى صوغ دمية لها زينتها من حياة وإقبال

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاءِ
تجربةً في البحر والسماء
جربها «مفصل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ في الأزياء
مجوّد الإتيقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزُّبد الوضّاء
زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبَّلٌ مبتسم الأضواء
مرّدّ الأنغام والأصداء
وقبله منه على رضاء
غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء
وعنك يا دنيا بلا استثناء

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمر
جمعتهما أنا في لثمة
فما زال يلحظه جهره
ويزعمها قبله من أخ
ولو شئت ظللت وجه الحبيب
ولكن كرمت فخذ يا قمر
نظيران يستبقان النظر
أو البدر قبله فابتدر؟
ويغمزه من وراء الشجر
ففيم إذن قطفها في حذر؟!
ولو شئت كللته بالزهر
من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره
فقال وقد فاض منه الرضا
على مثل هذا تطيب الحيا
فقلت أجل ما أحب الحيا
لأجلك يصفو لها من صفا
وباسمك يعذرهما من عذر
وهز الحبيب حنين السهر
وسرّ بفيض رضاه وسر
ة وفي مثل هذا يروق السمر
ة وأنت شفيع لها مدخر
وإسماك يعذرهما من عذر

دنيا مقلوبة

صوت النذير الذي أبقاك خائفة
أو البشير الذي يدعوك ثانية
الحب والحرب واويلا قد اجتمعا
على ذراعيّ قولي كيف أخشاه؟
إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه؟
في القلب فانقلبت أحوال دنياه!

ساعي البريد

هل ثمَّ من جديد يا ساعي البريد

* * *

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطو كل باب يا ساعي البريد

* * *

ما ذلك التنسيق والجمع والتفريق
والقفز والتعويق يا ساعي البريد؟!

* * *

كسوتك الصفراء والخطوة العرجاء
يمشي بها الرجاء يا محنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا في مشية العجالي
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات في حاضر وآتي
إلا على الميقات ميقاتك الوئيد

* * *

في شرفتي أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتني مميتها
لقيتها لقيتها يا ساعي البريد

* * *

جددت لي انتظاري وقلعة اصطباري
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أَكْرِمُ به من ثمر منتظر مدخر
في كل يومٍ مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفًا بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور في ساعة البريد

* * *

في لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماضٍ تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبدًا مريدي بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعي البريد

عجب الساعي

عجب الساعي الذي كنت له
إن من تحضر لي أخباره
ألق إن شئت وطابًا حافلًا
الطريق الآن لا أرقبه
ولك الشكر ولي العذر فلا
لا تذكّرني نواه بعدما
أبدًا في شرفتي منتظرا
أيها الساعي بخير حضرا
لا أبالي لحظة إن صفرا
لأرى وجهك لكن لأرى
تظهر الآن فما قد ظهرا
كنت تروي عنه ذكرًا عطرا

تسَلَّم

تسَلَّم هذه الدنيا كما خَلَفْتَهَا عِنْدِي
وحاسِبُهَا عَلَى قَرَبٍ بما تَجْنِي عَلَى الْبَعْدِ

* * *

تسَلَّم هذه الشَّم سِ التِّي تَوْنَسُ أَوْ تَهْدِي
لَقَدْ كَانَتْ هِدَايَا اللَّهِ هِ مَكْسَالًا مِنَ الْمَهْدِ
تَجُوب الْأَفَقَ فِي جَهْدٍ وَمَا تَسْرِعُ بِالْجَهْدِ
وَكَانَتْ تَحْجِبُ الْأَنْوَا رَ أَوْ تَبْدِي فَلَا تَجْدِي
وَكَانَتْ شَعْلَةً حَرَّى مِنَ اللُّوْعَةِ وَالْوَجْدِ

* * *

تسَلَّم هذه الْأَطْيَا رَ وَاسْأَلْهَا عَنِ الْعَهْدِ
تُغْنِي الْآنَ فَاسْأَلْهَا أَغْنَتْ قَطُّ لِي وَحْدِي؟
وَأِنْ غُنَّتْ فَهَلْ كَانَتْ سَوَى نُوحٍ لَهَا مُعْدِي
وَأِنْ أَعَدَتْ فَهَلْ تَعْدِي بَغَيْرِ الشَّجْوِ وَالسَّهْدِ؟
نَعَمْ سَلِّهَا جَزَايَا اللَّهِ هِ: أَيْنَ تَحِيَّةُ الْوَرْدِ؟
وَأَيْنَ تَحِيَّةُ الْفَرْدِ؟ وَأَيْنَ تَحِيَّةُ الْفَرْدِ؟
لَقَدْ كَانَتْ لِحَايَا اللَّهِ هِ تَطْوِيهَا عَلَى عَمْدِ
فَسَلِّهَا فِيمَ تَطْوِيهَا وَفِيمَ تَضُنُّ أَوْ تَسْدِي

* * *

تسَلَّم أَنْجَمَ اللَّيْلِ بَلَا عَدٍّ وَلَا حَدٍّ
تَسَلِّمَهَا وَكَاشَفَهَا بِمَا تُخْفِي وَمَا تَبْدِي
وَسَلِّهَا كَيْفَ ضَلَّتَنِي وَمَا ضَلَّتْ عَنِ الْقَصْدِ
وَفِيمَ تَغَامِزُ مِنْهَا إِذَا حَيَّرَنِي قَيْدِي
نَعَمْ قَيْدِي الَّذِي فِي النَّفْسِ سِ لَا فِي صَفْحَةِ الْجِلْدِ

أهزلاً تهمس الأنجب — م أم تهمس عن جدّ؟

* * *

تسلم زهرك المحبو	ب في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العين	تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ	س حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يوصي	بغير الهم والزهد
فما عن لومه في ذا	ك يا مولاه من بد!

* * *

تسلم هذه الدنيا	كما خلّفتها عندي
بحمد الله تلقاها	كما تلقاك بالحمد
فخذها راضياً عنها	وعني وعن الود
وعلمها إذا ما عدت	لا عدت إلى البعد
أماناً في مغيب منـ	ك أو في محضرٍ رغد
فما تسمع لي قولاً	إذا ناجيتها وحدي!

ثرثارة

أراك ثرثارة في غير سابقةٍ	فهاث ما شئت قالا منك أو قילה
ما أحسن اللغو من ثغرٍ نقبله	إن زاد لغواً لما زاده تقبيله

زمن محل

أَمَحَلَّ الدهر واطَّرد	لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظار لموعِدٍ	أو هيامٌ بمن وعد

كل أيامنا تسا	وين في الوسم والعدو
صبحها مثل ليلها	والتقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها	وبها العمر لم يزد
لم تزد ماضيًا وقد	نقصت مقبل الأمد

إساءة مشكورة

إليك مني الشكر حتى على	إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتني منك فأنجيتني	من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق	تعرض العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياً له	كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامئ تريقها	أن ينظر الغصة فيما انتظر

صنوف حب

عرفت من الحب أشكاله	وصاحب بعد الجمال الجمال
فحب المصور تمثاله	عرفت وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدّه	وحب التصوف لم يعدني
وفي كل حب ورى زنده	سمات من المؤمن الدين

* * *

وحب التي علمتني الهوى	وحب التي أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى	ومن بالقوى أنا أمدتها

* * *

... ..
صنوف من الحب لا تلتقي وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنت كفؤاً لهذا الهوى

هذا هو الحب

غريراً تسأل: ما الحب؟
بنييتي! هذا هو الحب!

الحب أن أبصرَ ما لا يُرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغَ الحقَّ ما سرّني فإن أبى فالكذب المفتري

* * *

الحب أن أسأل: ما بالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهراً وما فُكِّرا؟

* * *

الحب أن أفرّق من نملّة حيناً وقد أصرع ليث الشرى
وأن أراني تارةً مقبلاً وخطوتي تمشي بي القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لي سكرت؟ همّ القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائلٌ نعم ولا أحفل أن أسكرا
الحب أن يفرق أعمارنا عهدان والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتني ألفتني الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا أثرا
الحب أن أجمع في لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وأُنني أخطئ في لهفتي من منهما روى ومن سَعرا

* * *

الحب أن يمضيَ عامٌ وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقتُ في ساعة حواشي الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتي هذا هو الحب
فهتمته؟ كلا ولا عتب!
مسألة أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها لو شفت حسب
إشارة دقّ لها القلب

الحب

ما الحب روح واحدٌ في جسديّ معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما في الجسدين
ما انتهى من فرقةٍ أو رجعةٍ طرفة عين

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليلٌ على المودة حسبي

* * *

ألم أتل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسيرٌ مطوقٌ بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه: هل مر منه إليّ طيفٌ غريب؟

* * *

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني ما زلت في إصبعيك

ليلة الوداع

أُبْعِدًا نُرَجِّي أم نُرَجِّي تلاقيا كلا البعد والقربى يهيجُ ما بيا
إذا أنا أحمَدُ اللقاء فإِنني لأحمد حينًا للفراق أياديا

ألا مَنْ لنا في كل يومٍ بفرقةٍ تجدد ليلات الوداع كما هيا
ليالٍ يبيح الدَّل فيها زمامه ويُرخّص فيها الشوق ما كان غاليا

* * *

ويا ليلتي لما أنست بقربه وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعاليا
تَطَلَّعَ لا يثني عن البدر طرفه فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
بنا أنت من بدر وددت لو أنه على الأفق يبدو أينما كان ثاويا
غداً تنظر البدر المضوئ فوقنا وحيدين من دارين لم تتلاقيا
أشمُ شذى الأنفاس منك وفي غد سيرمي بنا البين المشت المراميا
وألثمُه كيما أبرد غلتي وهيهات لا تلقى مع النار راويا
فقبَلْتُ كفيه وقبلت ثغره وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا ندوذ البين بالقرب بيننا فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادي طائر عاد إلفه إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضامنا ليسكن خفقه تنزى فيزداد الخفوق تواليا
أوشجُ في كلتا يديه رواجبي وشيخاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفي شعره فكأنني أعارض سلسالاً من الماء صافيا
وأشكوه ما يجني، فينفر غاضباً وأعطفه نحوي فيعطف راضيا
أقول له يكفيك أنك قادرٌ على أمل أعيا الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا ليالي أعيا منحهن اللياليا
قدرت ومن يقدر على السعد لم يكن جميلاً به أن يترك الخلَّ شاكيا

* * *

وناعبةٍ صاحت ولليل هجعةً فقال علام البوم ينبع ناعيا
لقبحت من عمياء تقرأ في الدجى إذا اسودَّ أسطار الخراب الخوافيا
فقلت على النفس التي سوف تغتدي طولاً بأحناء الضلوع حوانيا
تجوس أفاعي الحزن في جنباتها ويا ربما تأوي الضلوع الأفاعيا
فلا تحسبنَّ البوم تنعى المغانيا فقد تندب البوم النفوس البواليا
وكم وحشةً للنفس يخشى اقتحامها أخو غمراتٍ ليس يخشى الفيافيا

* * *

ولما تقضى الليل إلا أقله
فأقبل يرعاني ويبكي وربما
وزحزحني عنه بكف رفيقة
يقول لقد ران الكرى وتفرقت
فقلت وكم من ليلة إثر ليلة
فهب لوداعي من رقادك ليلة
حرام علي النوم ما دام هاتف
وأسلمت كفي كفه فأعادها
فلم أر ليلاً كان أبيض مطلعاً

وحان التنائي جشت بالدمع باكيا
بكى الطفل للباكي وإن كان لاهيا
وأسبل أهداب الجفون السواجيا
نجوم الدجى والديك أصبح داعيا
سهرت وقد أمسيت وحدك غافيا
تمر فإني قد وهبت حياتيا
من الليل لا ينسى إذا بت ناسيا
وقلبي فهلا أرجع القلب ثانيا
وأسود أعقاباً وأشجى معانيا

الخمرة الإلهية

على طريقة ابن الفارض

... ..
يدور بها الساقى علينا كأنها
جرت في صفاء الدمع وهي دواؤه
تنير فلولا أن تسيل رحيقها
يكاد إذا طاف الغلام بجامها
لها في يمين الشاربين توهج
تلوح كماء المهل أما مذاقها
تشابه في عين النديم وما انتشى
كنوس كجام السحر يكشف وحيه
إذا طاب في الفردوس رياً نسيمها
ولو مزجوا بالخمرة طينة آدم

... ..
مباسم ثغر والحباب ثناياه
فمن ذاتها لم تجر بالدمع عيناه
لقلت لظى أذكى النسيم شظاياه
يرفرف حوله الفراش ويغشاها
إذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه
فمن سلسيل الخلد في طيب سقياه
فوارغ صف كالثريا وملأه
لعينيك من سر العوالم أخفاه
فأطيب في دار الشقاوة رياه
لعاش ولم يد القطوب محياه

حسناء عمياء

لك في الكون المنير	قرة العين عزاءً
س هو الآن أسير	إنَّ طَرْقًا يأسر النا
نيك هيهات يحور	إن سحرًا غاض في عي
عنك يا أخت البدور	صدت الشمس ضياها
ما له الدهر بكور	غربت عنك غروبًا
ح معارُ فتعير	ليت نور العين مصبا
ن من الحسن الضرير	ليس أولى ببكا العي
كون مكفوف حسير	وجمال عن جمال الـ
أن يُرى غيرَ بصير	مطمح الأبصار بدعُ

من تقليد «نشيد الأناشيد»

وهايك خطاياها	أجل تلك خباياها
حذي يُدعى مزايها؟	فهل تدرين ما ذاك الـ

* * *

سننساه وننساها	لما فيها من العيب
سنحبي الآن ذكراها	وللحسن الذي فيها

* * *

ب منها، وهو كالشمس	سأحصي لك ما يعجـ
ب بعد السعي والدس	كما أحصيت ما يغضـ

* * *

وهل ذقت ثناياها؟!	ثناياها ثناياها
-------------------	-----------------

مناجاة

وعيناك ويا للقلـ ب كم تسبيه عيناها؟!

* * *

وتلك الوجنة الخمر ية السكران رائيها
أفي الجنة يا رضوا ن تفاح يحاكيها؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلو ة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشـ ية في النور السماوي؟

* * *

دعيها تفسد الخمسيـ ن إفساد ابن عشرينا
وحاشا بل هي الإكسيـ ر باسم الحب يحيينا

* * *

وعندي من حُمياً الشعـ ر إكسيري وترياقـي
وهل كالشعر في الدنـ يا ربيع دائم باقي!

مزيج

ما الحب من محض الصدا
الـب فيه الخصلتا
أحلى الصداقة والعدا
فيه العطاء والاغتصا
قة يا بني ولا العدا
ن وفيه مزجهما سواء
وة يمزجان لمن يشاء
ب وقل على الدنيا العفاء!

ندم

عشقتك مُكْذِبًا خلقي ورأيي وعفتك صادقًا لهما أمينا
وما أخطأت في لومك يومًا وقد أخطأت في عذرك حينا

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعته إلى رجعه موقوف عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه وترحبين بما تلاه
ويُجِي إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه

* * *

هي قبلة ضُمَّت عرى عامين فاتصلا اتصالا
ومنى الخواطر في غدٍ عام كسابقه مآلا
لا تعجلن به فما أقسى الحياة على العجالي

* * *

لا لا فهذا يومنا وغدٌ وبعد غد خفاء
أنا مغمض عيني ومس تتمع إلى حادي الرجاء
فإذا سمعت حذاءه فدعيه يمضي حيث شاء

وعام ثان

بشرای ما أنا شاهدٌ یا عام وحدي ملتقاک
دارت بروجک والهوى یخطو وتتبعه خطاک
وحمدت وجهک مقبلاً ومضى فلم أذمم قفاک

هذي فتاتي هذه! هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها هي في الصبا هي في حلاه
هي في غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

ضمي تُغَيِّرْ يا بني ة وابعثي منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ولكن بالقبل
إن ساعفتني ليلة فدعي العهود إلى أجل

عام تفتِّح بالرجاء ء وبالرجاء ختمته
ودعت ذاك العام في قربي كما استقبلته
قولي وقد ولى أفي شرع الوفاء قضيته؟

لا تخدعيني يا بني ة بالوفاء من اللسان
حنًا وحنّت ولا أقو ل سلي فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معًا والآن نحن الباقيان

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمّة تبقى ولا يبقى الوفي، ولا الخئون

كم ذمة ضيعتها يا عام في تلك الغضون!

* * *

انظر ألسـت ترى فتا تي حيث كنت ضممتها
في جلسة الأمس التي حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت صدري ولا فارقتها

* * *

وإذا سألت وربما جاء السؤال بلا كلام
ماذا تقول مودعي والليل يومئ بالسلام
حيرتني يا عام فاسـ تمع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندي أيـهـ ذا العام كلك بالسعيد
لكن سويعاتُ مضت لي فيك تنسي ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها ووطغت على العام الجديد

* * *

حسبي من الدنيا الذي أعطت ودنيانا غرور
حسبي قليل عطائها وقليلها أبداً كثير
إن عاد يوم غدٍ كأمـ سِ فـدُرُ زمان كما تدور

اكذبيني

اكذبيني واكذبيني كلما شئت اكذبيني
ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني
أنا في ثروة وفر منه مهما تسلبيني
أنقصيها أيُّ ضيرٍ؟ درهماً أو درهمين!

المرأة والخداع

حب الخداع طبيعَةٌ فيها	خلُّ الملام فليس يثنيها
ورياضةٌ للنفس تحييها	هو سترها وطلاء زينتها
من يصطفِها أو يعادِها	وسلاحها فيها تكيد به
من طول ذلُّ بات يشقيها	وهو انتقام الضعف ينقذها
ما لم يُرده قضاءً باريها	أنت الملووم إذا أردت لها
تخلص إلى أعلى غواليها	خُنْها ولا تخلص لها أبدًا

الحب أحرق

وخيالُها في ناظرٍ معلق	لم أدِر كيف يتاح لي نسيانُها
كانت هواي فلا أكاد أصدّق	حتى نسيْتُ فعدتُ أذكرُ أنها

مصيبتان

في حبها ليست بذات وفاء	قالوا اسألْها ودع البكاء فإنها
أبكي لمن لا يستحق بكائي	ومصيبتِي فيها اثنتان لأنني
لمن استحقَّ أسأه بعضُ عزاء	من كان يبكي الأوفياء ففي الأسى

عجائب القلب

صُبْحًا ومُسَيًّا، وفي سر وإعلان	تلك التي كنت أعليها وأذكرها
فاليوم أرحمها من فرط نسياني	قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرِها
عزَّت نظائرها في العالم الفاني	عجائب القلب ويلي من عجائبه

فراغ ... فراغ

فراغٌ باردٌ شات	بلا ماضٍ ولا آت
أأمواتٌ؟ نعم لكن	نحس فناء أموات
ويا بؤس الفناء نحسـ	هـ في كل ميقات

الصحوة الكبرى

متجردان ويملكان سعادة	لكليهما لا يحتويها العالم
يتمليان الصحوة الكبرى وقد	سعدا بأسعد ما يراه الحالم

معجزة وبرهان

أطفأت مني الليالي	شُعَلًا بعد شُعَلْ
من غواياتي وأحـ	لامي ومن برق الأملْ
قلما يومض فيها النـ	ور من نار القُبْلْ
عجبًا لكنه وهـ	و عجبٌ قد حصلْ

* * *

عجبًا والدهر لا يفـ	نني أعاجيب الحياة
مفرقٌ شاب يُشـ	بُ الحبِّ في قلب فتاة
شركٌ صاد - ولم أنـ	صبه - صيَاد البُزاة
وقديمًا كان إن دا	ر على الصيد نصل

* * *

لو لسانُ قاله لي	لم أصدّق ما يقولْ
------------------	-------------------

غَيْرَ أَنَّ الشَّوْقَ فِي خَدِّكَ يَسْرِي وَيَجُولُ
مَزْهَرًا بَعْدَ ذُبُولِ مَشْرِقًا بَعْدَ أَفُولِ
قَسَمُ فَاهُ بِهِ قَلْبُ بَيْتِكَ بَلْ وَحْيٍ نَزَلَ

* * *

أُحَوِّجُ الْوَحْيَ إِلَى مَعْدِنِ جِزَّةٍ وَحْيٍ عَجَابِ
عِنْدَ قَلْبِ كَافِرٍ بِالْإِسْلَامِ يَغْلُو فِي ارْتِيَابِ
يَا رَسُولَ الْحَبِّ أَمْنٌ لِي فِي كَفْيِ الْكِتَابِ
طِفْلَةٌ تَهْفُو إِلَى الشَّيْءِ يَبِ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلُ!

* * *

حِينَ لَمَّحَتْ تَغَابِيهُنَّ، وَلِي وَاللَّهِ عَذْرُ
وَأَنْتَنِي التَّلْمِيحُ كَالْتَّصَرُّعِ وَالشَّكُّ مُصِرُّ
ثُمَّ طَاشَ السَّرُّ حَتَّى كَادَ يَسْعَى وَهُوَ جَهْرُ
وَتَلَاقَيْنَا فَمَاذَا كَانَ؟ بَرَكَانَ جَفْلُ

* * *

خَابَ شَكِّي وَأَنَا الْآخِرُ بِمَا خَابَ سَعِيدُ
وَسَعِيدُ كُلَّمَا خَابَ بَبْرَهَانُ جَدِيدُ
بَيْنَ حَسَنِ فَيْكِ يَزْدَا دُؤْلُ وَإِقْبَالُ يَزِيدُ
وَسَلَامُ شَاعَ فِي نَفْسِكَ كَاللَّيْلِ شَمْلُ

* * *

يَا فَتَاتِي هُوَ مَنْ رَبِّكَ وَاللَّهِ قَدَرُ
قَدَرُ أَرْحَمَ مَا حَمَّ عَلَى قَلْبِ بَشَرُ
أَغْمَضِي عَيْنَيْكَ وَأَمْضِي فِيهِ أَيَّْانُ اسْتَقَرَّ
وَاطْمَأْنَيْ مَا قَضَى اللَّهُ قَضَاءً فَارْتَجَلُ!

* * *

صاغه الله عجيبًا ومحا عنه عجيبًا
غير بدع أن يهيج الشـ رر الحي لهيبا
إنما البدع لهيب يبتغي منا شبوبا
كله إن جل أو قل من الشمس وصل

* * *

نحن في الآفاق قربي بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد وهو ملء الأفق رمضا
إن في النور لقاء صنوه بالصنو يرضى
رُبَّ نجمٍ منك لو لا شررٌ مني أفل

انتقام جيتي

يا صديقي القديم «جيتي» اعتذارًا لك من سوء ظنّتي وملامي
كنت أنعي عليك حبك في السـ تين بنت العشرين، فاغفر ملامي
وأراني على ملائك من قبـ لُ لحبِّ دون الثمانين دام
فانتظرني فقد يجيء اعتذاري لك طوعًا في مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفـ لنا عليها انتقمت خير انتقام!

إلى الشفاه لا إلى الأذان

فيم أروي لك شعري؟ أنا أدري أنا أدري

* * *

أنا أدري يا فتاتي حيث ألقى بالأغاني
إن شعري سمعته شَفَتَانِ ... شَفَتَانِ!

مناجاة

ها هنا سربُ إلى القلب ب الذي أعنيه دان

* * *

رفَّ شعري حيث رفَّت بالأمانى قبلاتي
وتصفَّحت صداه قبسًا في الوجنات
هو من ثغر فتاتي وإلى ثغر فتاتي

* * *

فيم تسعى رحلتي بيد من المعاني وتطولُ
ها هنا الشعر وموحي الـ شعر يصغي ويقولُ
كل إصغاءٍ لعمري بين هذين فضولُ

مزج

سمَّيتني باسم اللدات وبيننا عمرٌ كعمرِكَ أو يزيد قليلا
مزج الهوى العمرين في جيل فلا تقديم بينهما ولا تأجيلا
ومحا الفوارق كلهن فلم يدعُ غيرَ الهوى جيلاً لنا وقبيلًا

لفاع

لفاعك في عنقي كالوفا ٤ يطوِّق جيدَ السميع المجيب
مكان ذراعيك أولى به نسيج يديك السخي القشيب

* * *

إذا فاتني منك طيب العنا قِ فلسواي منه بديل قريب
فلا أُحرِّمُ الدفءَ عند اللقا ٤ ولا أحرِّمُ الدفءَ عند المغيب

رأيت

رأيتُ النهرَ ظمآنَ	إلى البیداءِ يرويها
رأيتُ الزهرَ مشتاقًا	إلى الأطوادِ يُحليها
رأيتُ الليلةَ الليلا	ء والكوكب حاديها
رأيتُ الحانَ تنساب	إلى أفواه حاسيها
رأيتُ العَجَبَ العاج	ب في الدنيا وما فيها
شبابًا هام بالها	مة قد شابت نواصيها
إخال الحب يستح	دث ترويحًا وترفيها
ألا فليَلُهُ ما شاء	فما تفنى ملاهيها

من الأستاذ عماد

يا حزينَ النفسِ أعطيتَ مناها	فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصّها اختيارًا واكتناها	إن من خاف من الجن يراها

* * *

... ..	
لا تقل يا وردتي شوكتك أينا	ما علينا منه فيها ما علينا؟
إنها أخفته عنا فانتبهينا	حسبنا الوردة رفّت في نداها

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها	نصحك الصادق لو تُشَفَى شفاها
محنةً تبلغ في يومٍ مداها	ما تراني صانعًا، أو ما تراها؟

* * *

ناصحي أنت بزهرى أنتشيه لا أبالي الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقي أتقيه يخرق الدرع وإن دقت عراها

* * *

وردتي يا صاحبي في الورد بدع! بدعها طبع وكل الورد طبع
طبعها كالفتح ينهك ويدعو وبلاء النفس في مس جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد فهل نحمد قيدا؟ الجنى، يا ويحها، أشهى أذاها!

* * *

وردتي أفتها فرط التحدي جاوزت في كل شيء كل حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكتها أنفذ من شوك سواها

* * *

أتراني ناعلي والقلب دام وسعار الجرح يمشي في عظامي
لذة العيش بوشى ونظام وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآه من سقامي آه من صلحي، وآه من خصامي
آه من شمسي وآه من ظلامي آه من لذعة آه في جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخانا ليضيء اللهب الخافي عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آهٍ لحاها الله جدًّا لا تزل خالدة في النار خلدا
من قلوبٍ تلتظي حبًّا وحقداً حرقت آهاتها آهًا فأها

* * *

أنا لا أطلقها حتى تذوبا في لظاها كلما شبت شبوبا
وأراني يا صديقي لن أتوبا فإذا تابت عرفنا منتهاها

مترجمات

فينوس على جثة أدونيس

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكا يستجيشها	فما راعها إلا اصفرارٌ عليهما
وجست يدًا كانت نطاقًا لخصرها	فلا رمقًا فيها تُحسُّ ولا دما
ومالت على أذنيه حتى كأنه	ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما	سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها	جمال محيّاها فوارهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجملَ مبصرٍ	فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال برغمي إنك اليوم ميت	وإن الضحى لمّا يزل متبسّمًا

* * *

ألا أيُّ هذا الحبِّ إنك بعده	ستصبح داءً في الجوانح مسقما
ستصبح أنى سرت ترعاك غيرة	بعين تريك الوهم صدقًا مجسّمًا
ستقبل محمود الأوائل سائغًا	وتدبر مشنوم العواقب مؤلما
وإنك إمّا عن مرامك قاصرٌ	فتأسف أو مجتازه متهجما
عذابك بالصفو الذي فيك راجح	وماؤك ممزوّجٌ به الري والظما

* * *

لجوجًا ملولًا جافيًا متبرمًا	بلى سوف تعدو أيها الحبُّ كاذبًا
وترمي بك الأنفاس في كلِّ مرتمة	يطير بعطفك النسيم إذا سرى
بكأسٍ تغر الحاذق المتوسما	تطوف وما أحلاك يا حبُّ ساقيًا
وما ضمنت إلا سماً وعلقما	بكأس حوافيها نعيمٌ ولذة
فتعرقه إلا مشاشًا وأعظما	تهد قوى الثبت المريرة من جوى
فصيحا ويغدو مدره القوم أبكما	وتنفخ في روع العييِّ فينبري

* * *

وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما	ويا حب تعفو عن كبائر جمّة
فيضري، وتنهى الضاري المتقما	ويا حب تُضري من يدبُّ على العصا
منحت كنوز المال من كان معدما	وتبتزُّ أموال الغني وربما
ويا ويح قلبٍ وامقٍ من كليهما	عرامة مجنونٍ ورقة مائق
ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما	وقد يحلم الفتيان في ميعة الصبا
عسوفًا إذا ما الخوف قد كان أحزما	هيوبا ولا شيء يُهابُ لقاءه
وأنت بأن تقسو جديرٌ وترحما	وترحم أحيانا وفيك قساوة
وأصعب شيء أنت إن قيل أسلما	وأخدع شيء أنت إن قيل منصفٌ
ووسوست في قلب الجريء فأحجما	وإن شئت أزجيت الجبان فأقدما

* * *

على الناس سيلا جارفًا أو جهنما	ألا أيها الحب الغوي ألا انطلق
فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما	ألا ولتفرّق والدًا عن وليده
وترسلها شعواء في الأرض والسما	وكم فتنة يا حب توري ضرامها
أحق امرئ فيه بأن يتنعما	ألا وليكن أشقى الأنام بحبه
وجار الردى الباغي عليها فصمما	نبوءة ولهى رُوغت في حبيبها

العرض

معربة عن شكسبير

أرى الذكر للإنسان أنفَسَ جوهرٍ
وما سارقي من يسرق المال إنني
تقلب في الأيدي فقبلك كاسبٌ
ولكن من يسلب من المرء عرضه
يضيع على المثلوب زينة نفسه
تزان به أعراضه ومناقبه
أرى المال من يظفر به فهو صاحبه
حواه وقد يحويه بعدك كاسبه
فذلك في شرع الحقيقة سالبه
وليس يفيد العرض من هو ثالبه

الوداع

معربة عن بيرنز

قبلة بعدها يطول الفراق
سوف أبكيك والمحاجر شكري
سوف أدعوك في الدجى بأنين
كيف يشكو من عثرة الجد ظلمًا
بيد أنني درجت في ظلمة اليأ
لست ألقى على الهيام فؤادي
من رآها فكيف يسلو هواها
آه لولا صبايةً وغرامٌ
ما غدونا ولي فؤاد كسير
فسلامًا يا قرة العين والقلـ
حاطك الله بالسعادة والحب
قبلة بعدها يطول التناهي
وعناقٌ وليس بعدُ عناق
بدموع من الفؤاد تراق
وزفير في الصدر منه احتراق
من محياك نجمه الألاق
س فحولي من الظلام نطاق
قدّر الحب دفعه لا يطاق
يعشق القلب إذ ترى الأحداق
قد شربناه والكئوس دهاق
وجبين سيماءه الإطراق
ب وأحلى من صورّ الخلاق
ورواك ماؤه الرقراق
وعناقٌ أوّاه! ثم افتراق

لا طلع الصباح

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجولييت

كأن الدهر شيمته السماح	أُمتعدُّ وما اقترب الصباح
فخلت الليل ينعاه الصباح	أرأعك صائح الطير المغني
فليس عليك من رفقٍ جناحُ	ترفق لا عدمتك من حبيبٍ
فيطر به كما شاء النواح	فذاك البلبل المسكين يبكي
على رمان دوحتنا جناح	يرف له وجنح الليل داج
لقد والله جد بك المزاح	أُكنت حسبها الورقاء هبت
قُبَيْلَ الفجرِ لا طلع الصباح	قليلاً ما أقمت فقف ملياً

الوردة

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزي وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندي قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشعر الرقيق):

مبللة الأوراق باكية السن	أُتتني بها من خدها مثل لونها
إليها وقد يجني على الورد من يجني	جنتها لها تربُّ حصانٌ تزفها
فراقٌ وُريدات صغارٍ على الغصن	كأنَّ نديَّ الطل دمعٌ أطله
لتنشط من خوف وتبسم من حزن	فأمسكتها خجلي المحيا أهزها
وطرت بداداً في التراب إلى الدفن	فما كان أقساني لقد فاض روحها
كما شئت من عطر وما شئت من حسن	ولو لطفت كفي لفاحت وأزهرت
حوى بلسماً يشفي الجريح من الطعن	كذاك يكون اللوم طعنًا وربما
ألا إنَّ بعض العذل يضني ولا يثنني	وكم راح تعنيف الشجي بروحه
تجول مكان الدمع من جانب العين	ولو لمت في رفقٍ رأيت ابتسامه

القدر

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزي

إنما الغيب كتابٌ صانه
ليس يبدو منه للناس سوى
عن عيون الخلق رب العالمين
صفحة الحاضر حيناً بعد حين

لامرتين على جبل الكرمل

سقاك الحَيَا يا حوضٌ أعذب ما سقى
حباك الفضاء اللازورديُّ لونه
أراك وقد فيأت «ليلي» عشية
تمثل منها وجهها — فعل عاشق —
فتطلعه كالبدر يبدو مثاله
فما حفلت عينٌ بما فيك من حصي
وما ينظر الرائي السماء مصعداً
لك الله كم حسناً حويت ورونقاً
فعينان أبهى زرقَةً وملاحَةً
وحسبك من در البحار بمبسم
وثر كَأَن الورد باكره الندى
وجيدٍ كمثل العاج أبلج ناصعاً
وفرع كخفق الموج فيك خفوقه
وفيك من المرجان يا حوضٌ دملج

ففيك قرأت الحسن سطرًا منمَّقًا
فجلَّك كالمرآة تلمع أزرقًا
صموتًا كمن يصغي إليها محدِّقا
يظل إلى معشوقه متشوقًا
بمصطفق الأذي أبلج مشرقًا
حكى الدر أو عشب هنالك أورقا
إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقًا
روى الماء عن ليلاي فيك فأصدقًا
من الزهر ينمو في حوافيك مونقا
تضاحك فيه درُّه وتألِّقا
فجال على أوراقه وتَرَقَّرَقًا
على أنه كالغصن مال على النقي
يكلل منه الزهر فودًا ومفرقا
تحلَّى بأحلى معصمٍ حين أحدقا

* * *

رفعت يدي دون النسيم وقد سرى
أحدث نفسي أنني منك لاقط
وأرشف من ماءٍ هنالك ريقٍ
مخافة ذاك الظلُّ أن يترنقا
إذا ما مددت الكف درًّا منسقا
جلا الحسن عذبًا في حواشيه ريقا

* * *

على أن ليلي خلّفتك وأجفَلْتُ	إلى أمها تعطو لديها تأنُّقا
فإنني لأدلي فيك طرفي فلا أرى	سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرةً بعد قطرةٍ	فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكننت أرى حسناً فما لي لا أرى	سوى حشراتٍ أو نباتٍ تفرقا

* * *

حَنَانِيكَ يَا بِنْتَ الْمَشَارِقِ إِنَّ لِي	فُؤَادًا بِرَبَّاتِ الْجَمَالِ تَعَلَّقَا
لِحُسْنِكَ سِرٌّ فِي الْفُؤَادِ كَسْرُهُ	على الماء لَمَّا أَنْ حَكَكَ فِدَقَا
فقد رسمت فيه لحاظك صورةً	مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
عذيري من تلك اللحاظ كأنما	هي النجم في عرض السماء تألقا
إذا رمقت فالصبح أو حال دونها	خمارٌ فهذا ليلٌ مَنْ قد تعشَّقا

حديقة الحيوان

مسودات الحياة

تأملُ تَرَ الأحياءَ عَجْمًا كأنها	مسودةٌ للخلقِ لَمَّا تُنْقَحِ
ويا رَبَّ سرٌّ في كلامٍ مسودٍ	يعود فيخفى في الكلام المصححِ
أراها كإخوانٍ تفاوت حظهم	وميراثهم، من سابقين ورزحِ
فمن حائزٍ نُعمى أبيه وأمه	ومن خاسرٍ رفديهما أو مطرحِ
ومن يلقيهم يلقي الحياة كأنها	حَبَّتْ طفلة من مهدها المترجِحِ

رأى واحدٌ

في وضعين مختلفين

زعموا الإنسانَ قردًا	قد ترقى وتحلّى
وأناسٌ يزعمون الـ	لقرد إنسانًا تدلّى
هو رأيي نقلـ	به علواً وسفلا

خنزير أعجف

فيه خنزيرية ظاهرة ما نفأها عنه ذاك العجفُ
هو خنزيرٌ ولكن شأنه جسدٌ في وضعه منحرفُ

خمارويه وحارسه

(كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عَوْدَهُ أن يجلس بين يديه إذا أكل، وأن يسهر إذا نام، وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل في دمشق، فَأَعْجِبَ لرجل حرسه السباع واغتاله الناس!)

ركنتَ إلى السباع خمارويه ولم تركز إلى أحدٍ سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليئلاً يذود رعيةً عمن رعاها
وأن يحمي ابن آدم من أخيه سباعٌ جَلَّ أن يدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يرشى ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك في دمشق لضرَّجَ بالجنابة مَنْ جناها

العُقَاب الهرم

يهم ويعييه النهوض فيجثم ويعزم إلا ريشه ليس يعزمُ
لقد رنَّق الصرصور وهو على الثرى مَكْبٌ وقد صاح القطأ وهو أبكم
يُلْمَلِمُ حذاء القدمى كأنها أضالع في أرماسها تتهشم
وأثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكاسر المتقحم
جناحين لو طارا لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يَلْمَلَمُ

ويلحظ أقطار السماء كأنه
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى
إذا أدفأته الشمس أغفى وربما
لعينيك يا شيخ الطيور مهابة
وما عجزت عنك الغداة وإنما
رجيم على عهد السموات يندم
مقضاً عليه أم بماضيه يحلم
توهمها صيداً له وهُوَ هيثم
يفر بغاث الطير عنها ويُهْزَمُ
لكل شبابٍ هيبَةٌ حين يهرم

عيش العصفور

حطَّ على الغصن وانحدر
مغرداً قَطُّ ما توانى
يلمس أيَّكَ بُعَيْدَ أَيْـ
مطارداً لا إلى طري
كخفة الطفل في صباه
وروده نغبة فأخرى
يقارب السُّحْبَ ثم يهوي
أصدق من سار في سرار
ويستحث الرياح ضرباً
لله ما أهول المطايا
طار وليداً شيخاً
لا أعين الماء ناضبات
أُخْبِرَ بالنضج مقلته
سَلُّهُ عن الجند والزمر
لم يأتِه عنهم بلاغٌ
هذا هو العيش فاغبطوه
هذا هو العيش فارحموه
فإن سألتم فسائلوه
أقلَّ من لمحة البصر
مرفرفاً قَطُّ ما استقر
لك كأنما يلمس الإبر
مسابقاً لا إلى وطر
لكنها خفة العُمر
مَنْ خَوَّفَ الطائرَ الصَّدر؟
يبشر الروض بالمطر
بين الحيا العذب والشجر
بخافقيه فَتُبَّتْدِرُ
وأضعف الراكب الأشر
بين البساتين والغُدر
ولا خلا الروض من ثمر
ممن سقى الحب أو بذر
سله عن الملك والسُّرَرُ
ولا دليلٌ ولا خبر
عليه يا أيها البشر
عليه واستخبروا الغير
عن صَوْلَةِ الصقر إن كسر

وحيلة الدَّبَقِ في ثراه	وغيلة الحية الذكر
هناك يَنْزُو له فؤادٌ	لا يجهل الريب والحذر
لم يخف عن أعين الليالي	ولا توارى من الصغر
حبائل الدهر قانصات	مَنْ طار أو غاص أو خطر
من عاش يوماً أو بعض يوم	يعلم ما ضربة القدر
أليس هذي الحياة ذخراً	وحارس الذخر في خطر؟

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان	صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني
من كل سارٍ في الظلام كأنه	بعض الظلام تضله العينان
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه	موج الدياجر دعوة الغرقان
ويشَبُّ في الجو السحيق كأنه	يبغي النجاة إلى حمى كيوان
عاف التجمل فَهُوَ في جلبابه	فان يرتل كالأبيل الفاني
ما ضَرَّ مَنْ غَنَى بمثل غنائه	أَنْ ليس يبطشُ بطشة العقبان
إن المزايا في الحياة كثيرة	الخوفُ فيها والسُّطَا سيَّان

* * *

يا محيي الليل البهيم تهجّداً	والطير آويةً إلى الأوكان
يحدو الكواكب وَهُوَ أخفى موضعاً	من نابغ في غمرة النسيان
قل يا شبيه النابغين إذا دعوا	والجهل يضرب حولهم بجران
كم صيحة لك في الظلام كأنها	دقات صدرٍ للدجنة حان
هُنَّ اللغاتُ ولا لغات سوى التي	رفعت بهن عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها	كالوحي ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عَنِ المقاطعِ واللُّغَى	بثُّ الحزين وفرحة الجدلان
...	...

ما أحب الكروان

ما أحب الكروان!

هل سمعت الكروان؟!

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا حيث كانت جيرةً أو حيث كنا
هاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا هو ذاك الكروان وهُوَ هذا الكروان!

الكَراوين كثير أو قليل عندنا أو عندكم بين النخيل
ثُمَّ صَوْتُ عابِرٍ كُلِّ سَبِيل هو صوت الكروان في سبيل الكروان
لي صدى منه فلا تنس صدك هو شاديك بلا ريب هناك
فإذا ما عسّس الليل دعاك ذاك داعي الكروان هل أجبت الكروان؟
مفردٌ لكنه يؤنسنا ساهرٌ لكنه ينعسنا
صدحت في نفسه أنفسنا فتسامعنا سواء وسمعنا الكروان

واحدٌ أو مائة ترجعه عندنا أو عندكم مطلعته
ذاك شيء واحد نسمعه في أوان وبيان هو صوت الكروان

واحدٌ بين عصور وعصور نحن نستحيي به تلك الدهور
لم يفتنا غابر الدنيا الغُرُورُ في أوان الكروان، ما أحب الكروان

على الجناح الصاعد

حادي الظلام على جناح صاعد يا أرض أصغي يا كواكب شاهدي!
يا آنسين بصحبة من وجدهم نُصُّوا المسامع للأنيس الواجد

ردوا التحية للفريد الساهد
منها نجى مغاور وفراقد
بالليل حنجرة المغني الخالد
أبدًا وما هو آمنٌ لمساعد
لك أنت يا كروان فأمّن صائدي
في جنح هذا الليل أبعد باعد
صوتين منك على مكان واحد
في مسمعي وخواطري وقصائدي
سمعي سواك فهل تراك معاهدي؟
مُغْنِيَّ عن شادٍ سواه وشائد

يا ساهدين على انفراد في الدجى
المستعز بعمرسه وكأنه
لهجت طيورٌ بالضحي وتكفّلت
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أنا صائدٌ لصدك لستُ بصائدٍ
بيننا أقول هنا إذا بك من هنا
ووددت يا كروان لو ألقيت لي
إن كنت تشفق أن أراك فلا تزل
عاهدت هذا الصيف لستُ بواهب
من كان قد أغنى الطبيعة كلها

شدو لا نوح

هل يعبر الحزن بالشادي الصباحي؟
وفي غرامٍ على الإلفين مطوي؟
كأنها أمنت فوت الأمانى
وتعتلي من ذراه كلّ علوي
ما بالها هل سباهها حسن إنسي؟
هل تعرف الطير ما حسن الأناسي؟
زهر المباسم جُنّت بالأغاني
يأس الهوى بين إنسي و«طِيرِي»
واسلم هنالك من باكٍ ومبكي
تسألهما عن جوى في القلب مخفي
من سلوةٍ أن فيها شَدُو قمري

شدو القماري لا نوح القماري
أو الربيعي في أنس وفي أمل
يا حسنهما من بشيراتٍ على دعة
محبباتٍ إلى الإنسان تألفه
تهوى الديار وفي الآفاق مطلعها
وللأناسي حسنٌ لا أبوح به
غَنّت لزهر وسلسال ولو رشفت
أولى لقمريّنا ألا يحوم على
غرّد على الدور يا قمريّ في دعة
واتل الرجاء على هذا وذاك ولا
حسبُ المغاني التي يبكي الحزين بها

شفاعة للغراب

حيا الغراب الفجر بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترّ نور الفجر كالمجيب في غير ما لومٍ ولا تثريب
لهاتفٍ ناداه من قريب

* * *

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيي النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ألا تدين كلها بدين؟
فما له يعذل كالرقيب؟

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصّدح الهاتفُ بالعجاب أصدق حبًّا لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعه والطير في أوان وقبله الصبح وقد ناجاني
صوت حبيبي بادي الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وما له في الحسن من نصيب!

* * *

أمنتُ منه لوعةَ الفراق وكلّ (غاق) عنده وفاق
فلا يزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفيح والآفاق
ومنك يا فجر ومن حبيبي

أسبوع فلورة

أو تكريم الكلاب

(لا أعني تكريم كلاب المجاز، فليس تكريم الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب! وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشي بين يديه السباع! فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرتة وإهانته، والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها، وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه ... ولكنني عنيت الكلاب ذات الأذنان وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا وخفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها، والاحتفال بولادتها وتسميتها! وإن حقاً على الناس أن يمجّدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت، فهل نلام إذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله؟! اجتمعنا في رهط من الأدباء ليلة من الليالي، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مُضيَّ أسبوعٍ على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا، فقلت أبارك للنفساء وأحيي المولود!):

أعلنني «يا فلورة» الأقرحا	وأملاً الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنت كلبٍ بأعلى	من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشري دولة الكلاب بجرو	سوف ينفي عن جيله الأترحا
ما تقضى الأسبوعُ إلا تمشى	يزرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليل والنهار عليه	فتواري عن العيون ولاحا
حرَّك الدهر ذيله حين وافى	وعوى الكون بهجةً وانشراحا!
سوف يدعى على الكلاب أميراً	يفزع الأسد وثبةً وصياحا
يلبس الطوق من نضارٍ ودرّ	ويحوك الخزّ الثمين وشاحا

وأراه يُعيدُ سيرةَ قطـ	سمير وقاراً وفطنةً وصلاحا
لا أصابت عصا لثيم قفاه	أو ثوى في الطريق ليل صباحا
لا ولا عضه من الجوع نابٌ	يُثخنُ الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً	يرقب العظم سائلاً ملحاحا

حديقة الحيوان

أو براه داء الكلاب فأخفى
كان إيوؤها حراماً فأضحى الـ
قد فرحنا في عيده وطربنا
يا كليباً أزرى بذكر «كليب»
ما مدحتُ الأنامَ يوماً وإنني
أعجمُ الناس في الوداد وما زا
إن عِيَّ اللسانَ خيرٌ من النطـ
وسعارُ الكلابِ أهونُ شرّاً

بين جفنيه عسجداً لمأحا
يوم إيوؤها حلالاً مُباحا
وشربنا في نخبه الأقداحا
لا تظنن ما نقول مزاحا
لستُ ألك يا كليب امتداحا
ل بنو الكلب في الوداد فصاحا
قِ إذا كان للأداة سلاحا
من سعارٍ يمرق الأرواحا

أبو العيد

طائر يأكل دود القطن

أبا العيد لو جئتَ بينَ الأول
ولأخذوك إلهاً لهم
وقالوا إلهٌ رحيمٌ بنا
وأبدلت من شركِ بيعةٍ
وكان لعيدك في أرضهم

لصلّى إليك عباد الجعل
له ملة بين تلك الملل
فمن يدُنُّ منه بسوء قتل
على الأرض شاهقة كالجبل
أبا العيد يوم عميمُ الجذل

وعل كردفان

بحديقة الحيوانات

يا ועل القفر كيف أسرى
سأقك يثنيها العوادي
سهوت عنا وعن أناس

إلى حماك العزيز أسرُ
والضأن عداءة تكررُ
يعجبهم سجنك الأمرُ

والعمر غص الإهاب نضر	تذكر دارًا نأيت عنها
ساقُ لها كالرياح مر	والأرض قد ملكتك فيها
يرضيك مرجُ منها وقفر	تروُدُ منها سهلًا ووعرًا
لكننت في رحبها تفر	لو فر من حتفه وليدُ
هيهات من كردفان مصر!	هذي ديارٌ وتلك أخرى
لها وراء الحديد عبر	وربما خلتها قريبًا
حواك من كردفان عُقر!	لو زحزحوا بابه قليلًا
ولا يئود الوعول طفر	تبلغها طفرة فأخرى
وكل راجي الخلاص غُرُ	وكل ذي حاجةٍ جهولُ

* * *

واصبر وإن لم يُفدكَ صبر	قضاؤك الحتم فاحتمله
وبعض حسن العزاء كبر	أنت بحسن العزاء أحجى
حولك رفاقة تسر	تَرْبُكُ تسليك والروابي
وكان للسمع منه وقر	ألفت زأر الأسود فيها
قلبٌ بجنبك مقشعر	وكنت إن همهمت تَمْشَى
وحاطك الأسر وهو شر	أَمَّنكَ الذلُّ وهو خوفُ
نماك بين الأصول حر	عِشْ مفرد القيد إنَّ أصلًا
مضاعف القيد لا يقر	وما وجدنا الإنسان إلا
حز بفوديه مستسر	للضيم فيه وفي ذويه
لنا بوشم الإسار فخر	نحنُ بني آدم أسارى

الطير المهاجر

ير شتى: مهاجرٌ ومقيمُ	علّمتني مواسمُ الروض أنَّ الطـ
في رياضي معشًا لا يريم؟	أتراني لا أسمع الطير إلا
وعليه السلام والتسليم	رُبَّ شادٍ في هجرةٍ يتغنى

من جنوبٍ إلى شمالٍ وحينًا
فله حين يستقلُّ وداعُ
خذ من الطير كل يوم جديدًا
كم مُولٌ وصفوه لا يولي
من شمالٍ إلى جنوبٍ يحوم
وله حين يقبل التكريم
فسواءً جديدُهُ والقديم
ومقيمٍ وصفوه لا يقيم!

حديقة حيوانات آدمية

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات، وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف، فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهتم بعدوان):

أورفيوس الفن سَوَّى بينها
وتَغَنَّى فرس البحر بها
ومشى الأرنب والحوث لها
وتأخى الجدي والضبع وما
وجرى «السيسي» فيها شوطه
ولغا «البطريق» فيها لغوه
وكأنني بالزرافى اجتمعت
وأوى السنور والجرو إلى
والسُلحفاة تجاري عندها
فُتَحَتْ أَقْفَاصُهَا واختلطت
حيواناتُ نماها آدم
حيواناتٌ ولكن بينها
أورفيوس الفن سَوَّى بينها

فتلاقى الدُّبُّ فيها والقروذ
يا له من فرسٍ طَلَّقَ النشيدُ!
صاحباً القاعين من لُحٍ وببد
بين هذين سوى الثَّأر اللدود
وهو ناهيك بسيسي عنيد
وهو من قطب جنوبي بعيد
وحمير الوحش منها في صعيد
نمر فيها على غير الوصيد
أرنب البیداء والكلب الصَّيود
لا سدود لا قيود لا حدود
وهي من أبنائها نسلٌ فريد
كلُّ نبي لبِّ سماويٍّ رشيد
فاستوى المنشد فيها والمعيد

رثاء كلب

حزنًا على كلب طاهرٍ فإنه طاهرُ الكلابِ!
تشابها في خليقةٍ واتفقا؛ شيمةُ الصباحِ
وربما عَيَّ طاهرٌ وكلبه حاضر الجوابِ
فليس يوفيه حقه من اكتئاب أو انتحابِ
إلا إذا بات نابحًا نباح المساعير في الخرابِ
عَوْعَوْ، عَوْوَوُ، بلا وبى ولا انقطاع ولا اقتضابِ

* * *

لا تسألوا رحمةً له قد رحم الله واستجاب
لعله مات قانطًا من «أزمة» الأكل والشرابِ
منتحرًا في شبابه وهكذا يفعل الشبابِ
أراحه الله من ضنَى أنقذه القبر من عذابِ
فليحمد الله ربه من جاع فليرض بالترابِ

كلبٌ ضائعٌ

أو ديوجين الكلبى

أُمست كلابك شتى وأنت يا صاح أنتا
كلبٌ نجا وهو حي وآخرُ فَرٍّ ميتا
ما بين تارك دنيا وتارك لك بيتا
قل لي بربك ماذا على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين» قل لي يا شيخ ماذا صنعتا؟
والله ما كان يَأبى لو صادف الخبز بحتا
أو جُدَّتْ يومًا عليه فصادف الأذم زيتا

زعمته راح يهوى	من قومه الغر بنتا
لا تلزم الحب ذنبًا	من الصيام تأتي
فاحمل رغيًا تجده	في أي صوبٍ نظرًا
مصباحه ليس يجدي	فلا تُضَع فيه وقتا
أنعم به من حكيم	إلى ديوجين مَتًا
رأى السلامة حقًا	ومن رأى الحق أفتى

أمام قفص الجيبون

في حديقة الحيوان

(القرود العليا هي الشمبانزي و«الأرانغ أتانغ» و«الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشويين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف. ومن هذه القرود العليا ما يصلح — من الوجهة الشعرية — أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله، وسكونه، واشمئزازه من الحياة! ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغوريلا»؛ لبطشه، وهياجه، وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعب، طروب، رشيق الحركة، خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس ألاعبيه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل ملح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شهدته فاسأل نفسك:

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟! هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟ هو يأكل طعامه الآن نيتًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة!

أو يفيد العلم؟ قصاره إن أن يقول: «لست أدري». كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منه بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني، وهو قاعد حسير! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات):

أيهذا الجيبون أنعم سلامًا يا أبا العبقري والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقامًا مُزْرِيًا في حديقة الحيوان؟

* * *

العب الآن وانتظر بعد حقبًا ترقّ في «سلم الرقي» وتعلّ
كيف لم تصعد السلالم وثبًا أيها الصاعد الذي لا يملّ

* * *

يا عميد الفنون صبرًا ومهلاً وارض حظّ الهتاف والتهليل
مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديقُ شيئًا فشيئًا تطبخ القوت كله بيديكا
غير أنني إخال ما كان نيكًا منه أجدى في الحاليتين عليك

* * *

انتظر يا صديقُ مليون عامٍ أو ملايين لست والله أدري!
إن تدانيت بعدها من مقامي فقصارى المطاف أن لست تدري

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم سوف تتلو نثرًا وتنظم شعرا
وغدًا يطفر الخيال ويسمو والذراعان لا تطيقان طفرا

* * *

حديقة الحيوان

وجمال الوجوه سوف تراه في المرايا بعد الطواف الطويل
سوف تحلو في ناظريك حلاه فتهياً للضم والتقبيل!
وإذا ما درست أوزانَ رقص بعد لأي فالرقص فيك انطباع
هل تنال الكمال من بعد نقص إن أقلتكَ فكرة لا ذراع؟

* * *

قفصُ أنت فيه أرحب جدًّا من فضاءٍ نقيم فيه أسارى
قد ضللنا فيها وهيهات نهدى ونجوم السماء فيه حيارى

* * *

قفصُ أنت فيه أرحب جدًّا من فضاءٍ نقيم فيه أسارى
قد ضللنا فيها وهيهات نهدى ونجوم السماء فيه حيارى

* * *

انتظر سوف تفهم الشيء باسمٍ بعد رسمٍ وغابرٍ بعد حال
فإذا ما طلبت باطن فهمٍ يا صديقي طلبت أي محال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتدأنا والتقينا بآدم في الطريقِ
قد بلغنا فأين تبلغ أينا حين تمضي وراءنا يا صديقي؟

* * *

اللهُ والعب واضحك كما شئت منا أنت طفل الزمان والطفل غرُّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا حين يمضي دهرٌ ويقبل دهر

عتب على الجيبون

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألأعيه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريضه):

أيهـا الجيبون لا تفـ	ضخْ تقاريطي وشكري
أنت بعد اليوم محسو	بُ على نقدي وشعري
أنت إن لم تحسن الرقـ	ص فمن يحسن عذري
أنت إن قصرت قالوا	شاعرُ بالزور يطري
ما لَذَا العقادِ والتقريـ	د و«التقريض» يغري
إنه يهرف بالمد	ح ولكن ليس يدري
فاملأ الأقفاص يا جـيـ	بون طفرًا أي طفر
وقل العقادُ لا يخطـ	ئ في تعريف قدر

بيجو

رثاء

حزنًا على بيجو تفيض الدموعُ
حزنًا على بيجو تثور الضلوعُ
حزنًا عليه جهد ما أستطيعُ
وإنَّ حزنًا بعد ذاك الولوعُ
والله يا بيجو لحزنٌ وجيعُ

* * *

حديقة الحيوان

حزنًا عليه كلما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مسامري حينًا ومستقبلي
وسابقي حينًا إلى مَدْخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبني من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف
ذلك خيرٌ من فؤادٍ صديق

* * *

حزني عليه كلما عَزَّني
صدق ذوي الألباب والألسن
وكلما فوجئت في مأمني
وكلما اطمأننت في مسكني
مستغنيًا أو غانيًا بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسيا
بيجو ولم أبصر به آتيا
مداعبًا مبتهجًا صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدق فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا بل ليتني قد نسيتُ

أحسبني ذاكره ما حييت
لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيجو معزي إذا ما أسيت
بيجو مناجي الأمين الوديع

* * *

بيجو الذي أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحة منه وأين النباح؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته يا برحها من ألم
يخدش بابي وهو ذاوي القدم
مستنجدًا بي ويح ذاك البكم!
بنظرة أنطق من كل فم
يا طول ما ينظر هذا فظيع!

* * *

نم لا أرى النوم لعيني يطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
تنقضي الدنيا ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحد

حديقة الحيوان

عيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل والنجم وشعب خليع!

* * *

أبكىك أبكيك وقلَّ الجزء
يا واهب الود بمحض السَّخاء
يكذب من قال طعامٌ وماء
لو صح هذا ما محضت الوفاء
لغائبٍ عنك وطفلٍ رضيع

قصص وأماثل

سباق الشياطين

يا شياطين الدجى حيّ هلا وتغنّي الآن بالفعل الذمّيم
أَيْكم في الناس أعلى منزلاً فله عندي مقاليد الجحيم

* * *

رَنَّ في الندوة صوت الكبرياء رائع الصيحة مرهوب الصدى
قال إني أنا داء الأعلياء أنا داء لهم فيه الردى
مالئٌ بالغِظ قلب الضعفاء تارك النابه فيهم أوحدا
رُبَّ خير بتُّ أجريه على منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى مطلع النجم كما يذري الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحب السحنة مهضوم الجسد خائفاً في جبنه قد أفرطا
قال: لو شئت لما حاز أحد منكم سبق وإن جدَّ الخطا
بذوي القربى ولوعي والألى بينهم قربى سهيم من سهيم
أجدر الناس بأن يتصلا حائل بينهما كيدي العظيم

* * *

وانبرى للقول يأسُ معضل	كلما هم تولاه الضجر
قال ما لليأس فيكم مأمل	لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد أني قاتل لا يعقل	ومن القتل حياة للبشر
أنا إن أيأست من ورد حلا	فكما ييأس من ثدي فطيم
فدروني كيف أبغي موثلا	بين خناسٍ ووسواسٍ رجيم؟

* * *

ثم أبدى الليل شيطان الندم	ضارعا يفرق من خفق الهواء
أخرس المقول من غير بكم	ولقد ينطق حينًا بالبكاء
يمقت الإثم ويغري من أثم	بذنوبٍ ما له منها وقاء
يمقت الإثم ويغري بالطلا	وهو بالشارب ينبو والنديم
يغفر الموتور للجاني ولا	يرحم الجاني من وخز أليم

* * *

ومشى من جانب الحب أنين	كشواظ النار يرمي بالشرار
لفح القوم فهبوا صارخين	وهم في الخلق من مارج نار
أنا شيطان الهوى أفرى الوتين	كل من أغشاه مسلوب القرار
أنا للبغض سبيلٌ والقلبي	وسبيلٌ للرزايا والهموم
ليس في الكون مكانٌ قد خلا	من صراعٍ أنا موحيه القديم

* * *

ودعا الداعي بشيطان الكسل	فتمطى ساعة لا ينطق
قال لو راودت نجما لأقل	وثوى في أفقه لا يشرق
آفة القول جميعا والعمل	وبلاء الله فيما يخلق
ورأى وجه الرياء المقبل	فتنحى خلفه وهو كظيم
مذ رأوه هتفوا ما أجملا	وهو يزوي عنهم الوجه الدميم

قال إني أنا شيطان الرياء	صاحب الوجهين أملودُ اليد
ألبس الأعداء جلباب الإخاء	وأعير العبد وجه السيد
وأमित النفس في طي الخفاء	فهي تحيا كالرفات الملحد
أنا فيما أبتلى صنو البلى	أبدل الأحياء إبدال الرميم
ميتٌ من عاش يوماً مبدلاً	ومسيخٌ وجهه وهو وسيم

* * *

أنصت الجمع ولم يبق سوى	حكم إبليس بسبق السابق
رجع الأمر إليه فاستوى	يلحظ الرهط بعيني حاذق
ثم نادى بالرياء المجتوى	فأبى الخب إباء الماذق
قال تأبأها ولولاك انجلى	غَيَّهَبُ الأرض فكانت كالنعم
دونك الدنيا اتخذها منزلاً	وتولَّ اليوم أبواب الجحيم

كولمب في الأوقيانوس

من لكولمب والمخاوف تثنيـ	هـ وتزجيه خادعات الغرور
هام بالعالم الجديد كما هاـ	مَ تقيُّ بالعالم المستور
ما ابتغى جيرةً هناك ولا أهـ	لَّا ولا عاذ عنده بنصير
أي أهل وجيرةٍ لهماـ	أُوَحِّدي المنى قليل النظير؟
من له فاتحًا وما فاتح المجـ	هول يومًا كفاتح المنظور
ضاربًا في حشا خضارة تعلوـ	هـ سماءً عميقة التدوير
يعتلي صهوة الخضم خضمًاـ	لم يوطأ، كالأبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضابـ	أين يمضي وعيلم تيهور؟
يذرع الليل والفضاء بطرفـ	شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج في الصبح حتىـ	يسبل الليل خيمة الديجور
فإذا النجم كالسفينة ركبـ	ليس يدري هناك عقبى المسير
من لكولمب لا السموات تهديـ	هـ ولا النور في دجاء بنور

يسأل السحب أين مسراك غرباً أين ترمين بالحيا المسجور؟
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحـ يمين منه الثرى بصوب غزير؟
إنما يزجر السحاب وما كا ن سحاب بالطائر المزجور
لو نعيب الغراب يسمع لاعتد نعيب الغراب صوت بشير
في سماءٍ ما قط حوم فيها غير غادي سحابها من طيور
كل يوم يرى بساطاً من المو ج شبیه المطوي بالمنشور
فيرى الراكبه أن لن يزالوا راسياً فلكهم رسوّ ثبير
تظهر الشمس كل يوم ولا يآ ن للارض حاجبٌ بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً مدها الله من وراء البحور

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً وتولّى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذي أورث النـ س كميـراث آدم المعمور!

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً إنما الهول من مطايا الكبير
إنّ قلب العظيم بحرٌ زخورٌ فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلالٍ في اليم أربّه منه صراعات الضلال في التفكير!

الأثواب الثلاثة

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك؛ بل هو في الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير، فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأي نفس أخرى، فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه، ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمني والعمل، وهذا مثل تقسيم الأثواب في القصيدة التالية؛ فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحداً منها، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه، فكيف كان الإنسان إذن

يرضى عن نصيبه؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط،
أو إذا تساوى الناس في كل شيء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر.
ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطيع إرضاء الناس جميعاً إلا بما فيه خراب الكون.)

فاكتسى بالجديد كل وليد	ليلة العيد أقبلت بالسعود
لبست جدة الجمال الفريد	واكتست بالجديد كل فتاة
ثلاث فتن بالتقليد	وتواصت على الثياب أخياً
كل أخت بحسن وجهه وجيد	يتسترن بالإخاء وتزهى
في كساء من الطراز الجديد	لا تجل (العذراء) إن لم تجدها
غاليات من زاهيات البرود	قمن يقسمن بينهن شفوفاً
واختلاف الألوان جد شديد	لاحقات الأثمان بعضاً ببعض
كل أخت بريبة المزود	فتنازعنها ملياً وولت
ثم تغرى بثوبها المردود	تنتقي الثوب ثم تزهد فيه
لا ولا كان همها في المزيد	لم يكن غيرهُ بأخْلَبَ وشياً
رآه الفتى بعين حسود	حسداً والضئيل يبدو جليلاً إن

في حظوظ مقدورة وجدود	هكذا الخلق في الحياة تعادوا
ل لما كان عندهم بسديد	ظلموا دهرهم ولو بلغوا السؤ
دل من همهم بهم العميد	لا تظنوا الشريد يرضى بأن يب
لع فوق العروش نفس الشريد	لو تمنى العروش لم يرض أن يخ
ن أحب الحظوظ حظ البعيد	وأحب النفوس نفسك لكد

غادة أثينا

حدثني عن دولة الإسكندر — در عروس الشعر واري واذكري

كاعب كالظبي إلا أنها
علّمتها أمةً قد علمت
أمة حسب بنيتها سؤددًا
وغزاها فاتح الأرض كما
وابتلتته بحنانٍ صابرٍ
وسطا الجندُ عليها كالدِّبَا
راودَ الغداةَ منهم قائدٌ
دون نهديها جنانُ القسورِ
صنوها البأس وقور الضُّمرِ
أنهم رهطٌ عزيز العنصرِ
تحقق النار بوكر الأنسرِ
وابتلاها بالعديد الأكثرِ
بين ألفاف النبات المثمرِ
سيئُ الخيم غريُّ المنظرِ

أيها الفاتكُ بالعرض الذي
أغمد السيف فهذي وقعةٌ
خضت حربًا ليس من آلتها
دون ذاك النصل سيفٌ لهذمٌ
دون ذاك السورِ سدٌّ مُحْكَمٌ
دون ذاك الحصن قلبٌ مضمرٌ
تَبَّتِ الحربُ فما في غيرها
صانه الطهر ترفق واحذر
لم تصب فيها ولمّا تظفر
منصلُ العضبِ وسرْدُ المِغْفَرِ
من شبا اللحظِ وقْدُ سمهري
من عفافٍ واضحٍ للمبصر
كيف يُرمى حسنُ قلبٍ مضمر؟
حلَّ للجيش حرامُ المنسرِ

أيأسَتْهُ من رضاها فارتضى
قال أين المال قالت هاكه
دونك البستان فانزل بئره
إنني أحرزت فيها لؤلؤًا
وأتى البئر فزجته يدٌ
فتردّى فارعوت تقذفه
واحتوته البئر في أعماقها
إنَّ مَنْ كانت حضيضًا نفسه
من حلي الغيد حظُّ المشتري
يمم البستان وابحث وانظري
والتمس فيها نفيس الجواهر
ليس يُلْفى مثله في الأبحر
بضةً بيضاء مثل المرمز
برجوم كالغمام الممطر
كاحتواء النفس سرَّ المنكر
لحقيقٍ بالحضيض الأكدر

ورأها الجند فاجتازوا بها	عند ذي القرنين هُولَ المحشر
لابس الغار عليه أخضرا	وهو مُفْنٍ كُلَّ زرعٍ أخضر
وقفت وقفة لا مستعظم	عزة الملك ولا مستغفر
قال من أنت؟ فقالت إنني	أخت (ثيجين) الأبِّي الشَّمري
أخت (ثيجين) فسل من قومكم	عنه من لاقاه تحت العِثِيرِ
مات في الحرب التي أرَّثها	بغِي فيليب أبيك الغمشر
ناد عن أوطانه ثم افتدى	دوحة المجد بغصنٍ «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنني باسطُ	لك فيئًا فاسكنني أو فاهجري
وخذي مما وهبنا أو دعي	لن تُنالي بالأذى في عسكري

أورمزد وأهرما

أورمزد يا مخلف آمالي	يا مخلقًا جدَّة سربالي
إذا تجهمت لأهل الثرى	مزقت بالأضواء أوصالي
وتمسح الأدمع من عينها	حتى يبيت الصبُّ كالسالي
الآن فلاحجبك عن أعين	أحييتها في الزمن الخالي

* * *

مقالة فاه بها أهرما	ثم مشى مشية مختال
لاقي بها الشمس وقد صدَّها	بالغيم عن سهلٍ وأجبال
يضحك بالرعْد ويبيدي لها	بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت في برجها لفتة	وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبني شائئُ	لولاي لم يلحق بأذيالي؟
تحجبني حينًا ولكنني	أزجيك للخيرات والنال
لو علم الناسُ مصيرَ الأذى	لنافسوا في الشر بالمال

عند حلاق

ما بالها تطفر كالغزال
هيفاء من أوانس الأندلس
قد أسفرت حاليّة بالنّور
من كل زهرٍ ناضر الرواء
ثم استوت في مجلسٍ هناكا
أمامها المرأة فيها يظهرُ
تمثالها في صفحة البلور

* * *

وكان يرعاها أريبٌ كيّسُ
وصوّب الطرف إلى الرذيلة
كمن يهاب الشمس في السماء
وساءها حتى إلى الطيف النظر
الحسن إن ضنَّ به المليح
والزهر إذ يزكو لغير ناشق
فأقبلت غضبى إلى قرينها
قالت ألا تنظر للمغرور
ما زال يرنو نحوها بالطرف
فأوماً القرين للحلاق
وقال قل للصاحب الصديق
من يكثر اللحم لها بالليل

* * *

فأطرق الأديب كالمستعتب
ما في المرايا ثم من شيطان
لكنّ فيها ملكًا مكملاً
وقال «عفوًا» يا قرين الكوكب
يُخَافُ منه المسُّ للإنسان
يوحى لنا الحسن كما تنزلا

ملكْتَ منه الذاتَ واستأثرتا ففُزْ بها مغتبطاً هنئتا
ودع لنا هذا الخيال مغنما ليس الخيال حرماً أو محرماً

أمنّا الأرض

(مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التي تحرك الأطفال هي الخوالج التي تتصرف بالرجال، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادون بالحيل التي تخدع بها الأطفال وهم لاعبون، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون.)

أسألكُ أمنّا الأرضا سؤال الطفل للأُم
فتخبرني بما أفضى إلى إدراكه علمي

* * *

جزاها الله من أم إذا ما أنجبت تئد
تعدّي الجسمَ بالجسم وتأكل لحم ما تلد

* * *

ألا يا أم كم طلعا عليك الشمس والقمر
وكم أسنى وكم وضعاً على أرجائك القدر

* * *

أقاموا أمس وانصرفوا فليس لفلّهم شمل
فأين نفس من سلفوا وأين يكون من يتلو؟

* * *

فقالَت في ملامحكم يبينُ الجدُّ والخلفُ
فجوسوا في جوانحكُم فثمَّ يجوس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبها من الماضين في السير؟
فقال: قد صنعت بها لكم حلوى من الثمر!

* * *

وما المجد الذي أضرى قلوب بنيك فاشتجروا؟
فقال: حلة كبرى يراها القلب لا البصر

* * *

فقلت لها فما العمل؟ فقلت خادم الحلم
وما الأحلام والأمل؟ فقلت حيلة الأم

* * *

وقد يُحتالُ للطفل على خير له مُجد
ألا ينبو عن الأكل إذا لم يُغَرَّ بالوعد؟

* * *

فقلت لها وما السقم وما الآلام والبلوى
وما الآفات تخترم شباب الأحور الأحوى؟

* * *

فقال: إنما البلوى عقاب الطيش والنهم
فإن جُرْتُم على الحلوى هزرتُ لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهب وفيم طويته عنا؟
فماج الناس واضطربوا فلا عطفاً ولا أمنا
فقال: لست أحسبه سوى ضربٍ من الحجر
وإن الطفل مطلبه أشدُّ لكل مستتر

* * *

يجدُ الطفل مفتتنًا بما لم يبدِه العَلنُ
ويحسب جهده ثمنًا لشيء ما له ثمن!

* * *

لزدتُ بقولها حُبْرًا وزدتُ بقولها جهلاً
فما ألفيته وعراً وما ألفيته سهلاً

* * *

وصحتُ بها إلى أينا إلى أين المصير بنا؟
فغضتُ عينها الجفنا وصدت عني الأذنا

* * *

بني الدنيا لعابُ بها ففي الأبواب قصائدُ
لكم يوم بملعبها وتحت الأرض آباد
لها ملهى تكررهِ إذا ما انفضَّ لم يُعقد
نغاديه فننظرهِ ويوصد بابه السَّرمدُ

سيان

يا شمس ما ضَرَكِ لو لم تشرقي يا روضُ ما ضَرَكِ لو لم تعبقِ
يا قلب ما ضرك لو لم تخفِقِ سيان في هذا الوجود الأحمقِ
من كان مخلوقًا ومن لم يُخلَقِ

المعري وابنه

قال المعري:

وإذا أردتم بالبنيين كرامةً فالحزم أجمع تركهم في الأظهر

(فهو والد رءوف صد أبناءه عن الحياة؛ رحمةً بهم! فيا لها من رحمة لا يعرفها له أبناءه! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للأباء؟! والقصيدة الآتية محاوراة بين المعري وابن له في الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يزوده عنها وينصح له بالبقاء في عالم العدم.)

يا أبي طال في الظلام قعودي فمتى أنت مخرجي للوجود؟
طال شوقي إليك فاحلل قيودي
يا أبي عالم الظلام مخيفٌ ليس يقوى عليه طفلٌ ضعيف
فأجزني من ظله المسدود
حدّثونا عن الحياة العجائبِ فلهجنا بحسنها الخلاب
وظمئنا لحوضها المورد
حدثونا عن الدجى كيف يسطو وعن الصبح بعده كيف يعطو
وعن النحس فيهما والسعود
حدثونا عن دارها وبنيها وجهاد يمني به القوم فيها
وعن الموت بعدها والخلود
أرني الجهر يا أبي والخفاء أي شيء ذاك المسمى شقاء؟
أي سر يراد بالمولود؟
ما الوجوه الحسان؟ ما النّوار؟ ما الدراري ما الفلا ما البحار؟
إنّ دأب الوليد حبُّ الجديد
لي جدودٌ وليس لي أبوان ولئن شئت أن فيكم أواني
وتملّيت قسمتي في الوجود

ولدي إنني أبوك الرحيم أنا بالعيش يا بني عليم
لا تصدق مقالة من بعيد
ما حياة تشقى وتسعد فيها تتعنى لكن بما يعنيها
في عظيم تُبلى به أو زهيد
يحسب الحي جهده لهواه جهل الحي جهده لسواه
إنما المرء آلة للجدود
إن غنم الحياة من لم يجده لم يُمتّع به، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شرها يا بني ثقیلُ خيرها يا بني خیرٌ قليل
أهلها يا بني أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدي ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُود على تجاليد مُودي
قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بني ما اسطعت منها
سوف ألقاك — فانتظر — بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعري الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتقى الشيخ وابنه في اللحد

بين الشاعر

وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي وكذبت أحلامي وأشمت عذالي
إذا ما وعدت الوعد أخلفت في غد وهيئات لا تبقيين يوماً على حال
يظل غريراً من أعارك سمعه وإن عاش أجيالاً عفت بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي
ملاكك فيه الحق أو فيه بعضه
إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتي
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني
وما أنت بالسالي هواي ولا القالي
وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي
ومن يصف الدنيا يصف خيمَ خُتالٍ
من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟
أمانة تمثيلٍ وروعة تمثال!

حانوت القيود

(الحياة كالمرأة إذا أحببت امرءًا قيدته بأحابيلها، وعلقت بهواها، فمن كان حي النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائر والأهواء، ولا تضعف هذه الغرائز والأهواء في الإنسان حتى يكون منبؤًا من الحياة، كأنه عاشق لها مملول لا تبالي هي أن تطلق له القيد وترسله حرًا متى شاء، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود، ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنّا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها؛ لأن قيودها تلك هي الأزمة التي تقودنا بها إلى حيث تريد.)

جزى الله حانوت القيود فإنه
تزود منه الناس في كل حقبة
يصيحون فيه بالقيون كأنهم
فمن قائل عجل بقيدي فإنني
إذا أخطأ الأغلال قطب وجهه
يطوفون بالمغلول طوفة عاطلٍ
فهذا إلى قيد من العقل ناظر
يخفّض من أهوائه كل ناهضٍ
يمشي بأغلال التجارب معجبًا
وهذا إلى قيد من الحب شاخص
ينادي أنلني القيد يا من تصوغه
أدره على قلبي وعقلي ومهجتي
مناط الأماني من بعيد ومكثبٍ
وحجوا إليه موكبًا بعد موكب
سراحين في وادٍ من الأرض مجذب
طليق ومن عان كثير التقلب
كئيبًا وإن أثقلت لم يقطب
فقير بموشي الطيالس معجب
وما العقل إلا من عقل مؤرّب
ويغلب من آماله كل أغلب
على غبطة منه لمن لم يجرب
وفي الحب قيد الجامح المتوثب
ففي القيد من سجن الطلاقة مهربي
وطوّق به كفي وجيدي ومنكبي

ورصَّعه بالحسن المسوِّم واجله
عزیز علینا العیش حرًّا وحولنا
ورب رخی البال تمت حظوظه
أمانی یقفوها فتربط خطوه
وآخر أضنته الملالة باسط
إذا ما رأى المكدود يمقت عيشه
وكم طامع في الجاه والجاه عصمة
يصد العدى عن ربه ويصده
وربَّ عقیم حطم العقم قيده
إذا منَّت الدنيا عليه أجابها
یرى أن حال المفتدى من إساره
ومن لم تعلِّقه الحياة بقيدها
بني آدم لا تنكروها فإنها
فما تکرهون القيد إلا لأنکم
أعزکم من لا مزيد لوقره
وقد زعموا أن القياد قيادة

بكل سعيد في المناظر طيِّب
أسارى الهوى من فائز ومخيَّب
يقيّد دنياه بعنقاء مغرب
رباط الدياجي خطوة المتنكب
يديه إلى الأعمال في غير مأرب
تمنى على الأيام شقوة متعب
ولكنه كالمعقل المتأشب
عن الناس صد المحجم المترقب
يحن إلى القيد الثقيل على الأب
بلعنة موتور وعولة مترب
لديها كحال المجتوى المتجنب
فيا سوء ما اختارت له من تقرُّب
مياسم من أرواحكم لم تُغَيِّب
تنوءون منه بالثقل المشعب
ولا فضل في أغلاله لمعقب
لمن كان يمشی في مجاهل غيهب

أكاروس

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المأزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد براً وبحراً حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورًا مشهورًا في الأساطير «منوطور» فولدت منه طفلًا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سردابًا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولًا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب؛ مخافة من دسياسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربًا من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيلهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران والوثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبيكه من حولها بنات الماء! فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح.)

وتلك المهاوي من حُضارة فاجنبِ
ونادى فنحَى جنده كلَّ مركب
متى حيل ما بين السماء وكوكب!
أنيسٌ ولا جنٌّ ولا ذات مِخلبِ
على سنة الطير التي لم تهذب
على أهبة في جوها المتقلب
إلى الأوج فاحفظه لشوط مغيبِ
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب
فلا تجعل العقبي إلى شر مهرب
ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
جناحاك أو تبتلَّ بالماء ترسب
لريشك وهي من رشاش مرطبِ
ومن خبرتي نخر الصَّنَاع المجرب
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبي
يخنك جناح الرأي يومًا فتعطب

أكاروس هذا مسبح الطير فاركبِ
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه
وظنَّ بنا عجزًا، فيا سوء رأيه
أدر مركب الريش الذي ما استقله
وطر نلتمس عبْر الشمال ونرتحل
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها
ألا وأنَّخر عزمًا يقودك شرخه
وسرَّ قُدُمًا إن المطار لواحدُ
أكاروس إنا هاربان من الردى
توسَّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا
فإنك إن تغتَرَّ بالشمس ينخذلُ
هنا لافح يوهي اللحام وها هنا
أكاروس إني باذل لك من يدي
تذكر عظاتي واعلم اليوم أنه
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي

جناحاك من ريش إذا لم يُعْنهما
أقلُّ من الصخر امرؤُ ضم جسمه
ولي فيك أعمارٌ طوال وللدُنَى
حياتك من بعدي معادي ولن ترى
وللأمس شوقٌ أن يرى الغد طالعا
بُنَيَّ استمع قولي فما بعد نَسِيهِ
إلى الجو هذا يا بُنَيَّ وَدَاعُنَا
فإما لقاءً بعدُ فوق صعيدها
وصاةٌ لديدالوس وصّى بها ابنه
صناعٌ له كفٌّ كأن أكفنا
عليمٌ بأسرار الفنون وإنها
ومن يؤتَ تصريف الجماد يُصب به
وناهيك ديدالوس من ذي حصافةٍ
يعيرك من يمناه صولة قشعم
ويبني فمبناه عمادٌ لأمةٍ
ولكنه بئس الغيور على اسمه
تغيّظَ لما بَزَّه فرع صنوه
فأصماه لم يشفق عليه من الردى
وما كان إلا أن نبا بكليهما
فهذا مسجى في ثراها مترّبٌ
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره
ووارته من عين الغريم فنونه
وما زال يَغْرُورى البلاد ويتقي
إلى أن تلقّته «كريت» وربها
وأمل «مينو» منه حصنا لملكه
وما مَلِكٌ إلا له من صناعةٍ

عديلان من رأي كأغلال متعب
أمانة روح لم يصنها لمأرب
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب
فتى صالحا يجني الفناء على أب
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب
سبيلٌ إلى تكراره لمعقّب
وللأرض منا لهفة المتغرّب
وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب
ونعم الموصي من حكيم مدرّب
من العجز إن قيست بها لم تُرْكَب
لتقبس من سرّ الحياة المحجّب
أكفّا وأعضادا إلى كل منكب
قدير على فعل الأعاجيب معجب!
وخلسة ثعبانٍ وحيلة ثعلب
وبيتٌ لأجyal وزينٌ لمنصب
وقد يحمل الغيران أوزار مذنب
ولم يرع حق الأخت في ابن محبّب
وواراه لم يندم ولم يتحوّب
فضاء أثينا من مقيم ومُعزب
وهذا مزجى دونها كالمتربّب
نكاءٌ يريك النجم في جنح غيهب
وكانت منارا بين شرق ومغرب
تصعد أثناء الذرى بالتصوّب
على خير أهل في حماها ومرحب
فحصّنه «مينو» بملك مؤشّب
معاقلُ يبنيتها ليوم عَصْبُصِبِ

يُخاف ويرجى للمخوف المؤرَّب
وشكرٍ وغبٍّ اثنيهما غير طيب
وأنجاهما في طيِّه سُمَّ عقرب
من الناس لا بل من بهيمٍ مذنب
وليس وليُّ العهد منه بمعجب!
إلى شرٍّ وجهٍ آدميٍّ ومنكب
سباها فتى بالجسم لا الروح يستبي
ويرعى مهاد الطفل رَعْيَ المؤدَّب؟!
ومالكه حيرى فلم يتهيب
تلمَّس حرًّا من غوائل مُغَضَّبٍ
وضاجعٍ أشجان المعنى المعذَّب
ولا وائلٌ من سخطه المتلهَّب
ضراوة مهتوكٍ وغيظ مخيَّب
وخيف الأذى من حاضرينَ وغُيَّبٍ
يوقيه عرض البحر أو طول سبب
فلباه فاستعلى به متن أشهب
خوافق لوى بينها ألف لولب
وأغرى لسان السخر بالمتعقَّب

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤُ
تحير ديدالوس ما بين مُنكرٍ
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه
غوت عرس مينو واشتتت ساء ما اشتتت
تحنُّ إلى ثور وتهوى اقترابه
فأولدها طفلًا له مثل ظلفه
ويا ربَّ أنثى تعشق الثور كلما
فمن غير ديدالوس يخفي شنارها
أهابت به أمًّا وأنثى حريصةً
بنى لسليل الثور حرًّا وليته
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده
وأهول من هول الخضارم في الدُّجى
فلما تنادى الجند وارتجتِ القرى
وقالوا: أَمَنْ رَبُّ الجزيرة حربه
أهاب الصَّنَاع العبقري بفنه
تسريل من ريش وسريل نجله
فحلَّق مزهواً وفرَّ مظفراً

فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟
إلى الشمس في ثوب من النار مُذهب
هواه بوجه صادق النور خَلَبٍ
لنصح نصيح أو لزجر مؤنَّب
إلى الشمس حتى عزَّه كل موثب
من النار فليعتب فلا حين معتب

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا
بلى قد نجا لولا طماحُ سما به
تعشَّقها مفتونة فتقبلت
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى
وما هي إلا وثبة بعد وثبة
تعشَّقها نارًا فإن جاءه الأذى

علا بدمٍ حيٍّ وخرَّ مضمَّخًا
طريقًا على صخر تُغشِّيه رغوَّةُ
وراحت بناتُ الماءِ يندبنَ حولَهُ
وما من عزاءٍ للشباب علمته
إذا جال في حسبانهِ هان عنده
به في جناحي أرجوان مخضَّب
من العيلم الغضبان في غير مَغضَب
ومن يرَ أنقاضَ الصبا الغضن يندب
سوى مدمع من أعين الحسن صيَّب
دموعُ ذراها الحزن من طرفِ أشيب

كعبة الأصنام

بعد الزلزال

كانت الكعبة والأصنام فيها
حلفت في كل ركنٍ بالدمى
هي أصنام لمن يعبدها
عظمت حينًا فلما زُلزلت
كان فيها صنم الحق نبيـ
نزع الزلزال عيني رأسه
وارتمت ساقاه في جانبه

* * *

كانت النخوة فيها صنمًا
يخلب الطَّرفَ بحسن واضح
فارتمت أذناه في الأرض لَقَى
يطلبُ الغوثَ ولا غوثَ له
صاغي السمع كما شئت نزيها
وسماتٍ تزدهي من يجتليها
ومضت كفٌ بلا كف تليها
هل ترى داعيَه إلا سفيها؟!

* * *

والإخاء المحض كم أبصرته
قائمًا يفتَرُّ عن مبسمِه
شقه الزلزالُ فانجابَ لنا
حيثُ لم أبصرَ له قط شبيها
واسعَ الصدرِ يحييك وجيها
عن حنايا صدره لا قلبَ فيها

خيرُ ما في وجهه ظاهره
وتراءى الحبُّ فيها فتنةً
ضرب الزلزال في أصنامه
ما الذي أبقاه من أشلائها
وهوى تمثالٌ مجدٍ لامع
ملأ الدارَ علينا جوهرًا
وقشورًا لا تساوي وزنها
هي إن قامتَ جمالٌ فإذا
هل ترى داعيه إلا سفيها؟
ما اجتواها زائرٌ من زائريها
فهوت أشلاؤها تنعى ذويها
سواةٍ يعرض عنه مشتھيها؟
يخطفُ العين بنورٍ يعتليها
زائفًا ينطق بالزيف بديها
من ترابٍ لن ترى من يشتريها
سقطت لم تكِد العينُ تعيها

* * *

هكذا أقوت زوايا كعبتي
غير أنني طائفٌ من حولها
لا طوافُ المتملّي حسنُها
بل كمن نقب في جوف الثرى
من فراغ لا من الرغبة في
أو هي العادة كالطيف إذا
وثوت خاويةً من ساكنيها
لم أشأ أهجرها أو أبتنيها
أو طواف المهتدي من عابديها
يجمع الآثار في شتى سنيها
تلکم الآثار أمسى يقتنيها
هام بالأحداث يبكي نازليها

إبليس ينتحر

(الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين؛ لأنه الخوف والإغراء، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء.)

هاتوا لي الخير والهدى جرعا
حرية القوم أفسدت خدعي
إن منعت لذة حفزت لها
لو حُجبت شهوة أزيئها
إن طغى ظالمٌ له خنعوا
لو دام هذا البلاء واتسعت
أبزع نفسي حزنا كمن بخعا
لم تبق لي في الأنيس منخدعا!
فكيف حفزي من لم يكن منعا؟
فكيف تزيين ظاهر سطعا؟
فكيف يطغى إن عز من خنعا
حرية القوم ضاق ما اتسعا

عن الشياطين فانطَوَّوا جزعا	واستغنتِ الأرضُ والسماءُ معاً
عهدٍ نضا الخوفُ عنه والجشعا؟	ما حاجة الأرض للآبائس في
وهي على السعي شأنها اجتماعا؟	وكيف تغذوهم بلا عمل
عنها ظلام الدهور فانقشعا؟	وأين يأوونَهَا إذا قشعتْ
إبليس يأْساً وفي يدي صنعا	أتى زمانٌ أموت فيه أنا
ملكٌ إذا همَّ قلما رجعا	ودعتْ ملكَ الدنيا وودعني
ضعفتُ عنه شربته جُرعا	هاتوا لي الخير جرعة فإذا
فإنه لاحقٌ إذا تبعنا	سأسبقُ الموتَ حينَ يتبعني

بيت يتكلم

(كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو أُلقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدهم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره.)

فهل تدرُونَ عنواني؟	جميعُ الناسِ سَكَّاني
عدا آذانَ حيطاني	وما للناسِ من سرٍّ
خفايا الإنس والجان	حديثي عجب فيه
بأفراحٍ وأحزان!	فكم قضَّيتُ أيامي
وكم آويتُ من جان!	وكم آويتُ من برٍّ
فهاكم بعضُ إعلاني	فإن أرضاكمُ سرِّي

لَ في دهري بإنسان	بني الإنسان لن أحف
فلم أسعد بعرفاني	ألم أعرفكم طرّاً
وما استوفيتُ بنياني	أتاني أولُ السَّكْنِ
ولم آنسُ بقطان	وما أرهفتُ آذاناً
فطاشتْ كلُّ آذاني	وأصغيتُ على مهلٍ

نَةُ لاذت بشيطان	هما زوجان أو شيطا
بتقديرٍ وحسبان	وقد عاشا وفيَّين
نَ في روح وريحان	وراحا هكذا يحكو
ولا من تلك في آن	وما أبصرت من هذا
قاءَ تفري عرضَ خوان	سوى خوانيةٍ خر
على غش وبهتان	إذا ما ضحكا يوماً
ل في غيظي وكتماني	حسدت البيد والأطلا
مة أن تهتز أركانِي	وأشفقت من النقا

* * *

وبئس الساكن الثاني	وجاء الساكن الثاني
وأفراسٍ وغيطان	يراه الناس ذا مالٍ
وأعراني وأعياني	وقد شوهني بخلًا
ومنه كان سجاني	وقد صيرني سجنًا
ولم أسعد بهجران	فلما طال بي عهدًا
جحر ألف ثعبان	وددتُ لو أن لي في كل
وأحبوه بغفراني	بديلاً منه أرضاه
لقي شري ويخشاني	وأنفث سمها أو يت
ولم يظفر بنقصان	إلى أن آده أجري
ى سروري يوم أخلاني	فأخلاني ولن أنسـ

* * *

لث ذا عزٍّ وسلطان	وكان الساكن الثا
زرٍّ والذلة سيان	فما ارتبت بأن العـ
لثيماً جدَّ غفلان	وما ألفيته إلا
فَ بطغيان وعدوان	ضعيفاً يستر الضعـ
عليه شرٌّ إذعان	وكم أذعن للطاغي
س بكبر منه طنان	إذا ما لقي النا

فما أصغرَ ما ألقى ساه منه بين جدرانِي

وأما رابع القوم	فدو علم وتبيان
حشا بالورق اليا	بس والأخضر حيشاني
فما لي موضع في الأر	ض أو من فوق عمدان
وما لي مطبخ أو مخد	ع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا	وفيها الكتب تلقاني
أبى للنفس دعاها	ولم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب	ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق	ذاك العالم العاني!
أبين الناس يحتا	ج إلى علم وبرهان؟
وهم عميان ظلماء	سروا في إثر عميان؟
كثير لك يا إنسا	ن في دنياك عينان!

وأما الخامس الجاني	فناهيك بشهوان
فما زودني إلا	بأثداء وأعكان
وهتاف بألحان	وسمار على الحان
إذا أمسيت مساني	بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضي	ك من حسن وإحسان
ومن صون لأسماع	ومن غرض لأجفان
فلا تنظرهم ثم	ة وانظر بين أحضانِي
فيا لله كم في الأر	ض من غي وغيان
وكم في القوم من مخدو	ع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار	وخلان وأخذان
لو أنني قلت ما أدري	لهدوا كل أركاني
فنعم الصمت والحكم	ة يا صخري وصواني!

* * *

وكم صاحبت من أصـ	حـاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصي	وعافوا شهوة الزاني
وباتوا بينَ قرباتٍ	وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنـ	يا على غبنٍ وحرمان
إذا ما شرفتنني زمـ	رةً منهم بصحبان
حسبت الأرض تجفوني	فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر	ب من مجلس فرقان
فقد ألفتُ بعضَ الإنـ	س في العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آويـ	ت في لؤم وعصيان
رياء الخائن العادي	على أهلٍ وأوطان
تلقاهم بتمويه	ولاقوه بإيمان
وفي حجرة أسراري	وفي ظلمة أوكاني
يبيع الحوزة الكبرى	بربع أو ببستان
ويعطي الحق والذمـ	ة والفتيا بأثمان
ويفني أمة تحييـ	ه وهو الزائل الفاني
ويمشي بين قتلاه	رفيع الذكر والشان

* * *

ولم أحمد من الضيـ	فان ضيفاً مثل فنان
تولاني بإبداع	من الفن وإتقان
وغطى كل جدراني	بمنصور ومزدان
وأوحى الحسن واستو	حاه من جنات رضوان
فحيناً حسن مكسو	وحياناً حسن عريان
بريئاً في سماء الفـ	ن من عبث وأدران

وفتائًا على الحا لين لكن أي فتان!
كما تفتنك الزهـ رةً في أعطاف أغصان

* * *

جموعٌ لست أحصيها ولو دونت ديواني
ومثلي كل جاراتي ومثلي كل جيرانني
عرفت الناس أشتائًا بلا عد وحسبان
فلم أعرف أأعداء هم أم جمع أقران؟
إذا ما اختلفوا في سيد مةً تبدو وشغلان
فهم في الموت أشباه وفي سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا بكى حينًا وأبكاني
مساكينٌ فلا تحفل من الناس بإنسان
ولا تحسد فتى منهم على بأس وإمكان
فأعلامهم وأدناهم أمام الغيب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخالي ألا تعرف عنوانني؟
إذا ما طفت حويله فثق أنك تلقاني
فما من منزلٍ إلا وفيه بعض ألواني
تأمل في نواحيه وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمتٌ فيه ه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلواً من مغاليق وأكنان
إذا ما كنت مستحضر أرواح وحدثان
فقف في المنزل الخالي وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفا نك وانظر غير وسان
ترَ الأطياف أفواجًا وتسمع موج طوفان
وتجمع كل ما يُجمَعُ من ربح وخسران
ولا يخطئك تاريخُ ولا دارس أزمان

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سيمة القلوبِ فانظر إلى المسجد من قريب
وقف لديه وقفة اللبيب في ظهر يوم الجمعة المحبوب
إنك في حشدٍ هنا عجيب

* * *

هذا الذي يمشي ألا تراه كأنما قد حملت يده
سفتجة صاحبها الإله ذاك هو الدّين وقد وفاه
فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسرّه ضنين
أصغى إليه سامع أمين فهو إذا صلى كمن يكون
في خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال في حلة ضافية الأذيال
أكان في حضرة ذي الجلال أم كان في عرضٍ أو احتفال؟
يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصلٍّ خافت الدعاء كأنما نصَّ إلى السماء
رسالة في عالم الخفاء فلا يني يبدو لعين الرائي
كالمترجّي أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخٍ من ذوي الخلاق فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاق بين تلاميذ له رفاق

عادوا إليه عودةً الغريب

* * *

تَجَمَّعُوا فِي بَيْتِهِ تَعَالَى وَافْتَرَقُوا فِي جَمْعِهِمْ أَحْوَلا
وَهَلْ نَسُوا فِي أَرْضِهِ النُّضَالَا فَيَحْتَوِيهِمْ بَيْتُهُ أَمْثَالَا
عَلَى اخْتِلَافِ السَّمْتِ وَالنَّصِيبِ؟

* * *

لَعَلَّهُمْ صَلُّوا لَهُ ارْتِجَالَا فَاخْتَلَفُوا مَا بَيْنَهُمْ سُؤَالَا
فَلَوْ أَجَابَ السَّائِلِينَ حَالَا صَبَّ عَلَى رِءُوسِهِمْ وَبَالَا
وَالْحَقُّ الْمَخْطِئُ بِالْمَصِيبِ

الدينار

في طريقه المرسوم

لَمَّا بَدَأَ الدِّينَارُ مِنْ بَابِ الْخَزَانَةِ فِي السَّمَاءِ
نَادَى الْمَوْكَّلُ ثَمَّ بِالْأَرْ زَاقٍ: أَيْنَ تَرَى الثَّوَاءَ؟
قَالَ انْطَلِقْ فِي الْخَافِقِي مِنْ إِلَى فَتَى جَمِّ الشَّقَاءِ
قَدْ بَاتَ مَمْنُوعُ الْغِذَا وَرَاحَ مَقْطُوعُ الْكِسَاءِ
فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وَمَنْنُهُ بَعْضُ السَّعَادَةِ وَالرَّجَاءِ

* * *

فَأَجَابَهُ الدِّينَارُ وَهـ وَكَادَ يَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ
أَنَا لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَدَعـ نِي أَسْتَطِيبُ هُنَا الْبَقَاءِ
سَيَطُولُ بَحْثِي عَنْهُ فِي وَادِي الْخُمُولِ وَلَا لِقَاءِ

* * *

قال الموكَّل ثم بالأر زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ ير ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ خُ كما تشاءُ لمن تشاءُ

* * *

فاستقبل الدينار وجهـ ته وهمَّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعا لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا بق قد رسمنَ له الفضاء
ليس الطريقُ على اقتحا م كالطريق على اهتداء

نداء طفل

أرسلت إلى عروسين:

سرى إلى الآذان في غفوة الوسنان
نداء طفل جريء مستعجل لهفان
عجبت منه صغيراً يقولُ طلق اللسان
أبي كريمٌ وأمي كريمة في الحسان
كلاهما في رواءٍ من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤادٍ مجملٍ بالحنان
كلاهما يتمنّى بين الصغار مكاني
فلي أحق رجاء في عالم الإنسان
وفي ولادة يمينٍ تزف بالمهرجان
وفي احتفال ختانٍ وفي احتفال قران
وفي احتفال نجاحٍ يجوزُ كلَّ امتحان
هيا ادعواني سريعاً إليكما واهدياني
وقرباً لي ضياء الشـ موس والأكوان

* * *

قالوا انتظر قال لا لا	هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلاً	يا أعقلَ الفتیان
فَكُلُّ شَيْءٍ لَدِينَا	موكلٌ بأوان
أَتَحْسَبُ الْعِيشَ رَهْنًا	بما قضى الأبوان؟
فصاحَ صيحةً سَخِطَ	وقال في عنفوان
ما لي أنا ما لي؟	هيا ادعواني ادعواني
أتأبى أن لقاءني	ما أنتما منصفان!

* * *

لا تعذلوه إذا ما	أطال في الهذيان
فالطفل غير صبورٍ	على الحجى والبيان
والطفل هيهات يدري	يومًا بحكم الزمان
فاستمهلاه برفقٍ	وحيلةً وافتنان
ولا تطيلا عليه	في الغيب عد الثواني
فكلنا نترجى	قدومه في أمان

جواب جميل

قال جميل بن معمر صاحب بثينة:

ألا أيها النُّوَامُ ويحكمُ هُبُّوا
أسألكم هل يقتلُ الرجلَ الحُبُّ؟

وأجيب بلسان أحد النوام:

بربك دعنا راقدين فلو درى	بنا الحب لم يرقدُ لنا أبدًا جنبُ
وسل راقدي الأحداث عنهم فإنهم	مجيбок عن علمٍ بمن قتلَ الحبُّ!

وقد سأل جميل بلسان الحال:

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسألكم هل يقتل الرجل الحبُّ؟

وقد أجيب بذلك اللسان:

أفُقْ مزعَجَ الموتى فلو كنت قادرًا على أن تهبَّ اليومَ من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمعَ الصوْرُ سامعًا هنا سر مقتولٍ يبوحُ به صبًّا!

جنة الخيام

رغيف خبزٍ ووجهٌ حلُوٌ وكأسُ مدام
وتلك جنةٌ عدنٍ في مذهب الخَيَّام

* * *

قالوا ونودي يومًا ما تشتهي في يديكا؟
دع مطلبًا منه فردًا والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ إن فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منيرٍ إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع منهاها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردد فيها فمال عنها كظيما
سألت جنة خلدٍ وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناداه صوتٌ يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلدٍ تهذي بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتدُّ وهي جحيم؟»

مادي يعلل الربيع

رفيق أول:

إن الربيع جميلٌ

رفيق ثان:

صه! ذاك قولٌ دخيلٌ
بيعَ شيءٌ ثقیل
للغش فيه أصول
ألست تعلمُ أن الر
وأنه من صنيع

رفيق أول:

من غشه يا صديقي؟

رفيق ثان:

حقاً لأنت جهولٌ
مستأثرون القليل
لهم وظل ظليل؟
قد غشه الأغنياء الـ
أليس فيه متاع

رفيق أول:

وذاك مني فضول	لكن بعيشك قل لي
وأني شرح يطول	بأي برهان صدق
باتت إليهم تميل؟	قد أقنعوا الأرض حتى

رفيق ثان:

فيما أراك تقول!	حقاً لأنت عجيب
في جوفها يا زميل	برشوة دفنتها
منها إليها يئول؟	ألا ترى التبر فيها
فقد أتاك الدليل	فافهم إذن يا صديقي
وأكدته عقول	وأيدته شهود
س والدعاة العدول	الأرض والشمس والناس
مرضى وطبع وبيل	لهم ضماير سوء
ونقضه مستحيل!	بذاك «ماركس» أفتى

عيد ميلاد في الجحيم

(دخل شقي الجحيم فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده):

وادعوا الصحاب وبشروا الأحبابا	صُفُّوا الموائد واملئوا الأكوابا
هذا الجحيم فقرر فيه وطابا	قولوا مضى عامٌ ليوم هبوطه
فيه وآدب باسمه إيدابا	وبلا المقام فراح يحمد شرَّ ما
ما كان لي إلا رجاء خابا	هذا الجحيم أحبُّ لي من عالم
والخير كان كما علمت سرايا	الشرُّ ثمةً كان شرًّا كاسمه
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا	يشقى بنوه ليعمره ويحشموا

لا يعرفون الحق إن سمعوا به	إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
أهون بصاب في الجحيم أذوقه	قد كان ثمة كل شيء صابا
صابا إذا ارتوت الشفاه شربته	بالناظرين وساء ذاك شرابا
ولرب وجه يومذاك شهدته	فكأن سماً في العيون انسابا
وجه اللئيم إذا استهل ومثله	وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في	بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحبُ حيوا النار في ويلاتها	واحثوا على ذاك التراب ترابا
ما كان في حُسن هناك فجهدته	أن يخدع الأبصار والألبابا
أو كان من فضل هناك فحسبه	أن يملأ الدنيا عليك صعابا
يا صحبُ هاتوا من علاقمها لنا	وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
من عاش عامًا في الجحيم فلا انتهى	أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

ترجمة شيطان

ترجمة شيطان

(نظمت هذه القصيدة في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهي تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق، وإن شيطاناً يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير؛ لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى في هذه التجربة، ولكن الشيطان الذي يزيغ الحق بيديه، ثم يكفر بالشر يخبط في حياة ليس لها معنى على الحالين، ويمضي غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين، وغير مكترث لهم ولا لنفسه في هداية ولا ضلالة.)

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم غسقَ الظلماء في قاعِ سَقَرِ
ورمى الأرضَ به رمي الرجيم عبرةً فاسمع أعاجيب العِبَرِ

خُلِقَتْ شَاءَ لها الله الكنودُ وأبى منها وفاء الشاكرِ
قدر السوء لها قبل الوجود وتعالى من عليهم قادرِ

قال كوني محنةً للأبرياء فأطاعت يا لها من فاجرة!
ولو اسطاعت خلافاً للقضاء لاستحققت منه لعن الآخرة

* * *

سُنَّةٌ لِلّهِ فاقفوا إثرَها عصابة السواس وامضوا راشدين
عَلَّمَ الْأَقْيَالَ قَدَمًا سرها فأقاموا دينه في العالمين

* * *

سنة الله وما أوسعها رحمةً منه بجباري الأمم
ويحهم لو لم يكن أبدعها كيف يدرون بأسرار النقم؟

* * *

فله الحمد على ما فقهوا من دهاء الملك والكيد الحَزِرْ
فإذا راموا نكالاً شبهوا من أرادوه بشيطانٍ قَزِرْ

* * *

قال كوني محنةً للأبرياء واخسئي أيتها النفس العقيم
أيها الشيطان أضلّ من تشاء سوف تأويك وتأويه الجحيم

* * *

فهوى الشيطان صفر الراحتين خاوي الزاد ويا بئس السفَرْ
أين يمضي أين أفق الأرض أين فرحاب الكون ملأى بالأكْرْ؟

* * *

بيد أن الشَّرَّ ما زال أريباً وسبيل الغيِّ ممهود الجناب
لن تراه حيث تلقاه غريباً أبد الدهر ولا نزر الصَّحَابْ

* * *

هبط الشيطان في وادي القروء أو هُمُ الزنجُ كما قد خلّقوا
أمة من صنعة الخلاق سود أخطئوا الصبغة أو قد حرقوا

* * *

أرضهم أنجب من أبنائها وحصاد الزرع فيها دائم
لا ينام الظل في أرجائها وهم ظلٌ عليها قائم

* * *

واستوى بين رباها والحوافي فإذا سمت بها سمت السباع
سيد القوم كسيد القفر حافي وهما بعد سواء في المتاع

* * *

وإذا الكعبة في الأرض الشرى ورسول العلم ضاريتها الشرود
بين قنص أو هراش أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود

* * *

ولقد همّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادي الوحش لو أصغى له ألكم في القوم صهرٌ وبنون؟

* * *

سخرَ الشيطان من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس في محنته ألهذا تُستذلُّ الكبرياء؟

* * *

إن يكن أغوائي الزنج لزاما فمن العُجم الضواري عجبي
ما له يأنف أن يغوي حاما ذلك الغاوي نوات الذنب؟

* * *

ومشى ينغم في غير طرب نغم الغبطة باليوم العبوس
نغمًا يرصد من خلف الحقب يوم تندك على الأرض الشمس

* * *

لا نطيلُ القولَ فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدر
خرج الشيطان في الأرض يسير ومن الله إلى الله الصذرُ

* * *

لمحةً جازت به مشرقها ثم ردت به حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغدا حول بحر الروم أو بحر العجم
يتلهى في مغانيها سدى أو لأمر خفيت فيه الحكم

* * *

ورمى أول فخ فأصابا ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا فإذا الحق لجاج واختصام

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثا رسن الواهن سيف المعتدي
ضلة الجهال لغز الحكما ذلة العبد عرام السيد

* * *

وإذا الحق طعامٌ ووكون وإذا الحق بريق الذهب
لو يموت الناس أو لو يشبعون ذهب الحق زهاب السغب

* * *

يا لها من لفظةٍ زوّقها آضَ فرضاً بعدها الفعل الذميم
ويحه في نأمةٍ أطلقها غلب النحس ولم يُغنِ النعيم!

ترجمة شيطان

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشرَّ لا يَأْلُفُ غمضا ربحت صفقته أو قد فقد

* * *

فأطارت سنةً في هدبه بهجة الزرع الذي كان بذر
كاد أن يشكر نعمى ربه لو يسىغ الشكر شيطان كفر!

* * *

وتمادى بعدُ في شرِّته كلما أنبت زرعًا ينعا
فرأى الشوكةً في دولِّته وجنى الوفرةً مما زرع

* * *

ألف جيل بعد ألف غيرت صاحب الآباء فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت منه في صحبتته أيَّ فنون

* * *

أتلَّفَته مثلما أتلَّفَها عجبًا لا بل علام العجب؟
أترى الشيطان يدري ضعفها وهو من ذاك بريء أجنب؟

* * *

فاشتهى الخمر ورنات المثاني وأحب الغيد عذريَّ الهوى!
لعبًا ينهل أنا بعد أن نُهلًا منهم ينعشن القوى

* * *

لا نطيل القول فالقول هذر وحياة الإنس والجن هباء
إن يدم للناس سلطان القدر فعليهم بل على الكون العفاء!

أنف الشيطان من فتنته أمّا يأنف من إهلاكها
ورأى الفاجر من زمرته كعفيف الذيل من نُسّاكها

ما له يفسد خلقًا عدموا آية الرشد وهبهم رشدوا؟
وعلام السلب مما غنموا وهُمُ لو غنموا لم يُحسدوا؟

كلهم طالبُ قوت والثرى نلّ قوم أو تعالوا مخصب
وقصارى الأمر في هذا الورى راسبٌ يطفو وطاف يرسب
مذ رأى الشيطان عقبى شرّه كفر المسكين بالشرّ العقيم
وأراها بدعة من كفره دونما الكفران بالخير العميم

يا إله الكون يا خيرَ إله أين من قدرك أصنام القدم
من كَرَبِّ الكون لا بل مَنْ سواه عادلٌ في الخلق برٌّ بالأمم؟

أنت يا رب لطيفٌ في القضاء فاصعق اللهم من يجحد لطفك
قسمًا باسمك يا رب السماء ما رأى في الناس من يدرك وصفك

يكفر الشيطان بالشر العقام فتعد الكفر منه ندما
وتنجّيه إلى دار السلام وقديماً قلت لا يغشى الحمى

فضلك اللهم من غير حساب وكذا اللهم آلاء العليم

فاعجبوا من نعمة الله العجـاب وانظروا كيف تلقاها الرجيم

نزل الشيطان من جَنَّتِه منزلاً يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختر في مشيته هضبةً عند مصب السلسبيل

هضبة فيها نخيلٌ وثمر وبراكينٌ خبا منها الضرام!
وحلاها دون أنماط الصور قالب الحسن كما شاء التمام

قالب الصنع الذي ينقل عنه كل ذي فن أعاجيب الفنون
شركٌ لا تفلت الأبواب منه حفظته روضةً تسبي العيون

كملت زينتها من كل فن وكساها الزهو ولدان وحوور
وعلى أحواضها الطير تغني يا كريمٌ يا حليمٌ يا غفور

وحواليها على رحب المدى زُمر الأملاك من خلف زمر
كلما راح عليها أو غدا شيعته بنشيدٍ مُبتَكِر

ونُفِضُ الوصف لولا أننا نَصِفُ الدار لكم يا داخلِها
فاصبروا فالصبر مفتاح المنى واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

أزفت ساعته ذات شتاء أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثت في أمر السماء فاترك التاريخ سطرًا أبيضًا

* * *

وُقْبَيْلَ الصَّبحِ أو نحو الأصيل عند باب القدس أو باب الحرم!
ركب الشيطان فوق السلسبيل مركبًا يزجيه سلسال النِّغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام كلُّ زهر باعْتُ منه شذاه
ساريات مثلما تسري المدام أو كما رفَّت على الخدِّ الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف وملك في رواق من رُضًا لو كان يرضى
سَبَّحُوا الله وقالوا الملك لك وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبته الوجه العيوس فرأوا في الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبلُ ما لونُ النحوس لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا كابتسام الطفل في مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا فتمشت في الخليط الثُّبَاء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه وهو لا يعلم أن قد أغلظا
ما لمولاي أرى في نفسه بعض ما خُبِّرْتُ عن وادي اللظى؟

* * *

أتري الويل إذن والشجنا فترة تُطبِّقُ أهدابَ الرقود؟
أكذا الوادي الذي قيل لنا في صباننا إنه مرعى الجحود؟

* * *

فانثنى العابسُ وقَّادَ الجبينِ صارخاً صرخةً مقضيَّ الهلاكِ
أَيُّ وادٍ؟ قال وادي الكافرينِ قال دع هذا فما أنتِ وذاك؟

* * *

قل لنا كيف ترانا ها هنا؟ قال: ماذا إننا للفائزون؟
قال: لكنني أَرانا كلنا وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

* * *

أيها القارئُ وقَّيتَ العثارَ وبلغتَ الخلدَ موفورَ القدمِ
هل شهدتَ الجيشَ في هول الفرارِ أو رأيتَ الطيرَ راعتها الدَّيْمَ؟

* * *

إن تكن لم ترها فارصد لها تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ لله ما أجملها صانها الرحمن عن سفك الدماء

* * *

ساءهم في الخلد ألا يُحسدوا ومن الحسَّاد من تطلبه
راعهم في الخلد أن لا يسعدوا منكر السعد كمن يسلبه

* * *

ولقد علَّمهم شيطانهُ علَّم ما لم يعلموا من غضبِ
ما لهم قد فاتهم شكرانهُ أوليس الغيظ بالمكتسب؟

* * *

لو تراخى خطبُهم لاحتملوا عُدَّ الرجم لذاك المعتركِ
لطف الله فلو قد عجلوا لخلا من نجمه هذا الفلكِ

* * *

مننٌ لله لا يحصرُها صيرفِي رُوِّضت أَعْداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها كلما هام بها عباده

* * *

هو أوحى الوحي في جنته فسرى في الملاء الأعلى الصدى
حين نادى قرَّ في وقفته كلُّ غضبان ولبَّى واهتدى

* * *

فإذا الجنة أمنٌ وسكون كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغضون وصغت حتى وريقات الشجر

* * *

ساعةٌ ثم انجلى موقفُها عن جلال الله فردًا في علاه
غابت الأملاك لا تعرفها وبدا الشيطان معروفًا تراه

* * *

وبدا الشيطان معروفًا ترى كبرياء الكفر في وقفته
عالي الجبهة يأبى القهقري وتوجُّ النار من نظرتَه

* * *

وتَنَحَّى كلُّ مشهودٍ فما ثمَّ إلا الله والطاغي المريد
ويكاد الكون ما بينهما يغلب الشكُّ عليه فيبيد

* * *

ساعة أخرى وقد حُمَّ القضاء وانقضى العفوُّ وحق الغضب
ساعة للنحس حلت والبلاء ومتى حُلَّتْ فأين المهرب؟

* * *

حَاقَتْ اللَعْنَةُ حَاقَتْ كُلَّهَا وَقَضَاهَا الْمُنْعَمُ الْمُنْتَقِمُ
وَجَنَاهَا وَهُوَ لَا يَجْهَلُهَا ذَلِكَ الْجَانِي الَّذِي لَا يَنْدُمُ

* * *

هَاتِفٌ فِي الْخَلْدِ لِمَا هَتَفَا نَفَذَ السَّهْمَ فَمَنْ ذَا الْهَاتِفِ؟
أَهُوَ الرَّحْمَنُ لَا وَاسْفَا بَلْ هُوَ الرُّوحُ الْعَصِيُّ الْعَاصِفُ

* * *

هُوَ رُوحٌ يَحْسُدُ اللَّهَ وَمَا أُعْجِبَ الْحَاسِدُ لِلَّهِ الصَّمَدُ
كَلِمَا أَبْصَرَهُ مُحْتَكَمًا أَصْغَرَ الْكُونَ وَأَزْرَى بِالْأَبْدُ

* * *

هُوَ نَاعٍ سَمَجَتْ فِي عَيْنِهِ نَعَمُ اللَّهُ فَأَمْسَى يَجْتَوِيهَا
حَبَّةٌ يَزْرَعُهَا فِي كَوْنِهِ تَلَكُمُ النِّعْمَى فَأَيْنَ الْجُودُ فِيهَا؟

* * *

هُوَ طَاغٍ يَأْنِفُ الصَّغْوَ إِلَى سَائِلٍ يَسْأَلُهُ عَمَّا جَنَى
يَحْسِبُ الصَّغْوَ عِقَابًا قَدْ غَلَا كَيْفَ لَوْ أَعْذَرَ أَوْ لَوْ أَدْعَنَا؟

* * *

فَرَمَى بِالْهَجَرِ لَا يَحْفَلُهُ حَيْثُ لَا يَبْدَأُ خَلْقَ الْكَلَامِ
وَيَجِدُ الْقَوْلَ أَوْ يَهْزِلُهُ وَلِعَيْنِيهِ وَمِيْضُ وَابْتِسَامِ

* * *

قَالَ سُبْحَانَكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَتَعَالَيْتَ وَلِسْنَا نَعْتَلِي!
لَا سَلَامَ الْيَوْمَ يَقْرِيهِ مَقَالِي أَيُّهَا الْمَوْلَى فَهَلْ تَغْفِرُ لِي؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاء ويُعَزِّي سَيِّدُ يَفْقَدُ عَبْدَا
فاقد العبدان أولى بالرثاء من فتى يَأْلُمُ للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على عبدك العاصي إذا لم تُرْضِهِ
عبد سوء رفض الخلد فلا تَبْلُ بالجود قصارى رفضه!

* * *

لا تعالجني بلوم إنني قائم عنك بلومي وانتقادي
أنا من ينصف من يقرفني وَنَجِيُّ الذم مني لا يُصَادِي

* * *

لائمي أنت على كفر النعم وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتني ذاك الكفور المتهم إنما الكفر أخو الخير القديم

* * *

أخذي أنت بقومٍ شكروا بعض ما قيضت لي من نعم
كذب لا يشكو قوم ذكروا لك بالحمد حلول النقم

* * *

تهب العشبَ لآسادِ الشرى وتعدُّ الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو ترى أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً في ملكه يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبقُ السائل عن مسلكه ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء دولة تحمي على الطرف النَّظَرُ
حظ مَنْ يدنو من الستر الشقاء وسعيدٌ من لها عما استتر

* * *

فاغن بالراضين عن أقدارها إنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها حيث يرضون وما هم ساخطين

* * *

وإذا ما رثم الضبُّ الكدى فقل الكدية فردوس السماء
أوليس الخلدُ يا ربَّ الهدى منزلًا لا يتخطاه الرَّجَاءُ؟

* * *

لا تعاجلني فقد لا يتقي سيد الكون لسانًا يكذب
إن يكن وزر ضلالي مزهقي آخر الأمر فحتفي مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نباتٌ ما نما قط بالخير وقد ينمو الهوى
إنما الصدق وبالٌ يُفترى وأحقُّ الحقُّ ما يوحى الرجيمُ
أبطل الباطل لا يؤذي الورى وأحقُّ الحقُّ يودي بالصميم

* * *

أمجيبني أنت أم عند الصدى أبد الدهر سؤالي والجواب
أهي الراحة في الخلد سدى ثمر الكون جميعًا واللباب؟

* * *

كيف يرضى خالدٌ يفصله أمدٌ بينكما لا يُعبر؟

أيُعاف الشأْ أم يجهله أم يرجيه فلا يقتدر؟

عفوك اللهم لا خلد هنا ومتى كان خلودٌ في قيود؟
سيظلُّ الخلدُ وسواسَ المنى وصدى الليل وأحلام الرقود

وسيبقى الكون في جوهره أبداً شيئين مهما اقتربا
خالقٌ قام على عنصره ومخاليق رأوه احتجبا

صانعٌ يحيي البرايا منعمًا وبرايا صنَّعها منْ وجُودُ
وكلا هذين موجودٌ فما أبعد البون لعمرى في الوجود!
أيها الفانون في هذي الدنى خلدكم يا قوم آجال توالى
تحسبون الخلد في نيل المنى قد خُدِغْتُمْ فاشكروا الله تعالى

قد خُدِغْتُمْ فاسألوا الدود أما يبلغ المأمول من شهوتِه
واغبطوه فهو أرقى سلماً أوْما يوغل في حماتِه؟

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا وتمنوا للأمانِي الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا فاشكروا من يحرم الخلق السؤال

عفوك اللهم أو لا عفو لي طال بي حلمك فابعث وجلك
أنت لا تخطر لي في أُملي لا تكن توبة نفسي أملكُ

ترجمة شيطان

وإدع في خلقك يسجد من رجا خلدك الأعلى فما نحن سجود
لنكوننَّ إذا صح الحجا حجرًا صلدًا ولا هذا الوجود

لا نطيل القول أما المنتهى فقريبٌ وجرى ما قد جرى
السَّنى أظلم والنجمُ سها ولهيبُ النارِ أمسى حجرا

لا انتقامًا حبّطت فتنُّهُ حاشَ لله ولا الحلم نَفَدُ
إن تَكُنْ قد خمدت جذوُّهُ فمن الرحمة بالخلق خَمَدُ

حين جارت فتنة الغاوي على عصمة الأملاك في غرَّتْها
عَجَّلَ الله به ما أَجَّلَا وحمى الدولة في بيضتها
قال كن عبيد فلما أن أبى قال كن صخرًا كما شئت فكان
لهبٌ طار فلولاً أن خبا لتغشى الكونَ نارٌ ودخان

ولقد قال أناسٌ شهدوا مصرع الشيطان هل طبع يزول؟
ناره تخبو فلا تتقد وهو في الصخرة يستهوي العقول

فإذا أبصرت من صخرته نُميةً ساحرة أو صنما
فابتعد منه ومن رقيته واثق الله وحوقل ندما

وتعجَّب من شواظِ رَدَّهِ طارق اليأس صفاةً جلمدا
وتدبَّر كيف أبقى كيده ومحا روحًا وأفنى جسدا

* * *

ولقد أسمع فيما زعموا نبأ من نحو إبليس أتى
قال لا تأسوا ولا تنتقموا معشر الجن فما برّ الفتى

* * *

ما أرى هذا الفتى من دِمنا ومتى استغوى الشياطين الشَّرْكُ؟
أترى شيطانةً من قومنا أغوتِ الأملاك فهو ابنُ مَلَكْ!
ذاك أو كيف أطاشت فمه غيرة منه على القول الصراح
أكبا الثرثار أم أسقمه أرجُ الجنة أم ملّ الكفاح؟

* * *

فتلاحى القومُ ثم استضحكوا ودعا مازحهم شرَّ دعاء
قال فلتسلكه فيمن سلكوا أيها المولى سبيل الشهداء!

* * *

وتقضت بينهم سيرته ومضى كالطيف أو رجع الصدى
باء بالسخط فلا شيعته رضيت عنه ولا أرض العِدَى

* * *

وكذا العهد بمشبوب القلى عارم الفطنة جياش الفؤادُ
أبداً يهتفُ بالقول فلا يعجبُ الغيِّ ولا يرضى الرشادُ

قوميات

هيكل إدفو

... ..
وصيانة بين البنَى وجمالاً
بالشامخات يحيلها أطلالا
جيلان يبنيك الملوك وصالا
إلا استزادوه علّا وكمالا
وتلاحقوا عمّا إليك وخالا
بين العباد ثوابتاً ونزالا!
فيك السلاح أسنة ونبالا!
زلفى لديه وقوة ونوالا؟
أنّ الأوائل دونهم أفعالا
كونين من حكم الطبيعة حالا
فيها الذئاب الضاريات سخالا
فيها وننسى الخوف والآمالا
تذر القلوب فوارغاً أغفالا
عند الكريهة إن جفا أو مالا
ربّاً يُعين الصيد والأنذالا
ويذيق خصمك ذلة ونكالا

... ..
يا دار بطليموس حسبك رفعةً
حرص الزمان عليك وهو موكل
أبقاك في فك الزمان مصونة
لم يبصروا بك موضعاً لزيادة
غدروا ذوي القربى ودكّوا دورهم
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا
وضعوك أم رفعوك لما صوروا
وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا
ضلّ الذين تطاولوا فتوهموا
حسبوا المعابد أرضها وسماءها
هبطت من الملاء العليّ فأصبحت
ننسى العداوة والصدقة والهوى
كذبوا فما تغني الأنام عبادةً
لا ربّاً إلا من يمالئ شعبه
لا تعبدنّ إذا أردت سيادةً
واعبد إلّها يصطفيك بعونه

من ظن أن ولاته كعداته عند الإله فكيف يسعد حالا؟

* * *

والدهر يغتال الفتى المغتالا عنه مكائد من طغى واحتالا أسفًا وما نقص الثرى مثقالا للملك أعلامًا بمصرَ طوالا عبروا بمدرجة الزمان رمالا مصرُ يزيد شبابُها إقبالا من عهد نوح تربةً ورجالا ألا تضيم لها الكوارث آلا قسط البنين معارفًا وخصالا ما كان يومًا لا يكون محالا صمد الهوانُ بها فلا استقلالًا	الناس يغتالُ القويُّ ضعيفهم قهار كل القاهرين تقاصرت ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ملكُ الفراعنةُ الحماة وخلفوا وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ومضى البطالسة الكماة وهذه تتقوضُ الأوطان وهي كدأبها عهدٌ على الله القدير وذمة فتجنبوا فيها القنوطَ وأجزلوا إننا لنرجوها ونوقن أنه وستستقل فلا تقولوا إنها
---	--

تمثال رمسيس

ومواكبُ لك في البلاد وضاء؟ وتقدّمتُ بإيابك الأنبياء للملِكِ والفتح المبين لواء نيلُ أتوه وهم إليك ظماء سافٍ وأنت جلامدُ صماء إن الليوثَ ديارُها الصحراء لا يستبيحُ نمارُها الأحياء قد شرفّتها هذه السيماء ما التبر والذكر المقيم سواء	رمسيسُ أين جنودك البُسلاء وبشائرُ بك كلما طال المدى والجيش حولك كالغمام فوقهم متهللين غداة أطفأ شوقهم فني الجنودُ فهم أمامك عثيرُ متخير الصحراء دار إقامة وتكنّفتك من الخلود مسافة رمسيس أية صخرة بين الصفا رجحت بها التبر السبيك نفاسةً
---	--

حفظت سماتك بيننا وتطلعت
وشكت مواقفه الزمان ولم يكن
تبغي علاك فعازها الأجواء
يعرّوك أنت بموقفٍ إعياء

إلى متطوعي مشروع القرش

... ..
يا فتية القرش وروّاده
خذوا هبات الجود حتى إذا
طوفوا على الدور ولا تتركوا
وحاصروا الراكب في ركه
وراقبوا الجوّ ولا تتقوا
وعلموا من ضن بالقرش أن
فمن أبى قرشاً على أمة
على سواء المنهج الواضح
فرغتم من فيضها النافح
باباً قد استعصى على فاتح
واسطوا على السانح والبارح
غوصاً وراء الغائص السابح
يخجل من عدوانه الفاضح
فذاك كالجاني وكالجارح

عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠.

ربّع الشّامٍ أعامرُ أم خالٍ
إنني لأرجع بالسؤال أطيله
سكنوا وأفقرت المنازل منهم
بوركت من وطنٍ يُجلُّ شهيده
وطنٍ تضيق الأرض عن أبنائه
يستبدلون الخافقين ببضعة
ذهبوا بأفئدةٍ تفرّق شملها
اليوم عيدك عيدُ الاستقلالِ
لو يملك الشهداء رجّع سُؤالي
إلا منازل من صوّى ورمال
في حيثما ألقى عصا الترحال
وإليه موئلهم مع الآمال
منه وما قنعوا بالاستبدال
شيّعاً وما فيهم فؤادٌ سالٍ

* * *

يُرتاد راحلهم وخلف ركابه	حُلْمٌ يبت به مع الحُلَّال
يصحو على «الشاغور» من لبنانه	وينام من «بردى» على السلسال
وتهزه من «عشثروت» خميلة	تلتف بين جداول ودوال
وتليه من وادي العرائش نسمة	سكرى الضحى رفاة الأصل
أنى استقرَّ وحيث سار هفا به	همس من الجبل الأشم العالي
أين السلو ولا سلو لعابر	فيه فكيف بمولد وفصال؟
هذي مواطنكم وتلك قلوبكم	وشجت على الأهواء والأهوال
ما في المدامع من شعار كنيسة	يوم الحنين ولا شعار هلال
فيم اختلاف مصقدين تضمهم	قبل الوفاء سلاسل الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضكم	نهب لكل منازع وموال؟
كونوا ولا نصح لجيل نبوة	في العالمين هداية الأجيال
من بعلبك خذوا المثال لرأيكم	يوم الخلاف وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمد	أثر وللوثن القديم البالي

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه	نعم البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل	ومن التجارب حكمة الأمثال

النشيد القومي

قد رفعنا العلم للعلل والفدى
في ضمان السماء
حي أرض الهرم حي مهد الهدى
حي أم البقاء

* * *

كَمْ بَنَتْ لِلبَنِينَ مصرُ أُمِّ البَنَاءِ
من عريق الجدودُ

* * *

أمة الخالدين من يهبها الحياةُ
وهبته الخلود

* * *

تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعبُ مصرٍ مقيم

* * *

قد حوى ما يشاء من زمانٍ مجيد
ومكانٍ كريم

* * *

نيلنا خير ماء كوثرٌ من نعيم
فاض بالسَّلسبيل

* * *

في العروق الدِّماء شعلَةٌ من حميم
للعدوِّ الدخيل

* * *

إِنْ يَكُنْ أَمْسُنَا في حمى الأوَّلِينَ
فَلَنَعِشْ لِلْغَدِ

لا ترى شمسنا غير فتح مبین
ما يَدُم يزدِ

فارخصي يا نفوس كلُّ غالٍ يهونُ
كلُّ شيءٍ حسنٌ

إن رَفَعْنَا الرءوسَ فليكن ما يكونُ
ولتَعِشْ يا وطنُ

يوم الجهاد

أجل هو يوم الفدى والذَّم	ويوم الجهاد ويوم القسم
ويوم الذين دعوا أمة	ونادوا بدعوتها في الأمم
ويوم له غَدُهُ المُرْتَجَى	ويوم له سرُّه في القدم
هنا حرم في جوار الزما	ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليقم عهدُهُ من أقام	ويعزم على أمره مَنْ عَزَمَ
ويستقبل الهول من راضه	ويرتد من خافه فانهزم
تعزُّ الصفوفُ بنبذ الجبا	ن كعزتها بشجاع هَجَمَ
وتُحمى الحقوقُ بدفع الضعيف	ف كدفعك عن حوضها مَنْ ظلم
فليست تصان الحقوقُ التي	حمى جانبها ضعاف الهمم
وهيئات تعلو لنا شوكة	بشكوى الدليل ونجوى السأم
إذا كرمت أمة لم تكن	كرامتها من هبات الكرم
إذا استرحمت أمة خصمها	فلا رَجِمَتْها عوادي النقم

* * *

كفى لعباً أيها الهازلو نَ فقد ملأَ الخطبُ مصرًا وطم
لئن أسأمتكم كبارُ الأمو ر لقد أسأمتنا صغارُ اللمم
وقد أسأمتنا رعاةً تسا قُ فأين الرعاة وأين الغنم؟
أأصنام باغين تبغونها وأنتم تذلون ذل الخدم؟

* * *

أأطلب حريةً للعبيد وألقي بحرّيتي عن رجم؟!
فماذا أقول لهذا الجبين وما عابه عائبٌ أو وصم؟
ومماذا أقول لهذي اليميد نِ وإني بها قد صنعت الصنم؟
معاذ الفتوة أني لكم على رصدٍ ساهرٍ لم ينم
هو الحق ما دام قلبي معي وما دام في اليد هذا القلم

عيد بنك مصر

ألقيت في الاحتفال بمضي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر.

بلغت الشبابَ فَعِشْ وازدِدِ وأوحِ التهاني للمنشدِ
نما بك جَدُّكَ في المعجزا تِ فيا لك من معجزٍ مفردا!
أفي السن كاليفاع المرتجى وفي المجد كالهرم المخلد؟
وما هرم الصخر في مجده نظيرك يا هرم العسجد
وما بنية حرّة في الرضا تقامُ كبنية مستعبد
بنو مصر في كل عهدٍ لهم بناءً على سُنَّةِ الموعد
فحينًا معابدٌ فوق الذرى وحينًا مصارفُ كالمعبد
بهذا وهذا نجاري الزما نَ ونسبقُ في شوطه الأبعد
وندرك في يومنا أمسنا ونرفعُ شأويهما في الغد

* * *

... ..
فيما قائمين على (حصن مص
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصن
ومن قال يا أمتي وفري
هنيئًا لكم قادة زادة
هنيئًا لكم (حربكم) إنه
لكم راية النصر مرفوعة
تعود لكم كل أعيادكم
... ..
ر) سعدتم برضوانها الأسعد
نجا بالعتاد وبالمُعْتَد
فقد قال يا أمتي جندي
يصولون صولة مستشهد
من الحرب في وصفها الأحمد
على ساحة الزمن السرمد
بأجمل مما به تبتدي

دار العمال

ألقيت في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٣٥.

حَيَّ «دار العمال» بالإقبال
وانتظر رافعي الدعائم حتى
رفعوا أمس ما علا من صروح
ولهم في غد من الأمر قسط
أيها العاملون لبيكم اليوم
نعم جيش السلام أنتم إذا ما
لكم العدة التي ما استطاعت
ولكم أذرع شداد وأيد
ولكم في اتحادكم رأس مال
ولكم صيحة يهاب صداها
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا
لا يسخركم المسخر جهلاً
وترقّب لها بلوغ الكمال
يرفعوا بينهم عزيز المثال
ولهم في غد صروح عوال
من يكن مؤمناً به لا يغالي
م ولبيكم غداً في المجال
جرد البغي جيشه لاغتيال
أمة قط تركها في نزال
من حديد وأظهر من جبال
إن فقدتم ذخائر الأموال
سادة في نفوسهم كالموالي
يبلغ المرجفون بالأهوال
وانبذوا كل عاطل مكسال

* * *

... ..
 من فتور ومن ضنى أو كلال
 قوة في يمنها والشمال
 حة والبأس والحجى والخصال
 ر فأنتم لكم نصيب تال
 صاح فيها: ما للبلاد وما لي؟
 في بلاد تموج بالعمال
 أجر بخس وخدعة ومطال
 سطوة أشعبية الإيغال
 مستغل الجهود والآمال
 ثمر الماء والثرى والرجال
 جمعتهم جوامع الأغلال
 فقصاراهما إلى استغلال
 بعد إلا قضية العمال

... ..
 أيها المنقذون بنية مصر
 أنتم الكف والذراع وأنتم
 حظكم حظها من العلم والصب
 كلما نالها نصيب من الخيب
 أعجب الناس عامل في بلاد
 لا تقولوا العمال حسب وأنتم
 إن مصرًا تنال من غاصبيها
 وهي أرض للواغليين عليها
 كل من في جوانب النيل عان
 كلهم غارس لآخر يجني
 وإذا ما تفرقوا طبقات
 وإذا قيل موسر وفقيز
 حققوا الأمر ما قضية مصر

عيد الجهاد

(٣١ نوفمبر) بعد ربع قرن

بجهاد على المدى في ازدياد
 يوم كان استقلال هذي البلاد
 سدي انطلاق الأيدي من الأصفا
 قد تكون الأعياد لاستعداد
 من قضايا الخصام بين الأعادي
 أسلمونا أمانة القواد

جددوا آل مصر عيد الجهاد
 إنما قدر الجهاد عليكم
 والذي أوجب الحراك على الأيب
 ليس كل الأعياد ندحة لهو
 وقضايا السلام أطول عهدًا
 قادننا معشر فلما تولوا

ما إخال الرواد قد سرحونا بعدهم نحن معشر الأجناد
سبقونا ممهدين وقالوا دونكم فانهضوا بغير وقاد
قد حملنا وديعة الأجداد فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

صدّقوني فربّ صدق نذير حاطّ قومًا من صادق الإيعاد
لغدّ فارقبوه أحوج منا لاجتهادٍ في أمرنا واتحاد
قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ومدى السلم حولنا غير باد
إنما الهولُ في غدٍ فاتقوه واستعدّوا له بأطيب زاد
ما الوغى والسيوفُ مشتجراتُ كالوغى والسيوفُ في الأعماد
من حروبٍ على اللسان صراحٍ وحروبٍ مكنونةٍ في الفؤاد

* * *

وأباطيل فتنةٍ وضلالٍ وعقابيل محنةٍ وفساد
كم تلاقون في غدٍ من دعاوى صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فجٍّ وبلاء الأرزاق في كل واد
قسم للحطام في غير عدلٍ وأدّخار له بغير سداد
بين كظانٍ أثقلت جانبيه تُخَمُّ جمّة وجوعانُ صاد
إن وقّيتم بلادكم من أذاها فانعموا بعدها بعقبى الجهاد

عيد النيروز

أهلاً بنيروز وليد أهلاً بميلادٍ سعيد
يومٌ جديدٌ قلتُ بل عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةُ فيه وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسأ م على الهوى سؤم العبيد
وغداً ستنقشع الغيو مُ فلا بروق ولا رعود

ما كان غير الصالحين من لهم قرار في الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة	قُرت على حصن وطيء
لا تلبث الأصنام فيه	ها أن تنكس أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى	باغ وكاد لها حسود
يمضي يعدد ما يريد	والله يفعل ما يريد
حوض له من قومه	ورد وما أحلى الورود
إن لم يزد أبناؤه	عنه فمن عنه يذوذ؟
سمرٌ وسودٌ أين من	صبغيهما حمر الجلود
شتان ما هم في الأصو	ل وفي المهود وفي اللهود

* * *

يا صحبة التوفيق وُفِّ	حَقَمَ إلى النهج السديد
حييتُم النيلَ المبا	رك واحتفيتُم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيد	دَ فَمِنْ وفاءٍ المستعيد
عيدٌ له في ذمة التا	ريخ توفيق حميد
عيد الأوائِل والأوا	خر والخمائل والورود
العالمية وصفه الـ	معهودٌ في كل العهود
من فارس عنوانه	وصداه في الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذك	راه وحياءُه هنود
وترنمت فيه العرو	بُهُ بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر	ي وبين نثر ابن العميد
أُمم يؤلف بينها	من حيث فرَّقها الجدود
ما أحوَج الدنيا إذا اخـ	تلفت إلى عيدٍ وحيد

* * *

في كل عام تحتفو	نَ بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم	فرد له ملك فريد

ملكٌ على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنُّه ألا يضيع ولا يبيد

* * *

يا مصرُ يا بنتَ الخلود يا معقل المجد التليد
أين الذين جَزَوْكِ جا زيةَ الخيانةِ والكنود؟
من كل مسخ هازل في زِيٍّ جبارٍ عنيد
يحكي الأسود تَجَبُّراً وكذاك عريدة القرود
طاغ عليك ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما في جوفه نارٌ تُلظَّى بالوقود
أبدًا تنادي كلما أطعمتها هل من مزيد
لا نصح يجدي في هذا يته ولا عتبٌ يفيد
أين القرار به وأين اليوم موكبه المجيد؟!
ولَّى وولَّى صاحبه لا غائبين ولا شهود
من كلٍّ مغلوبٍ على كمدٍ ومنبؤٍ شريد
الله أقوى قوةً من كل شيطانٍ مريد
كم ذا استعزَّ ببأسه فأذَلَّهُ البأسُ الشديد
بأس الجنود العامليـ ن يقودهم ربُّ الجنود

* * *

الذيل أقبل من بعيد وكأنه حبل الوريد
متدفقٌ بين السدود د ولا حدود ولا قيود
فيضٌ من السودان مو رده وقبلته رشيد
متجددٌ في كل عا مٍ عند مواعده يعود

الفالوجة

...	...	...	...	...	...	...	...	...	...
أجل هي مصر التي نعهدُ	لها موردٌ من حماة الدِّما	فلله مصر وما جدتُ	إذا ما ارتضى الموتَ أبطالُها	أعادوا لها سيرة الأوليـ	تحنُّ الرمالُ التي خضَّبوها	فكم لعلِّي وكم لصلا	وكم قبل ذاك لرمسيسها	معودةٌ أن تجيبَ الدعا	...
إذا نفذَ الدهر لا تنفذُ	ر يسعفه أبداً مورد	وأبناء مصر وما جدوا	فرضوانهم أنَّها تخلدُ	ن والعود من مثلهم أحمد	وينبض في جوفها الجلمد	ح جنودٌ بساحتها استشهدوا	كُماةً على صخرها وُسِّدوا	ء إذا ما دعا المجد والسودُ	...
...	...	...	...	...	...	...	...	...	...
بيومٍ مجيدٍ، لأمس مجيد	وإنَّ غداً بعده أمجد								

* * *

بنو مصر لله ما جاهدوا	أولو البأس لكنهم عصبه	ومنهم لكل ضعيفٍ حمى	أغاثوا العروبة في محنة
وفي الحق والخير ما أعتدوا	إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا	وفيهـم لكل أخ منجد	رماها بها الزمن الأكد

تقدير

شكسبير

بين الطبيعة والناس

ماذا أفادكَ صدقُ العلم في الأمم؟
هذا نصيبك من دنياك فاغتنم!
يا للعجائب من أضحوكة القسم
فاعجب من الناس لا تعجب من البهم
ترى الحجي رؤية الأسوار والأطم؟
رقابهم دون أدنى تلکم القمم

أبا القوافي ورب الطرس والقلم
لم يعرفوك ولم تجهل لهم خلقاً
قضيت دهرك تلهيهم وتضحكهم
لا يوثق الهرُّ رثباً لا ليضحكه
هلا رأوك على قربٍ بناظرة
ولو رأوك بتلك العين لانخلعت

* * *

يوم انقطعت عن الآفات والنعم
وليس ينفعه الأحياء في الرجم
في الغابرين ولا سرتك في الرمم
للشمس هذا ضياء الكوكب العلم؟
أين الجهالة من برٍّ ومن ندم؟
أينظرونك إلا نظرة القدم؟
وأندر البرِّ بالأرواح والنسم

شرعت للناس ورداً لا انقطاع له
والميت قد ينفع الأحياء ما عمروا
إن يذكروك فما جاءتك ذكرتهم
أو يكبروك فماذا قول مسرجة
أو يشكروك فما بروا ولا ندموا
ارجع إليهم وقل فيهم وغن لهم
ما أكثر البرِّ باسم لا غناء به

لا يقدر الناس يومًا أجر سادتهم وإنما يقدرون الأجر للخدم
أجر العظيم زَماعُ في جوانحه يجزيه بالأمن أحيانًا وبالآلم

وصاحب لك أرخصت الفؤاد له والحب أقرب من إلٍّ ومن رحم
فردُّ من الناس لو شدَّ الوفاء به أهونتَ غدرَ جميعِ الناسِ بالذمم
فقدته هو موجودٌ على كُتُبٍ يا موجدَ الحسنِ أسرابًا من العدم
لم يُغنِ قلبك عنه ما يزخرفه عن صورة الحسن في الأوصاف والشيم
بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلًا حيًّا، على أنه في البعد كالحلم
أغناه باللهو عمًّا أنت ضامنه من ليس يغنيك عنه بالنهي العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد عرفتَ سرَّ قلوب الناس كلهم؟
هيهات لا تملك الألباب ما عرفت أين المنجم من شهبٍ ومن رُجمٍ
أرضُ تراها ولم تملك مقالدها لتلك أقصى لعمري من ذرى إرم

أبا القريض وحسب القول معجزةً بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوأنا تناظره كنت الفخار فأبدت ذلة العقم
ما الفخر للكون إلا بالحياة وما من بضعة هي أحيا منك في الأدم
لما رأت بك عمياء الحياة جلت ما ليس يجلوه نور الصبح من ظلم
حتى الخرافات تزجيها فنحسبها من خلقة الله لا من خلقة الوهم
نكاد إن لم يجدها الطرفُ ماثلةً في الأرض نقدحُ فيها قدحُ متهم
تقاربَت عندك الأقدارُ والتهمَّت حياتُك الخلق طرًّا كل ملتهم
فما احتفلت بأمرٍ هائلٍ جليل صعب المرام ولا أزييت باللمم
مثل الطبيعة تُذكي الشمس ساطعةً في العلُو إذكاءها للنار في السلم
كم ترجمُ الناس عن فحوى حقائقها أننى تنقلها نصًّا إلى الفهم

أبا القريض ألا بوركتَ من رجلٍ إن الرجولة في الأقوال والهمم

لقد خدعت خداعاً لن يضل به
وقد خلدت ولكن مثلما خلدت
هذا قصارك في الدنيا وأحسبها
مالت على القوس ترمينا على غرر
يا ليتها كلمتنا وهي رامية
مجاور الموت هل ألقيت في يده
ألقيت في الأرض جمرًا لا ذكاء له
أمنت قرب ثراها واتقيت يدًا
والأرض أمك والإنسان بعد أخ
لقد لحقت وكم في ذاك من عجب
ما أبلغ الموت في صمت رماك به

إلا الذكيُّ الفؤاد الصادق الحكم
تلك الشخوص التي أنشأت بالقلم
تلهو بنا بيد هوجاء لا بفم
من الظلام بلا وري ولا نغم
أو غلها شللٌ أخرى بذا البكم
بقيةً منك لم تُقرأ ولم تُشم؟
فأين أفلت ذاكي ذلك الضرم؟
تمسُّ منك بقايا الأين والسقم
وقد يمدُّ شقيقٌ كف منتقم
بزمرة الصخر فانزل ثم في حرم
يا أبلغ الناس في صمت وفي كلم

ذكرى سيد درويش

في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

واحفظوا الذكر سرمدًا
قد تغنى فأسعدًا
يبتدئ مجده غدا

اذكروا اليوم سيدًا
وتغنوا بحمد من
من يكن ذاك أمسه

كيف لا يملك الصدى؟
وسيحيوه مُخلدًا
قيل تاريخه شدا
ن مصابيح للهدى
جاوز الشمس مصعدًا
ات لا يعرف الردى

كان للصوت مالغًا
قد حوى السمع شاديًا
أخلد الناس مَنْ إذا
عاش للفن والفنو
مطلع النور نبعها
من يعيش في السماء هيهـ

* * *

جددوا اليوم ذكر من	قد تغنَّى فجدا
الذي صوَّر الحيا	ة هتافاً مرددا
عَلَّمَ الناس كيف يعنو	ن باللحن مقصدا
ما ابتغوا قبله المعا	ني في القول مسندا
وانثنوا يعجبون للط	ير لما تغردا
ولهمس النسيم في الـ	غصن لما تأودا
والدراري والسننا	والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى	من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيئاً	والمقادير شهدا
فُتِحَ البابُ كله	بعد أن كان موصدا
ربما جاز فاتحُ	في المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفنُّ في الشعو	بِ شبابٍ له الفدى
فيض ما زاد من شعو	ر وما هام مبعدا
سورة في عروقتها	يَتَّقِي بِأَسْهَى الْعِدَى
لا أنينٌ ولا طنينٌ	ولا ضجة سدى
أو نديم لشاربٍ	بالطلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى	سائل يطلبُ الجدى
رحم الله سيِّداً	كان للفن سؤدا
ليت أحياءنا الألى	سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو في الثرى	منه روحاً تمردا
وارتأوا مثل رأيهِ	واققدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه	جاور البحر فاهتدى
مفلحٌ من يكون أستا	ذه البحر مزبدا
إنما اللحن تُرجما	نُ عن النفس ما عدا

مبدعٌ وهو ناقلٌ	كلما قال أوجدًا
واصفٌ لن ترى له	عاذلاً أو مفنّداً
هكذا كان سيّدٌ	صادق الوصف مرشداً
ما سمعنا لشعب مصر	ر على ما تعدّداً
واصفًا كان مثله	مستجاباً مؤكّداً
كلُّ رهطٍ أعاره	لحنه أسلم اليدا
وحبّاهُ بسرّه	ناطق الوسم منشداً
ليس من عاملٍ ولا	عاطلٍ راح أو غداً
أو سريٍّ مجللٍ	أو فقيرٍ تجرداً
أو قويٍّ مزمجرٍ	أو ضعيفٍ تنهّداً
أو دعاءٍ دعاه إلا	عرفناه جيداً
هكذا يسمع الخليل	قّة من يسمع الصدى

إنما اللحن منطوقٌ	وحّد الكون إذ حدا
فيه لا في اللغات يب	دو نظيماً منضّداً
اسمعوا منه في الضما	ئرٍ وحيّاً مؤيّداً
حيثما يقصر الكلا	م ويمشي مقيدا
وارفعوا الفنّ واحذروا	مهبطاً منه أو هدا
واجعلوا من تراث درويـ	ش للفن معبداً
إنه مهد الخطى	فابلغوا أنتم المدى
رحم الله سيّداً	كان في الفن سيّداً

تكريم عامر

بلدُ الشمس والجبالُ	كيف لا تنجب الرجالُ؟
أنجبت مثل عامر	وهو في الهمة المثال

سبِق القول بالفعال	الذي في جهاده
ف في حومة النضال	والذي كان أول الص
ع بدا فارس المجال	عندما نودي الدفا
ل بنو النيل حيث صال	وتلا مَنْ تلا وصا
هزم الشح والمطال	أشجعُ الناسِ باذلُ
عة مِنْ أندر الخصال	كرم النفس كالشجا
... ..	
رفعت هامة الهلال	كرّموا الذروة التي
لت مع المجد حيث طال	رفعت أرؤسًا وطا
أجدر الناس باحتفال	واحمدوا في احتفالكم
والعظامي في الخلال	العصامي في الغنى
فشأى عصابة الرجال	والذي جد وحده
في تجاراته حلال	والذي كلُّ درهم
نة والصدق في المقال	زانه الله بالأما
ولا يعرف الكلال	والمضاء الذي يجدُّ
غير ضيق ولا اختلال	والنظام السوي في
مَنْ له العزمُ رأس مال	يتبع المال صاغراً
حاز من قبله ونال	لقبُ حازه وكم
فهو ذو الفضل لا جدال	لم يزد فضله به

* * *

خيرَ دارٍ وخير آل	كرّموه تُكرّموا
قط من معدن الكمال	إن أسوان ما خلت
د وأنموذج الجمال	صخرها جوهر الخلو
من بنيتها بخير حال	وبنوها وأنتم
ل من الأعصر الخوال	لكم المجد لا يزا
لا جنوب ولا شمال	إنما المجد بالعلا

* * *

يا صديقي ويا ابن قو	مي وجاري على اتصال
أقرب القرب بيننا	شيمةً فيك لا تنال
شيمة النبل في استقا	مة طبع وفي اعتدال
شيمة العزة التي	لا يغالي بها اختيال
إنها جيرة لها	أبعد الناس مستمال
لا تزل غانمًا بها	هانئًا في هدوء بال
وحواليك دولة	من محبيك لا تدال
تتلاقك نعمة	أبد الدهر في اقتبال

ثناءً على ماهر

ثناء الكرام على ماهر	ثناءً على الرجل القادر
على رجل زاهد في الثنا	ءٍ إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله	فيقبل في جحفل زاهر
وَمَنْ كُلُّ أيامه صالحا	تُ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفي	ولا حيرة فيه للشاعر
تجيء مدائح الصادقا	ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله	ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه	حقائق للحاسب الحاصر
وآراؤه في ثنايا غدٍ	كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه في مواعيده	كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق في بأسه	تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمّن للعدي	وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه في قضاء الفرو	ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب	فليس بوانٍ ولا قاصر

* * *

أولي الأمر طوبى لكم يومكم وطوبى لكم ذكره الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا مدى الحمد من وطنٍ قادر

الغزالي والخيام

نُكْرِمُهُ نُكْرِمُهُ وما نرويه نعلّمُهُ
ولم ننشئ له فضلًا ولكنّا نترجمه
وَمَنْ ذَا مَثَلُ إِبْرَا هَيْمَ ذُو فَضْلٍ نَعْظمه
وذو سمت نوقره وذو رأيٍ نقومه
فتى تُرْضَى سجاياه ويصدق قلبه فمه
تساوت عند مطريه مزاياه وأنعمه
وحب الخير في دمه فكيف يخونه دمه؟
لَهُ مَجْدٌ يُوَثِّلُهُ بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه وقد يغنيه أقدمه
ولكن ليس يستغني بحظٍّ لا يُتممه
تكنّى بالغزاليِّ فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيّا م لاقاه مخيمه
أديبٌ ينثر التّبا نَ آيات وينظمه
عماد الجمع منبره وزين الطرس مرقمه
وللفنان في نادي ه مغناه ومغنمه
علت في السعد أنجمه وفي العليا أسهمه

* * *

تعالى الله هاديه إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضلُ فضل الله ه بالقسطاس يقسمه

في محراب المطران

يَوْمٌ تَعَطَّرَ بِالثَّنَاءِ	يَوْمٌ تَأَلَّقَ وَاسْتِضَاءَ
وَالْفُضْلَ مَرْفُوعَ اللِّوَاءِ	يَوْمٌ أَطْلَلَ عَلَى الْجَمَى
نَ لَشَاعِرٍ عَرَفَ الْوَفَاءَ	هَذَا وَفَاءَ الْعَارِفِيَّ
ض، خَلِيلَ نَادِيهِ الْحَمِيمِ	«مطران» محراب القريب
أَنْسُ يَهْشَ لَهُ النَّدِيمِ	قَدْسٌ يَزِينُ وَقَارِهِ
إِلَّا لِذِي فَضْلٍ عَمِيمِ	خَلْقَانِ لَمْ يَتَجَمَّعَا

يَاكَ الْحَسَانَ وَهَنْ شَتَّى؟	مَاذَا أَعَدَّدُ مِنْ سَجَا
لَاءَ مُحَبَّبَةٍ وَسَمْتَا	أَدَبًا وَعَرْفَانًا وَأَ
طَرَاءَ أَنْكَ أَنْتَ أَنْتَا	وَإِذَا أَطْلُتُ فِغَايَةَ الْإِ

بَةِ بِاسْمِ شَاعِرِهَا الْمَجِيدِ	نَادَاكَ أَبْنَاءَ الْعُرُو
لُعُ كُلِّ يَوْمٍ فِي سَعُودِ	فَأَلُّ تَجَدُّدِهِ الطُّوَا
بَةِ وَهِيَ «جَامِعَةٌ» تَسُودِ	الْآنَ فَاهْنًا بِالْعُرُو

حَى أَعَاجِمِ شَكْسَبِيرِ	أَنْطَقْتَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِ
نَةِ فِي الْكَبِيرِ وَفِي الصَّغِيرِ	وَنَقَلْتَهُمْ نَقْلَ الْأَمَا
نَ وَلَمْ تَبْدُلْ فِي الضَّمِيرِ	بَدَّلْتَ فِي لُغَةِ اللَّسَا

بَتِهِ فَعَاوِدَهَا الْمَزَارِ	وَدَعَمْتَ لِلتَّمَثِيلِ كَعَا
حَفَلْتَ بِحُجٍّ وَاعْتِمَارِ	صَفَرْتَ فَحِينَ حَالَلتَهَا
مِنْكَ التَّلَاوَةُ وَالْحَوَارِ	لَقَنْتَهُمْ فَتَلَقَّنُوا
دَ كَمَا تَنْزِلُ فِي كِتَابِ	وَجَمَعْتَ فَحَوَى الْاِقْتِصَا

قَلَمٌ يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَيَدُّ تَجُودَ بِلَا حِسَابِ
فِي الْعُرْفِ وَالْعِرْفَانِ سَا تِلْكَ الْمُؤْمَلُ مُسْتَجَابِ

* * *

ذَمُّ الْيَرَاعِ قَضِيَّتَهَا فِي كُلِّ مِيدَانٍ دَعَاكَ
لَيْسَ النَّظِيمُ أَوْ النَّثِيءُ رَقْصَارٌ مَا اسْتَرَعَى هَوَاكَ
إِنْ «الْجَوَائِبُ» وَ«الْمَجْ لَّةُ» فِي الصَّحَافَةِ شَاهِدَاكَ

* * *

لَمَّا سَبَقَتْ إِلَى الْجَدِّ يَدِ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَى كَمَالِ
أَتَعَبْتَ خَلْقَكَ مَنْ عَدَا فِي الْعَدُوتَيْنِ عَلَى ضَلَالِ
لَمْ يُدْرِكْ كُوكَ وَإِنْ جَرَوْا مِنْ بَعْدِ شَوَاطِئِ فِي الْمَجَالِ

* * *

حَرَرْتَ أَوَازِنَ الْقَصِيدِ بِفَزَادٍ فِي الْمِيزَانِ وَزَنَا
وَتَوَسَّعْتَ فِيهِ الْبَحْوُ رُفَأَرْسَلْتَ دُرَّرًا وَمُزَنَا
هَذِي الثَّلَاثِيَّاتِ حَقًّا لَكَ مِنْ لَدُنْكَ وَمِنْ لَدُنَا

* * *

وَأَقَمْتَ فِي دِيوَانِكَ الْعَا لِي أَمِيرًا لَا تُجَارِي
أَوَّلَى الرِّبُوعِ بِشَاعِرٍ آفَاقِ أَنْجَمِهِ الْعِزَارِي
لَا يَبْتَغِي سَكْنًا سِوَا هَا حَيْثُ حُلْ وَلَا مَدَارَا

* * *

وَاللَّهِ لَوْ وَفَّقَكَ بِالتَّ جَدِيدِ حَقِّكَ مِنْ ثَوَابِ
لَمْ تُؤَفِّ عَهْدَ كَهُولَةٍ إِلَّا رَدَدْتَ إِلَى الشَّبَابِ
مُتَجَدِّدِ الرِّيعَانِ فِي ظِلِّ الْخُلُودِ الْمُسْتَطَابِ

* * *

لكنَّ حَقَّكَ فِي الشَّبِيحِ	بِة شَائِعُ بَيْنَ الْقُلُوبِ
يَدْعُو بِشَعْرِكَ مِنْ شِدَا	أَوْ عَنْكَ فِي النُّجُوى يَنُوبِ
هَبَّةً قُضُوكَ دِيُونَهَا	وَالْحَرَّ سَدَّادٌ وَهَوْبِ
أَنْعَمُ بِمُحْفَلِكَ الَّذِي	وَسِعَ الْعُرُوبَةَ فِي مَكَانِ
كَرَمْتَ بِإِكْرَامِ النُّهَى	وَعَلَّتْ بِإِعْلَاءِ الْبَيَانِ
هِيَ تَرَجَمَتْ بِكَ عَنْ فُضَا	ئِلَيْهَا فَنَعَمَ التَّرْجَمَانِ

* * *

عِيشًا مَعًا مَتَعَاهِدِي	نِ وَأَبْلَغَا الْعَهْدِ التَّمَامِ
مِنْهَا لَكَ الْآذَانُ صَا	غِيَّةٌ وَمِنْكَ لَهَا الْكَلَامِ
مُتَقَابِلِينَ عَلَى الرِّضَا	مُتَلَاذِمِينَ عَلَى الدَّوَامِ

كوكبُ الشَّرْقِ

هَلَّلَ الشَّرْقُ بِالْدَعَاءِ	كوكبُ الشَّرْقِ فِي السَّمَاءِ!
عَادَ فِي حِلَّةِ الضِّيَا	ءِ وَفِي هَالَةِ الْبَهَاءِ
لَمْ يَغِبْ هَاجِرًا وَلَمْ	كُنْ كَمَا غَرَبْتَ ذِكَا
لَا تَخَافُوا عَلَى مَطَا	لَعِهِ سَطُوءَ الْمَسَاءِ
وَاهِبِ النُّورَ لَا يَدَا	رِيهِ عَنْ نُورِهِ عِشَاءِ
كوكبُ الشَّرْقِ فِي أَمَا	نِ مِنْ اللَّيْلِ لَا مَرَا

* * *

يَا عُرُوسَ السَّمَاعِ لَبًّا	كِ مِنْ يَسْمَعِ الدَّعَاءِ
وَشَفَى أَنْفَسًا لِعَيْنِي	كَ تَسْتَرْخِصُ الْفِدَاءِ
انْظُرِي فِي وَجُوهِهِمْ	تَعْرِفِي نُضْرَةَ الْوَفَاءِ
كُلُّهُمْ وَدَّ لَوْ يَغْنِي	مِنْ الْبَشَرِ وَالْصَفَاءِ
لَوْ بِقَدْرِ السَّرُورِ نَشْ	دُو غُلْبِنَاكَ بِالْغِنَاءِ!
أَمْ كُلُّثُومُ يَا بَشِيحِ	رًّا مِنْ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ

أنت من وحيه وللـ	ه في الفن أنبياء
ذلك الصوت صوتك الـ	عذبٌ مِنْ عَرْشِهِ نداءٌ
فيه سرٌّ مِنْ جَنَّةِ الـ	خلدٍ لكَنَّه ضياءٌ
فيه ما يرفع الحجا	ب! وما يكشفُ الغطاء
فيه أنسٌ لمن يشا	ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجي سلا	مٌ وللمشتكي عزاء
فيه حرزٌ من الهمو	م وعونٌ على القضاء
أيُّ نفسٍ إذا ترنـ	مت لا تهزم الشقاء؟
إنه قوةٌ إذا عز	من قوةٍ نجاء
إنه من غنى إذا	حُسِبَ الصوت من غناء
إنه ثروةٌ لمصر	وما أجزل الثراء
مهرجانٌ لعيدها	حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت	بلسمٌ ناجع الشفاء

أيُّها الكوكب الذي	أسعد الأرض باللقاء
رددي الطرف في الفضاء	ء وما أرحب الفضاء
واسأليه سؤال من	يلحن الطير في الهواء
هل سرى فيه مثل صو	تك في الحسن والنقاء
في قديم من الزمان أعـ	ني وفي حاضرٍ سواء
لا أحاشي من الرجا	ل قبيلاً ولا النساء
لا تُجيبني أنا المجيبـ	ب ولم أغلُ في الثناء
أنتِ كالشمس لا تُعدُّ	دُ في هذه السماء

موسيقى خالد

أبناء مصر تَدَكَّرُوا وتَدَكَّرُوا	ما مصرُ خالدةٌ لمن لا يذكرُ
وإذا جرى ذكر الفنون فميّزوا	بالحمد فنًا بالجمال يُبَشِّرُ

ذهب الزمانُ زمانٌ مَنْ لم ينعتوا
 إنَّ الذي يعطي النفوس عزاءها
 ليس الغناء صدَى ولا أنغامه
 إن المغني إن علا استقلالكم
 بالمجد إلا من يصول ويقهر
 لَأَحَقُّ بالذكر الجميل وأجدر
 خفقات أصواتِ تمر وتعبّر
 بين البناء مؤسَّس ومعمّر

لله «سيدٌ» الذي غنى لكم
 وصف ابن مصر فليس يدري سامعٌ
 إن تسمع الحوزي منه رأيته
 أو تسمع النوتي منه حسبته
 أو تسمع الريفى منه لمحته
 أو تسمع الجندي منه نظرته
 وإذا «المسارح» راجعت أيامها
 زمنًا، فقال العارفون «مصور»
 أصغى إليه أسامعُ أم مبصر
 عجلًا فتيمن في الطريق وتيسر
 في النيل يقبل بالشارع ويدبر
 في الحقل يحصد في الأوان ويبذر
 وعلى أسرته الشعار الأخضر
 لاذت بفرٍ منه لا يتكرر

قالوا تفرنج بالغناء وإنما
 عرف الأغاني واللحون كما جرت
 أمم إذا غنّت فليس غناؤها
 هو مؤثرٌ في الفن لا متأثر
 في عرف من نطقوا بهنَّ فعبروا
 لغو المجانة بل معانٍ تؤثّر

قل «سيدًا» فإذا ذهبت مترجمًا
 هي من مصادفة الحروف وربما
 سمةٌ على كل اللغات سميها
 علموا هنالك أنه «المايسترو»
 سبق الحروف بها دليلٌ مضمّر
 للسبق في الفن الجميل ميسر

يا نخبة قدروا الجميل لأهله
 دوموا على عهد الوفاء وقدروا

تأیید

ذكري الشهيد

رثاء محمد فرید

من غير طينيتها نُصَاعُ وَنُحَلِّقُ
تعتاد حاسرة الوجوه وتبثق
ونتاجها الأبدي عنها مغلق
لا يُرْتَوَى منه ولكن يُغْرِقُ
ترجوه أن صده قد لا يخفق

... ..
 دنيا نزاولها ونحن كأننا
 محجوبة المرمى فما لشرورها
 نفسى على الأبدى من أشواكها
 وكأنما الدنيا سراِبُ سمرُ
 سواك فيها حبن بخفق عاملُ

* * *

أَبَدًا وَلَا يَبْرَحُ سِلَاحُكَ يُمَشِّقُ
الدَّهْرَ حَوْمَةً حَرِبَهَا لَا الْخَنْدَقُ
مُتَجَمِّعٌ فِي مَدَّةٍ مُتَفَرِّقُ
وَالْحَقُّ بِبِرْقِهِ وَنَعَمُ الْبِيرِقُ
جَيْشٌ بِمَوْتِ غَزَاتِهِ لَا يَمْحَقُ
شَرَعُوا لِهَازِمِهِ وَبَعْدَكَ فَيَلِقُ
أُضْدَادُهُ أَسْرَى وَإِنْ لَمْ يُوَثَّقُوا

أَفَرِيدُ لَا يَلْمُ بِسِيرَتِكَ الرَّدَى
مَا كَانَ ذَاكَ الْعَمْرُ إِلَّا وَقَعَهُ
وَالنَّاصِرُونَ الْحَقَّ جَيْشٌ وَاحِدٌ
الْأَنْبِيَاءُ الصَّالِحُونَ جُنُودُهُ
لَا يُبَيِّنُكَ أَنْ قَضِيَتْ فَإِنَّهُ
مَا زَالَ مَطَرًا فَقَبْلَكَ فَيَلِقُ
خَيْرَ الْجَوَانِبِ أَنْ تَكُونَ بِجَانِبِ

ذكرى الأربعين

أَمْضَتْ بعد الرئيس الأربعون
 فترة «التيه» تَغَشَّتْ أُمَّةٌ
 كل يومٍ ينقضي نفقده
 تكبر البلوى به حين مضت
 كيف ينسى الناس مَنْ لم يَنْسَهُمْ
 لم يزالوا كلما قيل لهم

 خرج المدفع يطوي مدفعًا
 ساكنًا بين يديهم بعد ما
 حوله من عسكرٍ أو عُزِّلِ

 ليس يبكي خطب سعدٍ يائسٌ
 إنما يخلق أن يبكيه
 لم يصب منه نصيبًا من هوى
 أي نذير الحق من وادي الردى

 ألقِ للتاريخ ما يكتبه
 صفحة سطرته أنت فما
 قل له والدهر يحني رأسه
 أنا مصرٌ وهي في سؤدها
 أنا نجيت لمصر نفسها
 أنا ألقيتُ على عاتقها
 فاسألوا عن صيدها أو غيدها
 وعن الموسر والعافي بها
 واسألوا عن عالمٍ أو جاهلٍ

عجبًا كيف إذن تمضي السنون؟
 غاب موساها على «طور سينين»
 وهو ملء الصدر من كل حزين
 والبلايا حينما تمضي تهون
 يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
 ذهب الموت به يلتفتون

 الأساطيل اتَّقَتْهُ والحصون
 زلزل الشرق على المغتصبين
 جيشٌ أجنادٍ له مُتَّبِعُونَ

 أين من سعد ضعافٌ يائسون؟
 من أصابوا منه عزماً لا يلين
 خائن العزم فما كان يخون
 قم فأنذرهم عساهم يعلمون

 أنت لا يلقي عليك الكاتبون
 في ثناياها سطور يمحون
 والطوايا شاهداتٌ والعيون
 أنا مصرٌ وهي في الأسر سجين
 ضيَّعَتْهَا بين كفرانٍ ودين
 حملها المطروح بين الآخرين
 وعن القبط بها والمسلمين
 وعن الآباء فيها والبنين
 وأصيلٍ من بنيتها أو هجين

تجدوا مصرًا ولا تستمعوا	غير مصرٍ في دعاءٍ وحنين
جُمِعَتْ فِيْ نفوسٍ فوقت	في النبيين الهداة المصلحين
...	...
...	...
يوم منفاك وهل كان سوى	يوم بعثٍ لبنيتها أجمعين
ضربت مصر فكانت ضربةً	زادت النوم وطاحت بالسكون
أيها الغادون بالقيد لها	قيّدوا الآن أُلستم قادرين؟
الرحى دارت على أقطابها	واستوى الطاحن فيها والطحين
بأسكم ما عهدت أحرارها	من قديمٍ وهي ما لا تعهدون
...	...
...	...
إِنْ بَكَتْ مصرٌ عليه شجوها	إنني بالشجو وحدي لَقَمِينُ
رزئته النفس واللب وما	يشتهي الراوي ويبغي الدارسون
لم يكن بالأب إلا أنه	كان نعم الأب في رفقٍ ولين
كم سعى ساعٍ إليه ووَشَى	ومقامي عنده العالي المصون
يا هدى الأمة يا نعم الهدى	يا خدين الصحب يا نعم الخدين
أنا جبارك لا تعهدني	ذلك الجبار في الدمع السخين
لستُ أنسى في «وصيف» سامرًا	لك كالطير أظلتها الوكون
إذ تُلاقينا على مهد الرّضا	والأحاديث مع الليل شجون
نحقر الداء وترعى أمرنا	إن غفونا أو غدونا مصبحين
...	...
...	...
يومٍ ودعتك ودعتُ أمرًا	يملاً الدنيا ويقضي ويدين
وأحييك لألقاك غدًا	حجرًا يعلوه نوار الغصون!
عجبًا لا ينقضي من عجب	وفتونًا ليس يبلى من فتون
أوسعُ ذلك الثاوي هنا	أوسعُ ذلك القبرُ السدين؟
عجبتُ بادرتي ثم وعت	فيه رمز الموت أعلى الرامزين
هو صخرٌ ورياحين معًا	بين عزم وخلالٍ يستبين
فاعرفوا في قبره تمثاله	واخفضوا الصوتَ وحيّوا خاشعين

فاز سعد

وأصاب النصر روحًا ورُفاتا	عرف النفيَ حياةً ومماتا
رده الشعب إليها واستماتا	كلما أقصوه عن دار له
كان لا يرضى على الشعب افتياتا	كيف يجزيه افتياتًا وهو من
تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا	أصبحت دارك مثواك فلا
غرس المجد ونماه نباتا	حبًا الخلدُ ثمارًا للذي
... ..	

* * *

بعث الدنيا حياةً أن تبید	جيرةُ الأحياءِ أولى بالذي
مدد من ذلك الميت مدید	معشر الأحياء أنتم لكم
جزتموه وهو منكم مستعيد	مستعیدین رجاءً كلما
من بنیه أبد الدهر وليد	إنه في كل جيلٍ ذاكر
في سواها يسكن اللحد شهيد	تلك يا سعد مغانيك فما

* * *

كنت تلقاها جموعًا ونظاما	اعبر القاهرة اليوم كما
بين آباءٍ طوالٍ تترامى	ساعة في أرضها عابرة
تشبه الساعاتِ بدءًا وختام	ساعة من عالم الفردوس لا
من معانيك جلالاً ودوام	كل من شاهدتها زيدَ بها
أيها الواعظ صمتًا وكلاما	قل لهم أبلغ ما قلت لهم

* * *

ذاك يوم النصر لا يوم الحداد	جردوا الأسياف من أغمارها
أين يوم الموت من يوم المعاد؟	ارفعوا الرايات في آفاقها
يكتسي الفتح بجلباب السواد	لا يُلاقى الخلد بالحزن ولا
بل تمناه ولاء ووداد	ذاك يوم ما تمناهُ العدى
فاز سعدٌ وهو في القبر رماد	فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا

تمثال سعد

الروح في وادي الكنانة حائم	وجلال شخصك في النواظر قائم
ما غاب منك سوى مثالٍ عارضٍ	يمضي ويخلفه المثل الدائم
...	...
تمثال سعدٍ في الجزيرة ساهراً	هيهات يغفل منك لحظٌ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيهةً	عن ناظريك وأنت عنه صائم
شأنٌ لربك في الحياة حكيته	فالظل للغصن الوريث موائم
كم صام سعدٌ عن مناهل حوضه	ويعبُّ مغتصبٌ وينهل غاشم
كما بات يرعاه وليس بمرتع	من خيره ما يرتعيه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه	والبحر دون طريقه متلاطم

* * *

بك زادتِ الأهرام ركنًا والتقت	منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها	في الجيزة الفيحاء هنَّ توائم
نهضت على استقلال مصرٍ دلائلاً	يعيا بنقض بنائهنَّ الهادم
...	...

* * *

يا سعدُ هلاً من لسانك قولٌ	يُروى بها هذا الزحامُ الهائمُ؟
يمناك تومئ بالكلام فأين من	إيمائها الصوت القوي الناعم؟
عَجَبِي لِشَيْءٍ فِيهِ مِنْكَ مَلَامِحُ	أَنْ لَيْسَ يُسْمَعُ مِنْهُ قَوْلٌ حَاسِمُ!
عَجَبِي لِشَيْءٍ فِيهِ مِنْكَ مَلَامِحُ	أَنْ لَيْسَ يَخْفِقُ فِيهِ قَلْبٌ عَالِمُ!
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة	والصخر بأساً يتقيه الصادم
وتشابهت ثم الأسارير التي	قد شابتهك بمثلهنَّ ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التي	ضاق الصنّاعُ بها وعي الراسم
إن لم تصوّرها اليدان فربما	خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلُّ محدّث	من فيض روحك ناثراً أو ناظم
أو لا يكن لفظُ فدون الوحي من	معناك كلُّ اللافتين أعاجم

تحية زعيم راحل

أكبرتُ في غَيْبِ الزعيمِ مُحَمَّدٍ	من كان يكبر حاضراً في المشهدِ
حجبَ الرَّدَى عنا بشاشته ولم	يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة	للسيد ابن السيد ابن السيد
...	...

* * *

عز الكنانة فيه فهي فجيعَةٌ	تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءَةٌ	إلا رعته بنظرة المتفقد
البرُّ والمشهودُ من آلائه	بين المحافل دون ما لم يشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع	للعاملين بها وبين مزوِّدٍ
وإغاثة الأدب اللهيف وإن تشأ	سردًا فعدَّد ما بدا لك واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية	للمهتدين وقدوة للمقتدي
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على	مستغلقٍ فيها ولا متأود
والعزة الشماء إلا أنها	كالشاهق المخضَّر لا كالجلمد
وسياسة الوادي ولم يكُ رابحًا	منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن	كانت لتكرهُ حيرة المتردد
شيمٌ وآلءٌ إذا ما استفردت	كالقطب عزَّت في ازدواجِ الفرقد

* * *

عزُّ الكنانة والعزاء ليعرب	ما بين مُتَّهم قومه والمنجد
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد	والشملُ بين مشرِّدٍ ومبدد
...	...

* * *

سمحُ على ما فيه من عصبِيَّةٍ	سهلٌ وإن أعيا قوى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده	وعليه تعويل الأخ المتودد

تأبين

من أكسُفوردَ ولو نماهُ معشُرُ للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظةٌ وفيه طرافةٌ وأراه في الحاليين غَيْرَ مقلد
ورث الحميةَ كابرًا عن كابر والأريحيةَ منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما سَقِيَاهُ من أصلِيهِ أَغْدَبَ مَوْرِد
فإذا بَكَتْ مِصْرُ فغيرُ ملومةٍ وإذا الحجاز بكى فغيرُ مُفْنِد

آه من التراب

أين في المحفل ميُّ يا صحابُ؟ عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناح مستجيبٌ حين يُدعى مستجاب
أين في المحفل ميُّ يا صحابُ؟

سائلوا النخبة من رهط الندي أين ميُّ هل علمتم أين مي؟
الحديث الحلو واللحن الشجي والجبين الحر والوجه السني
أين ولى كوكباه أين غابُ؟

أسف الفنُّ على تلك الفنون حصدتها وهي خضراء السنون
كل ما ضمته منهن المنون غصصُ ما هان منها لا يهون
وجراحاتٌ وبأسٌ وعذاب

شيمٌ غرُّ رضيَّاتٍ عذاب وحجى ينفذ بالرأي الصواب
وذكاءٌ ألمعيٌّ كالشهاب وجمالٌ قدسيٌّ لا يعاب
كُلُّ هذا في التراب آه من هذا التراب

كل هذا خالداً في صفحاتٍ عطراتٍ في رُباها مثمراتٍ
إن نوت في الروض أوراق النبات رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كُُلُّ حسن تشتهيه متعة الألباب والأرواح فيه
سائغ مُيَّز من كل شبيه لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التي تنميه شتى كُُلُّ نبتٍ يانع ينجب نباتاً
من لغات طوّفت في الأرض حتّى لم تدع في الشرق أو في الغرب سمّاً
وحواها كلها اللبُّ العُجَابُ

يا لذاك اللب من ثروة خصبٍ نير يقبس من حس وقلبٍ
بين مرعى من ذوي الألباب رحبٍ وغنى فيه وجودٍ مستحبٍ
كلما جاد ازدهى حسناً وطاب

طلعه الناضر من شعرٍ ونثرٍ كرحيق النحل في مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهرٍ فله في العين سحرٌ أي سحر
وصدى في كُُلِّ نَفْسٍ وجواب
حيّ «ميّاً» إن من شيع ميّاً منصفاً حيّاً اللسان العربياً
وجزى حواء حقّاً سمردياً جزى ميّاً جزاء أريحياً
للذي أسدت إلى أم الكتاب

للذي أسدت إلى الفصحى احتساباً والذي صاغته طبعاً واكتساباً

تأبين

والذي خالته في الدنيا سرايا والذي لاقت مصابًا فمصايبا
من خطوطٍ قاسياتٍ وصعابٍ

أُتراها بعد فقد الأبوين سَلِمَتْ في الدهر من شَجْوٍ وبَيْنٍ
وأَسَى يظلمها ظلم الحسين ينطوي في الصمت عن سمعٍ وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أُتراها بعد صمتٍ وإباء سلمت من حسدٍ أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيٍّ» خصالا رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيٍّ» فعالا
رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيٍّ» جمالا رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيٍّ» سجالا
كلما سُجِّلَ في الطرس كتاب

تلکم الطلعة ما زلتُ أراها غَضَّة تنشر ألوان حلاها
بين آراءٍ أضاءت في سناها وفروعٍ تتهادى في دجاها
ثم شاب الفرع والأصل وغاب

غاب والزهرة تؤتي الثمرات ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتي حصاد السنوات بعثرتها الرياح العاصفات
ورمتهنَّ تُرابًا في خراب

رُدَّ ما عندك يا هذا التُّراب كل لبِّ عبقرِيٍّ أو شباب
في طواياك اغتصابٌ وانتهاب خُلِقا للشمس أو شمّ القباب
خلقا لا لانزواء واحتجاب

* * *

ويك ما أنت بِرأدٍ ما لديك أضيع الآمال ما ضاع عليك
مَجْدُ «مَيِّ» غير موكول إليك مَجْدُ «مَيِّ» خالِصٌ من قبضتك
ولها من فضلها ألف ثواب

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر	ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق في تاريخه	الملبس الماضي لباس الحاضر
الناقد الأنبياء نقد صيارف	الوازن الآراء وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجى	والعلم والقلم القوي القاهر
والحجة العليا التي ما طأطأت	يوماً لمنتقمٍ ولا لمناظر
... ..	
عرف الحقائق فاستراح جنانه	من سرعة الشاكي وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يِعِ صدره	بغضاً لمعتقدٍ ولا لمكابِر

* * *

علمي به علم المطالع زاده	علمٌ على بعدٍ وعلم معاشر
كم مرَّ من يومٍ ضحكٍ بيننا	أو مر من يومٍ عبوسٍ كاشر
خضنا الحياة معاً على علاتها	متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معاً في حلبة	عزَّت على غير الطمر الضامر
ذكراه والأيام عابرةٌ بنا	نعم العتادُ لذاكرٍ ولعابر

شهيد الوطن

أحمد ماهر

لم أصدّق وقد رأيتُ بعيني
«ماهر» في النديّ يُجنّي عليه
أشبهُ الصدقِ بالأباطيل هذا
وسمعتُ الطلّق المريبَ بأذني
ويُدّ قيل من بني مصر تجني؟
ويكُ أمسكُ جاوزت غاية ظني

* * *

لم أصدّق وما لحّي دواّم
غير أن الكيد الذي كاده الجا
أيّ رأس رمي وأي فؤادٍ
أفَيْرَمَى بِالْمَوْتِ أَوْسَعُ صَدْرٍ
أفَيْرَمَى بِالْمَوْتِ قَلْبٌ يَحُوطُ النَّا
أفَيْرَمَى بِالْمَوْتِ رَأْسٌ تَوَلَّى
يُعْمَلُ الرَّأْيُ لِلْبِلَادِ وَيَلْقَى
يا ضلالَ الجدود في هذه الد
أمنتُ تلكمُ المقاتل لو يَأ
لو تردُّ النياتُ غرب سلاح

والمنايا تطوف في كل ركن
ني له الويل لا يطيف بذهن
نال منه وأي صدرٍ وحضن؟
لبني قومه وأمنع حصن؟
س حبًّا ولا يحيط بضغن؟
مجد مصرٍ برأيه المطمئن
معوّل الموت هادماً وهو بيني؟
نيا ويا سوءاً لذاك التجني!
منُ في الناس كلُّ صاحب أمن
ردّ عنه السلاح ألفُ مجن

* * *

لم أصدّق وقد رأيتُ بعيني
حزنت غير أنها ليس تدري
أعمق الصمت صمتها وهي حيرى
ترقبُ النعشَ قادماً يتأنّى
أوجعُ الشكُّ شكُّ ساعة هولٍ
المسجى يا أيُّها الجمعُ هذا
إنه «أحمد» الذي كان فينا

أمّة النيل في حدادٍ وحزن
ألقيا تجمّعت أم لدفنٍ
بين صدق الأسى وهم التمني
وتمنّت لو طال ذاك التأنّى
في يقين يُدمي العيون ويضني
أفتدري منْ ذا يكون أجبني؟
منذُ يومِ رضوانٍ كلُّ مهني

من يصدق هذا يصدق عظيمًا من بلاء الدنيا يشيب ويفني

* * *

كُلُّ ساعاتهن ساعة بين إن أحقق رأيته نصب عيني ثابت الجأش لا يُلِمُّ بوهن سبق والأوحد الذي لا يثني والوزير القدير في كل فن والخطيب الذي يقول ويعني بصریح من رأيه لا يکني في خطرٍ على الحياة وسجن هبةً منه لا تشابُّ بضنٍّ عن مسيءٍ إليه في غير من وسَطَ العدل حين يُقْصِي ويُدني من هُداةٍ لا يستعاض بمتن يتأباه خصمه حين يُثني	لم أصدّق والأربعون أمامي كم تمثّلته وأحسب أنني مقبلاً ضاحك الأسارير سمحاً فُجِعْتُ مصر فيه بالقائد الأسـ بالزعيم الأمين في كل رأيٍ والحسيب الموفى لكل حسابٍ الذي فارق المناصب جهراً والذي أنفق الشباب جهاداً والذي أجزل العطاء لمصرٍ والذي لا يسيء يوماً ويعفو والذي كان في «الندي» إماماً عز فينا دستور مصر بشرح لن يقول الصديق فيه مقالاً
--	---

الأستاذ الأكبر

في سابقٍ من مجده أو لاحق حُسنى فوقها وفاءً الواثق في نخبة الأبحار أسبق سابق فهدى الحجيح وحج كل منافق حظَّ العليم الفيلسوف الحاذق غُرُ الرِاعِ بكل معنى شائق لمعاهد الإحسان غير مفارق سبق الكرام إلى المقام السامق	مَنْ مثْلُ نابغةِ النوابعِ مصطفى رجّاه والدّه الكريم لغايةٍ ربّاه حبراً للديانة فاستوى ونماه في حجر العبادة مسلماً وأعدّه للعلم فاستوفى به وغذاه بالتبيان فانقادت له وهده للإحسان فهو وليه ورجاه للعلواء فاستبق الخطى
--	--

لا وانيًا عنها ولا متعجلًا
وكأنه وعد الأمين وفى به
لو لم يكن قدرًا قضاه لما قضى
إن المطالع لا يقرُّ قرارها
فيها تَعَجَّلَ مشفق من عائق
فطوى صحيفته كلمح البارق
كالنجم يرجع غاديًا من شارق
بعد التمام ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخذًا من كل شيء صفوه
حتى الخمول بلغت غاية حظه
لم ألق قبلك من نبيه آمن
تلك المدامع ما امتزجن بدمعة
ولتلك من رضوان ربك آية
فادخل حظيرته بخير خلائق
ما الموت يا كشاف كل حقيقة
بوركت من ذي معجزات خارق
عجبًا، وأنت من العلا في حالق
من شره الباغي وغيظ الحانق
من كاذب في حزنه أو ماذق
تَخَذَتْ من الإجماع أصدق ناطق
مرضية منه وخير علائق
إلا حقائق حُجِبَتْ بحقائق

السيدة هدى

ربة البر والندى
لغدٍ كان سعيها
كل ما قدمت من الـ
ينطوي الدهر ما انطوى
هي ملء الضمير منـ
كنت في الشرق يا هدى
أين في المجد والعلا
غاية طاولت سما
إن علا محتدّ علو
أو علا سؤدد العوا
أو حدا الركب بالعزا
لم يَضَعْ سعيها سدى
وسيبقى لها غدا
خير باقٍ على المدى
منه صوتٌ ولا صدى
كم مغيبًا ومشهدا
مثلًا كان أوحدا
أين في الجد والجدى؟
عك مرقى ومصعدا
تِ إلى الأوج محتدا
رف بوركت سؤددا
ثم جاوزت من حدا

شرفُ كلِّ عنصريه به على المجد أسعدا
تم موروثة العريه بق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما حسب من شاء مفردا

* * *

إنَّ من تذكرونها ذكرها غالب الردى
قدوة الفضل للعقا ثل في كل منتدى
ولها السبق كلما حسن السبق موردا
سفرت والحجاب كالليد ل غيمان أسودا
والتقت باسم مصر والن ل جيشا مجندا
وأعانت على الزما ن مريضا ومجهدا
وضعيفا من اليتا مى وطفلا مشردا
وحمى عطفها فرا نس من ضل واعتدى
ورعت ناشئا عن ال علم والأهل مبعدا
وأجازت على البيا ن فأسدت له يدا
إن بكوا كلهم لنعم يك لا غرو يا هدى
كلهم يفتديك لو يدفع الموت بالفدى
لا صديق ولا عدا ليس في الحق ما عدا
أمم الشرق كلُّها حمدت منك محمدا
توج التاج ذكريا تك والشعب رددا
آية الله يا هدى ولك الخلد سرمدا

محب السلام

...
عزاء الزمالة في رزئه لقد كان نعم الزميل الهمام
حفي اللقاء، وفي الإخا عفيف اليراع عفيف الكلام

ع يغضي عن السيئات الجسام	صبوراً على هفوات الطبّا
م رضىً إذا لجّ داعي الخصام	حليماً إذا طاش لبُّ الحلي
لِ شَتَّى المذاهب شَتَّى المرام	ترى حوله الناس شَتَّى العقو
وتحسبه قائلًا في الزحام	فتحسبه عاملاً وحده
لهذا مقامٌ وهذا مقام	كأن له خاطري مهجة
ث تنسي النديم كتوس المدام	طرائفه في ثنایا الحدي
ن جواهر منثورة في نظام	وأمثاله من عيون البيا
بُ معالم هادية في الظلام	وأراؤه حين تطغى الخطو
ع قد كان أقدرهم في اكتنام	وأقدر خلق على أن يُذی
وَإِنْ عَزَّ فِي السَّرِّ رَاعِي الذَّمِّ	فَمَا صِينَ سِرٌّ كَمَا صَانَهُ
سُ أودعه اليوم جوف الرغام	وأكثر ما استودعته النفو

* * *

ولا يختم القول فيها ختام	مناقبٌ أنطون لا تنقضي
عليه مدى الدهر أزكى سلام	أحبّ السلام ونادى به

الشهيد الأمين

محمود فهمي النقراشي

كلمٌ عابرٌ ورجع بكاء	أسفي أن يكون جهد رثائي
ت وما النوح غير نفت هواء	ما رثاء الحزين غير تعلًا
قبل يومٍ أشقى له من فنائي	ليتني أخرس الفناء لساني
ن على من وفى ببذل الدماء	ما وفاء بذل الدموع من الحز

* * *

س ضلّت فينا سبيل السواء	إنّ حزني على هذه الأنفـ
واستحالت معالم الأشياء	نكستَ بينها الموازينُ نكسًا

كم رأينا غدراً ولا من عُدَاةٍ وشهدنا حرباً ولا من عدا
ظلماتٌ تقودها خبطُ عشوا ءَ وويلٌ لخابط العشواء

* * *

أَتَصُمُّ الْأَذَانُ عَنْ صَادِقِ النَّصِ حٍ وتصغي طوعاً لكل افتراء؟
أُمَّةٌ فِي الشَّقَاءِ مِنْ مَعْتَدٍ فِيهِ ها عليها ومن صريع اعتداء
أَعْجَزُ الْعَاجِزِينَ يَقْوَى عَلَى إِذَا ئها غايةً من الإيذاء
وَالْقَدِيرُونَ يَشْتَكُونَ مِنَ الْعَجْ ز إذا مهّدوا لها بالدواء
كَيْفَ كَيْفَ النِّجَاءُ مِنْ هَذِهِ الْمَحْذَ ة بل أَيْنَ أَيْنَ حَقُّ النجاء؟

* * *

إِنْ حَزَنِي حَزُنٌ عَلَى هَذِهِ الْأَمِّ ة رفقا بها إله السماء
قُلِبَتْ آيَةُ الْحَقَائِقِ فِيهَا وقضى سفلها على العظماء
غِيلَةُ الْمَوْتِ لِلْغَيُورِ عَلَيْهَا وقضاء الحياة للجهلاء
وَقَضَاءُ الْجَهْلِ أَوْخَمُ عَقْبِي من قضاء البهيمة العجماء
فَتَنَةٌ تَعْمَهُ الْبَصَائِرُ فِيهَا وتضلّ العقولُ في تيهاء
إِنْ أَبِينَا الْبَقَاءَ حَقًّا لِمَحْمُو د، فمن ذا يرجى لطول البقاء؟

* * *

نَبِئُونِي فَإِنِّي أَنَا وَاللَّ ه عراني عيٌّ عن الإنباء
أَيُّ سَهْمٍ تَرْمِي بِهِ يَدُ مِصْرَ يّ فيه موقعا لرماء
أَيُّ تِلْكَ الْخِصَالِ مَرْمَى اغْتِيَالٍ لبني مصر بل بني حواء
أَيُّغَالُ الْحَنَانُ فِيهِ حَنَانًا كاد يحصى به مع الضعفاء؟
أَمْ يُغَالُ الْحِفَافُ فِيهِ حِفَافًا يتحدى جحافل الأقوياء؟
أَمْ يُغَالُ الْعِفَافُ أَصْدَقُ مَا كَا ن عفافاً في مستسر الخفاء؟
أَمْ يُغَالُ الْإِنْصَافُ يَحْمِي عُدَاه حين يقضي من صفوة الأصفياء؟
أَمْ يُغَالُ الذِّكَاءُ يَخْتَرِقُ الْحَجْ ب، بنور يهدي كنوز ذكاء؟
أَمْ يُغَالُ الزُّهْدُ الَّذِي حَارَ فِيهِ كل مغر من سطوةٍ وثراء؟

أَمْ تُغَالُ الخلائق الزُّهُرُ كادت
أَمْ يُغَالُ الصبر الطويل على الجهد
أَمْ يُغَالُ الجهاد في حب مصر
إن محمودًا الذي فقدته
تترقى إلى ذرى الأنبياء؟
سد بلا منة ولا إعياء؟
ويح مصر من تلکم النكراء؟
واحد لا يقاس بالنظرء

يا أبا هاني وأعزز بأني
أنعزيه في مصابك لهفا
ومصاب الشعوب في الحق أقسى
خطب مصر يسامح الله مصرًا
عقها في اسمها وما تعرف الأقوا
يرحم الله مصر من فتنة تط
يرحم الله مصر إنك يا محمو
لا يضيئ الإله قومًا بذنب
لا أرى هانئًا ربيب هناء
ن ونحن الأحرى بطول العزاء
من مصاب الأبناء في الآباء
عقها في جدودها القدماء
م ذخرا أغلى من الأسماء
غى بجهالها على الحكماء
د في رحمة مع الشهداء
أنت فيه لهم من الشفعاء

فقيد اللغة والأدب

علي الجارم

لست أوفيه وصفه إن وصفًا
علم في الديار صنّاجة في الحف
وسراج في مفرق الرأي هاد
وزميل سمح الزمالة بر
ذلك الشاعر الذي ثكلته
لم تزل تسمع المراثي حتى
تنزى على زعيم أمين
لعلّي يغني غناء السمي
ل ركن في المجمع اللغوي
وجمال وبهجة في الندي
وأخ بالإخاء جد حفي
مصر في يوم ماتم وطني
سمعت في الرثاء صوت نعي
وأديب جزل البيان سري

* * *

لست أوفيه حقَّه إنه حـ	ق بيان عن البيان غني
وارث الأصمعي في لغة «الضا	د» وفي الشعر وارث البحري
والأديب الذي له فطنة المصـ	ي زانت سليقة البدوي
والمربي الذي تعهّد جيلاً	عهد علم منه وعهد رقي
وأخو الناشأتين شرقاً وغرباً	من قديم باق ومن عصري
كم شهدناه في شواهد نصّ	ورأيناه في معارض رأي
وسطاً غير ممعن في وقوف	عند ماضٍ أو ممعن في مضي
قائلاً ناقلاً سميعاً مجيباً	حسن تبيانه كحسن الصغي

ذكرى إبراهيم

أقيموا الوزن أو ميلوا	فما (إبراهيم) مجهول
فتى ميزانه بالقسـ	ط عند الله مكفول
له في كل تاريخ	من المجد أكاليل

* * *

سلوا الأوطان ينبئكم	بما يعلمه النيل
يحيي ناصر المصـ	ي والمصري مخذول
وأول رافع صوّتاً	وسيف الحرب مسلول
وللمحتل في مصـ	على كل فم غول
له في برها جيش	كجيش النمل موصول
وفي البحر أساطيل	وفي الجوّ أبابيل
إذا لم ينعه الأحيا	ء والدنيا أباطيل
نعاه في العزيز	ية مدفون ومجدول
وجيل في حمى التـ	ريخ لا يشبهه جيل

* * *

سلوا الآداب ينبتكم	به الصداحة القول
يردد ذكره في الشع	ر تسبيح وترتيل
ويهتف باسمه في القو	ل مطبوع ومنقول
ويحمد فضله في العز	ب منسوب ومدخول
فلا الماضي بمنسي	ولا الحاضر معزول
وراعي الشعر لا ينسا	ه مرعى منه مطلول

* * *

سلوا الإحسان والإحسا	ن طبع فيه مجبول
وأقرب شأوه في الجو	د مشروب ومأكول
وأيسر جوده بإد	لمرأى العين مستؤل
وكم أعطى ولم يسأل	وبعض السؤل ممطول
وبعض الناس قد يمحو	نداه القال والقليل

* * *

سلوا الأحساب لا عز	يدانيها ولا طول
وللآساد والأشبا	ل من أعلامها غيل
ذووه من بني مصر	هم الغر البهاليل
ومن أحسابه كسب	بمسعاه وتحصيل
برأي زانه في القص	د إجمال وتفصيل
وصبر راض دنياه	وراضته العراقيل
سلوا سيرته الحفلى	وللسيرة تسجيل
سلوا (الشلال) والمجرى	من القطرين مفضول
لتم القرب لولا قا	عد بالشرق مشلول

* * *

وأفضال وتفضيل	خصالٌ كُلُّها نُبِلُ
وتشريفٌ وتبجيل	وذكرى كلها حمدٌ
ي في القطرين مأهول	فقدناه ونادي الرأ
ومثوى الخير مأهول	فلا يَبْعُدُ به المَثْوَى
وَشَمْلُ ثَمَّ مشمول	له من بره أنْسُ
ء ترويحٌ وتظليل	ومن سيرته الفيحا
ن تسليمٌ وتنزيل	له في منزل الرضوا
عند الله مقبول	وأجرٌ من ثواب الله

شيخ الشيوخ

يوماً بلقياه في قومي وفي سكني	لا أحسب العام في أسوان يسعدني
على سجيته من غمرة المحن	هناك في الركن من مشتاه معتصماً
على المطايا وأعيت حيلة السفن	تباعدت شقة الدارين وامتنعت
على مدى راحة من ظهرها الخشن	«حسبُ الصديقين بُعْدُ الأرض بينهما»
من راحة البال أو من راحة البدن	وا طولَ شوقي إلى يوم يقربني

* * *

قرباً من العهد أو قرباً من الدمن	تلك المعاهد لا تنسى معمَّرها
أو ساعياً ممعناً في ساحة الزمن	يحجُّ سعيّاً إليها في أماكنها
في الطيبتين وفيما طاب من ظعن	منازل الوحي ما زالت مثابته
ولا ونى عن فراغ بالنفوس يني	لم ينقطع قط ماضيه وحاضره

* * *

وكم نشرت وكم أبقيت من سنن	يا هيكल الحق كم أحييت من أثر
تبقى مع الذكريات الغر في قرن	ذكراك يا باعث الذكرى مخلدة
لحافظ ذمم التاريخ مؤتمن	حقٌ على التاريخ تحفظه

أحييت سيرة من يحيون منصفهم
هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم
من كل عالٍ بتشديد العلا قمن
مكرّموك بحمد منهم حسن
للعش في صحابتهم من معشرٍ شرعوا
لنّاس شرع وفاء السر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كما أبدعت من صورٍ
وكم لمصر بما أرسلتها قصصًا
من القرى فيه ألوانٌ مشخّصةٌ
من يلقها يلق تاريخًا لحاضرنا
يكاد يعجب رائئها على كذب
تلك التماثيل من خلق الحياة كما
وكم رفعت وكم نكّست من وثن
من متحفٍ عامر بالآهلين غني
كما عهدنا وألوانٌ من المدن
وحبّذا حاضر التاريخ للوطن
إني أراها فسلها كيف لم ترني
يوحي بها وحي باريها إلى الفطن

* * *

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها
قامت على بحرها اللجّيّ تحسبها
تهب من فوقها هوج الرياح ولا
وأنت والسادنوها الصّيد في نفرٍ
تهزّ كرسيّ فاروق وأنت ترى
تركتموه معرّى في مباله
يختال في طيلسان الظلم مزدهيًا
وما تعثر في عقبى مساوئه
ويا لها بيعة مهضومة الثمن
جسرًا على شاطئيه غير متزن
تقر في جوفها الأمواج كالقنن
حاروا بها بين مغلوب ومضطغن
كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
كأنه جيفة في قبرها العفن
وإنما اختال قبل الموت في كفن
إلا ليوم له في الغيب مرتهن

* * *

يا هيكل الصحب كم ضمّت شمائله
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم
حاربت في الرأي أقوامًا على ثقة
ما كنت مختبرًا للسخط تضره
وإنما الودّ طبع فيك ليس به
شمل الأقارب في الآراء والمهن
غداة فارقتهم في لوعة الحزن
وحاربوك وما بتم على دخن
إلا كخبرة فنان به طبن
سمت من الفن أو كبت على وهن

لك المآثر يبكيها ويحمرها
قومٌ بماضيهم في الشرق قد حفلوا
عش في صاحبته من معشرٍ ورثوا
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمراً
أنت الغني عن الذكرى وما غنيت
لأنت من جنة العرفان في سعة

من يحمد الفضل موفوراً بلا غبن
والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عرفاً لهم من رعاه قط لم يخن
كأنه في حساب القوم لم يكن
جماعةً قط عن ذكرى ذوي المن
وأنت من جنة الرضوان في عدن

ذكرى حافظ

ارفعوا ذكره علياً مبينا
حافظ في ثراه لم يفتقدنا
من مضى في غنى عن الحي والح
وإذا الحمد فات نابغ قوم

إنما الذكر رفعة الذاكرينا
وافتقدناه نحن حيناً فحيناً
ي عن الذاهبين لا يغنينا
فهو موت الباقيين لا الذاهبينا

يا حميد المقال مدحاً وقدحاً
خذ من الحمد بعض حقك منا
طالما رددت جوانب مصر
هاتفاً بالرجاء يوماً ويوماً
تعجب القوم أريحياً طروباً
ما توانيت عن مقام وفاء
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب
وإذا قام للضمائر سوق
رب قوم تنقصوك مرأى
خير أبطالنا الذين تخير
الإمام «ابن عبده» من بني جـ
لا تدانيهما بدعواك لكن

ونقي الصحاف بيضاً وجونا
لم تكن قط بالحقوق ضنينا
صيحة منك تملأ العالمينا
هاتفاً بالعزاء تأسو العيوننا
وتواسيهم شجياً حزيننا
أو تواريت بالوفاء خئوننا
لم تكن فيه خانعاً أو مهيننا
لم تكن من تجارها النافقيننا
ربحوا وانثنت أنت غبيننا
ت من الأولين والتابعيننا
لك وابن الخطاب في الأقدمينا
باعتراف القصور دنيا وديننا

أنت أتقى ممن يجاهر بالتقـ
رُبَّ جمع تفيهق الغرُّ فيه
كلما قال قوله في رسول
احسبوني مع العجائز دينًا
رحم الله منك قلبًا سليمًا
سوى ويأبى في السر إلا مجونا
وتحدى بالظن منك اليقيننا
صحت يا رب اخز هذا اللعينا
ليس هذا الجدل إلا فتونا
وضميرًا برًا وروحًا أمينًا

* * *

نمّ قريراً صناجة العرب الصيـ
كلما جدوا لذكراك عهدًا
حافظًا أنت كنت للضاد لما
أين في المنكرين من ليس يروي
ودليلاً على غناها إذا ما
بين شعر له رنيئ ونثر
لم تكن حصتي من الحفل نظمًا
غير أن المزار شطّ بحادٍ
وعجيب إذ يشهد الفن ذكـ
وجميل إن صح عذرٌ لدينا
فخذ اليوم حق نفسك حمداً
وقليل وفاء قومك يومًا
د وعُد فيهم لساناً مبينا
عاد عهد الفصحى جديداً مصونا
عقها أهلها وظنوا الظنونا
لك قولاً جزلاً ونسجاً متينا
سامها الفقر معشر مفلسونا
يشبه الشعر في السماع رنينا
لا ولا قلته بوعدٍ مدينا
ودّ لو كان حاضر الصوت فينا
راك من الشعر وحده أن يبينا
أن ترانا لديك معتذرينا
أنت بالحمد ما برحت قمينا
لامرئ دان بالوفاء سنيينا

أهرام الورق، وأهرام الحجر

خبر السباق للخبر
شغل السمار عن سمر
فاجئ كالعهد وا أسفا
صادق كالعهد وا أسفا
قيل في الأهرام مرثية
عض من أخبارنا الآخر
وطوى الآفاق في البكر
لم يكن يومًا بمنتظر
ليته من كاذب السير
قلت حق من فم القدر

قيل «جبرائيل» طاف به	يومه في ضحوة العمر
صفحةً بيضاء تعلنها	صفحةً سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت	عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبٌ	بعض ما أولاه من غررٍ
سار بالشرق الوثيد على	خطو «أوروبا» ولم يجرِ
نحن إلا في صحافتنا	دونهم في الخبر والخبر
فإذا عُدَّت صحافتنا	لم ننكس رأس معتذر

* * *

رفع الأهرام فارتفعت	في مدار الأنجم الزهر
لو غلبنا مثلما غلبوا	نازعتهم كل منتشر
ولسارت في مغاربهم	كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورقٍ	نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها في الثبات وإن	سار بين البدو والحضر
كل يومٍ في الصباح له	ظَفَرٌ ناهيك من ظفر
في ركاب الشمس يشبهها	في جلاء الشك والحير
يجمع الدنيا ويبسطها	بين مد السمع والبصر
أممٌ شتى تحدثنا	بلسان العرب من مضر
كلُّ قطرٍ فهو نائبه	زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه	وملبيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا	في عنان الطول والقصر
تحسب القرطاس مختصرًا	في يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه	لم تدع شيئًا ولم تذر

* * *

يا شريك العالمين له	غير مبخوسين من صغر
قُسماء الرأي ما اقتسموا	باختيار منك في ضرر
أنت في الأعباء أكبرهم	ولهم ما شئت من كبر
من رآكم راح يسأل عن	أمر منكم ومؤتمر
تجزل الحسنى لمحسنهم	وتسجّي طرف مغتفر
حزنهم والخطب يغلبهم	بين مرتاعٍ ومصطبر
حجةً بيضاء أبلغ من	مبلغٍ في القول مقتدر

* * *

وحي جبرائيل متّصلٌ	بين حلٍّ منه أو سفر
ليس ينأى في السماء ولا	في مدى الأحلام والفكر
خلفاءُ منك مَنْ حملوا	عنك عبء السعي والسهر
خلفاءُ منك كُلُّ فتى	قارئٍ من هذه الزمر
وتوسّم في «بشارة» ما	شئت من نخر لمُدّخر
إن هذي الغاب منجبةٌ	عنيت بالأسدِ والشجر
سوف تحيا باقي الأثر	خالد الأعقاب والذكر

رثاء وعزاء

رثاء طفلة

زهرةٌ كان وجهُها نور قلبي وناظري
حملتها يد الردى حملَ مَنْ لم يحاذر
فتواتر ولم يزل عَزَفُها ملءَ خاطري

* * *

يا ضياءَ تضمّنتِ ه بطون الدياجر
قد أجنُّوك في الثرى يا جنين الضمائر
فالزمني الرمسَ حين لا حلم في عين باصر
فإذا أقبلَ الدُّجى وغفا كلُّ ساهر
فاطرقينا مع الكرى حلمًا غير نافر
وصلّي عيشك الذي كان أحلام سادر
وامرحي في صدورنا واضحكي في السرائر
ثم عودي إذا الصبا ح تجلّى فباكري
إنَّ صعبًا على الصغا ر احتباس المقابر

عزاء الأستاذ وجدي في والده

أمولاي رزؤك لا يُجهلُ
ومن كان يعلم كُنْه الحيا
إذا كان كل امرئ راحلاً
وأدنى مصاب الفتى للعزا
وصبرك في الرزء لا يخذلُ
ة فالصبر من مثله أجملُ
فأفضلنا الراحل الأولُ
ء مصابٌ بكل امرئ ينزلُ

عزاء المازني

يا صديقي وما علمتُك إلا
إن تكن قد رزئت بنتاً فممّا
لا تبت أسفاً عليها وهبها
ربما عوفيت وأنت عليمٌ
راضياً بالأسى رضاء الجليد
قد تعوّضت من بنات الخلود
وردةً والربيع عمر الورود
من حياةٍ تودي بكل وليد

رثاء أخ

... ..
يا راحلاً صدع الحمام شبابه
إني لأحسبني أراك مجاهداً
وأراك ترمقني وقد غلب الردى
في ساعةٍ ما كان أغفل خاطري
أمسيت رسماً في التراب معطلاً
ويحي أترقد تحت أطباق الثرى
أتبيت رهن صفائح وجنادلٍ
لو أنصفت أيامنا لبكيتني
... ..
فعلمت كيف تصدّع الأكباد
والنيل حولك دائم الإزباد
وأقام جند الموت بالمرصاد
عمّا عراك وفّت في الأعضاء
وغدوت نصب روائح وغوادي
وأقيم بعدك هانئاً برقاد؟
وأبيت بين وسائدٍ ومهاد؟
لكنّها تجري بغير مرادي

... ..
يا زهرةً شرقت بما تحيا به
إِنَّ الحياة وما حييت لكي ترى
فلئن عدوت من الحياة نعيمها
فدوت وأورق شوْكُها بفؤادي
سرَّ الحياة كثيرة الأضداد
فلقد عداك شقاؤها المتمادي

على قبر أخ

أيها القبر فيك غصنٌ رطيب
مثل ما تعبت السوموم بزهر
بنت يا مصطفى وما بنت عن قلـ
كان أخرى بك الديار من القبر
قصفته المنون قبل أوانه
عاطرٍ ناضرٍ على أغصانه
بِ كسيرٍ يذوب في أشجانه
مر وثوب العروس من أكفانه
كُلُّ حي موكلٌ بزمانه
سوف ألقاك في الثرى عن قريب

إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته.

غايةً الحيِّ ساعة من زمانه
طُويت صفحة السباعي فينا
مسمح النفس في الحياة تولَّى
لم يطامن لصرعة الموت رأساً
ذاقها صابراً وساغ مريراً
وتأسَّى ومثله من تأسَّى
فتنته غواية الأدب الحـ
وثنى راحتيه عن خفض عيش
ما أراه على الحياة حزيناً
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ
ينتهي عندها مدى جثمانه
وهو طاوي الطروس في تبيان
مسمح النفس في الردى قبل أنه
من صراع الحياة لهو رهانه
من جنى دهره ومن إنسانه
ضاحكاً من كرامه وهجانه
رُّ فأودى بقلبه في افتتانه
كان حيناً أقصى مُنى أقرانه
بعض حزن الصحاب يوم احتجانه
ي سليم الفؤاد في إعلانه

مرض الدهر فامض عنه معافى من أكاذيبه ومن أدرانه
أنت خدن الكتاب والموت سفرٌ صدقه ظاهرٌ على عنوانه

على قبر حافظٍ يوم وفاته

أبكاءٌ وحافظٌ في مكان كنت أنسًا فكيف أمسيت يا حا
فطُ تدمي لذكرك العينان؟ كنت تتلو الرثاء مَعْنَى فَمَعْنَى
كيف أمسيت بعض تلك المعاني؟! كنت أعلى الجموع صوتًا فهلا
نطق الآن صوت ذاك البيان؟ وعزيرٌ على بلادك أن تذ
هب يوم انبريت للميدان يوم أطلقت من أسارك حرًا
وأبيت الإِسَارَ للأوطان يوم أرسلتها على ظالمي الأو
طان طعانةً كَحَدِّ السنان ألهم الله مصر فيك عزاءً
لا بل العُزْبَ في شفيح «اللسان» كلنا صائرٌ كما صرت يومًا
والذي قد صنعت ليس بفانٍ

نصيب الحي والميت

يا صديقي لنا البكاء ولك الموت والسلام
عندنا النور والعناء عندك النوم والظلام!
ليس يأسى أخو فناء بل أخٌ بعده أقام

أتبع الصَّحْبَ في القبور ببكائي وما اهتديت
أنا لو دام لي الشعور بعد موتي لما بكيت
عالمٌ كله غرور عشت ما عشت أو قضيت
هالكٌ كل ما يكون تستوي النفس والصفاء

فلمن تحصد المنون ولمن تزرع الحياة؟
بدأت حكمة الجنون وانتهت حكمة الهداة

الأستاذ غانم

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه رحمه الله وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات.)

أكان وداعاً يوم صافحتُ غانماً	وهنأته بالعيد والعيدُ يسخر!
فيا ويح للداعين في غفلة المنى	يرجؤون طول العمر والعمر مدبر
ويا ويح للأبناء يا خير والدٍ	وقد رُوعوا في وكرهم حين بُشّروا
أذاك صباحُ العيد أم أنا سامعٌ	صياح يتامى في الحمى تتفطر؟
تلاحق في تلك الثغور كلاهما	فيا هول ما نصغي إليه وننظر
وددتُ وقد ضنَّ البشير بصدقه	لو أنّ نذيراً بالمساكين يعبر
أغانمُ إني في مصابك ذاهلٌ	قليل التعزي سافرُ الحزن مضمّر
بذلت دموعي في بكاك رخيصةً	ومثلك من يبكي ويُرثى ويذكر
أفي كل يوم تبصر العين غانماً	ومن أين والأخلاق في الناس تندر
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه	أخاً في وغي الأيام لا يتقهقر
وفياً إذا شاع الوفاء وإنه	عليه إذا عز الوفاء لأقدر
كريماً إذا صال العداة وزمجروا	كريماً إذا خان الصحاب وقصروا
صبوراً على ضر الغريم وإنه	على الضر من ظلم الصديق لأصبر
ضليعاً بأعباء الأمور إذا ونى	مدبر أمرٍ أو أساء مقدر
أخوك «أمين» فرّق العام منكما	صفيّين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما	فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما	وحمد المعالي والثناء المعطر
ولا زال في دار المعارف منكما	صنيعٌ على الأيام يُروى ويشكرُ

رفيقُ الصبا

وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وأذن فيك الحزن أن يتغلبا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟
ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
على الأرض إلا كي يقول ويخطبا
وما كان إلا مازحا حين أذنبنا
فأقرب منها أن أصافح كوكبا
وجدتك رسما في التراب مغيبا
وأذريت دمعا عند قبرك صيبا

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا
وأذن فيك الصبر أن لا يعينني
ألقاك عند النيل إن عدت في قنا
ونستنشد الأشعار في كل ليلة
ونحسب أن الله لم يخلق امرءا
ونحصى على الدهر البريء ذنوبه
ألقاك بل هيهات قد حالت المنى
إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا
وساءلت عنك الصاحب أين مزاره

إلينا وقد كان التعجبُ أعجبا
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
كما طوت الأسقام شيئا معدبا؟
ورب فتى في الردى فات أشيبا
على عصويه من عياءٍ ومَن حبا
وفاجأني الناعي فأجفلتُ مُكذبا
ولم يك إلا كاذب الظن مغربا

عجيبٌ لعمرى موتٌ كلُّ محببٍ
حسينٌ عرفتُ الموت فيك غريبة
أمن هو في ذكرى فتى العمر ينطوي
نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى
وسيان في عقبى الطريقين مَنْ مشى
عهدتُ في شرخ الصبي ناضر الصبا
ألا ليتَه لم يعرف الصدق عمره

فما يخطئ الباكي سجاياه مطنبا
وكان أمين السر والجهر طيبا
ولا يذكر الإخوان إلا تحببا
وإن قصّر المسعى بدياه أو نبا
تحرّج منها مُغرضا وتحوبا
ولا صلفٍ منه إذا صدَّ أو صبا

رفاق حسينٍ أبّنوه وأطنبوا
لقد كان ميمون النقيبة صالحا
وكان عفيف القول لا يقرب الأدنى
وكان على كنز القناعة آمنا
إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفس
وكان عزيز النفس في غير جفوة

رثاء وعزاء

وكان سميرًا يملك السمع كلما
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرةً
أليفًا وفيًا لا يفارق صاحبًا
أحبَّ قنًا واستعذب العيش في قنًا
لئن ذكر الوافون عهدَ ولائه
تبسَّط في أسماره وتشعبا
ويؤثر في الآداب من كان معربا
ولا منزلًا إلا انثنى فتقرَّبَا
فلم يُغْرِه عيشٌ وإن كان أعذبا
لما ذكروا إلا الوفيَّ المهدَّبَا

رفاق حسينٍ أسهبوا فيه واذكروا
على كذب منه اجتمعتم فليت لي
كأنني وقد فارقتُه قبل يومه
رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبًا
مكانًا من الجمع القنائي مكثبا
سمعتُ له نعيَيْنِ يَوْمَ تغيَّبَا

إذا ما رثى المحزونُ إلفَ شبابه
وودع من عهديه في العمر قبله
إذا جازها أودى بمختار عيشه
أليف الصبا لا تشكُّ في الموت وحشة
تعاقبت الأجيالُ تحت لوائه
وما الزمنُ المحضورُ إلا بقيةٌ
عليك سلامُ الله حتى يظللنا
رثى قلبه شطرًا من القلب مخصبا
أخفَّ على الرواد زادًا وأرحبا
ولم يبقَ إلا ما اتَّقَى وتهيَّبَا
فما زال ركبُ الموتِ أحفل موكبا
وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
من الزمن الماضي تلاقى لتذهبَا
سلامٌ أظللُ الناسَ شرقًا ومغربا

نعي حافظ

كلُّ خطبٍ دار في خلدي
نعيُّ من قد كنت أحسبه
حافظٌ ينعي إليَّ لقد
ساء ذاك النعيُّ من بدِّل
غير خطب فتَّ في عضدي
بعد يومي باقيًا لغد
غلطت دنياي في العدد
كان من لقياه في بلدي

الشهيد معاوية

(... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية محمد نور، وقد لقي نصيبًا من سقامه وعوجل رحمه الله في ريعان صباه دون الثلاثين، بعد أن بشر العالم العربي بأمل كبير لم تنجزه المقادير.
وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة؛ لتلقى في يوم تأبينه، عَوْضَ الله الأَدَبَ فيه خيرَ العَوَضِ وعَزَى الأدباء أحسنَ العزاء.)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية	فيا لك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه	ولا يوم تكريم ودياه باقيه
فما أقصر الدنيا التي طوّل الضنى	أصائله فيها وأشقى لياليه
وما أضيّع الآمالَ آمالَ من رأوا	مطالعه في مشرق النور عاليه
ومَنْ أيقنوا أَنَّ الهلال الذي بدا	على الأفق أخرى أَنْ يعمّ نواحيه
بكائي عليه من فؤاد مفعج	ومن مقلّة ما شوهدت قطّ باكيه
بكائي على ذاك الشباب الذي ذوى	وأغصانه تختال في الروض ناميه
بكائي على ما أثمرت وهي غضة	وما وعدتنا وهي في الغيب ماضيه
فضائل منها نخبةً أزهرت لنا	لمامًا وأخرى لم تزل فيه خافيه

تبينتُ فيه الخلد يوم رأيته	وما بان لي أن المنية آتية
وما بان لي أنني أطالع سيرة	خواتيمها من بدئها جدُّ دانيه
وأنَّ اسمه الموعود في كل مقولٍ	سيسمعه الناعون من فم ناعيه
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكري	فجيعتنا فيه وما أنت ناسيه
أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفي	عليه شآبيب المدامع داميه
إذا قصّرت أيام من نرتجيهمُ	فيا طولَ حزن النفسِ والنفسُ راجيه
ويا طولَ حزن النفس وهي منيبةٌ	إلى اليأس من عجز بها وهي آبيه
فيا يوم ذكراه سنلقاتك كلُّما	رجعت إلينا والضمائرُ صاغيه
ويا عارفيه لا تضمنوا بذكره	ففي الذكر رجعى من يد الموت ناجيه
أعيروه بالتذكّار ما ضنَّ دهره	به عيشة في مقبل العمر راضيه

وزيدوا النفيس النزر من ثمراته
فإن لم تكن في العدّ كثيرًا فباركوا
عليه سلامٌ لا يزالُ يعيدهُ
بتكرارها في القلب أولى وثانيه
معانيها حبًّا ووفؤا معانيه
ويبديه شادٍ في الديار وشاديه

يوم إبراهيم

عجبي لأحداث الزما
أولى الفجائع باتقا
ما دار في خلدي ولا
لما نعوه حسبته
يا يومَ إبراهيمٍ حسـ
لم أنتظرك ولست أذ
لوددتُ أنك يا أخي
هل في البرية صاحب
ما بعد نعي النفس من
نِ وكم رأيتُ وكم رويتُ!
ئي لم يكن مما اتقيت
فكرت فيه ولا احتميت
في الأرض لم يسبقه ميت
ـبي من لقاءك ما التقيتُ
كر في غدٍ كيف انتهيت
في الناس آخر من رأيت
أُبقي عليه وقد مضيت
حزنٍ يطاق وقد نعت

أخي إبراهيم

أميرُ بلاغة وأمين نقد
وذو قلمٍ كغصن الروض يُهدي
أديبٌ راض أفذاذ المعاني
له لبُّ يترجم كلَّ لب
مليء القلب من ثقةٍ وحبِّ
أراح الحاسدين فإن تحدّوا
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم
ورب رسالةٍ وبشير عهد
جناه أو كحدّ السهم يُردي
على ألفاظها ندًا لند
وينقل عنه ما يُخفي ويبيدي
بريء الصدر من حسدٍ وجقد
له فضلًا أعان على التحدي
بقول أبي علاءٍ «غيرُ مُجدٍ»

وتحسبه استراح إلى سباتٍ ويسبق غاية اليقظ المُجدِّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلمُ مناهل فيضه في كل ورد
إذا عَنَّ المصابُ به فويلُ لفردٍ خصَّه بمصاب عد

* * *

وقالوا المازنيُّ قَضَى فَضَلَّتْ مقاصدُ قولهم أو ضَلَّ رشدي
كأنَّ حديثَ ما زعموا خيالُ بعيدُ في الحقيقة أيَّ بعد
إذا عينٌ غَفَتْ فاعجبْ لأخرى من العينين عالقةٌ بسهد

* * *

صبحنا العمرَ عامًا بعد عامٍ على الحاليين من ضَنكِ ورغد
وبين تَعَهَّدٍ منه ومني وبين تبسُّطٍ منا وجد
وغيَّرتِ الحوادثُ كُلَّ عهدٍ سوى ما بيننا من عهدٍ ودِّ
إذا أخذتِ مذاهبنا وَرَدَّتْ أَمْنًا نحنُ مِنْ أَخْذٍ وَرَدِّ
ونجمدُ في العشية ملتقانا إذا ذهب النهار بكل حمد
وأرحبُ ما تَلَقَّانا اجتماعُ على شملين من أدبٍ ونقد
هي الآفاقُ عاليةٌ ذراها على ما ضاق من غور ونجد
رأينا كل صاعدة فزالت أَيْصَدُعُ ما رأينا شقُّ لحد!

* * *

...
نمينا شعرنا صنوين حينًا فكيف رثاؤه بالشعر وحدي
وجاوزنا السهولَ معًا فماذا ستجدي في الوعود جهودُ فرد
إذا ثَقَلَ الشَّبَابُ ولي زميلُ فيا بؤس المشيب المستبد
حياةٌ إن تَطُلْ فالويل ويلي وإن تقصُرْ فقد أُلْغَتْ قصدي
سلامًا أيها الدنيا سلامًا لأنت أحبُّ لي لو عاش بعدي

عزاء

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقي، فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات):

أخي منذ أعوامٍ تلاًلاً مسكني	وشاع به ضحكُ الرِّضا والتَّيْمُنِ
لقد كان عرسي يومذاك ومولدي	بكونٍ جديدٍ من هوى وتحنن
أخي تلك أعيادي وأعياد زوجتي	وما حلَّ منها العيد إلا ذكرتني
وأرسلتَ لي في كلِّ عيدٍ مهنئاً	وباركتَ لي في جنتي وغبطتني
مضت هذه الأعيادُ من غير رجعةٍ	وهذي مراثي زوجتي اليوم فارثني

فأرسل إليه صاحبُ الديوان هذه الأبياتَ معزياً:

أخي ما عَزَّائِي أن أهون فاجعاً	أراه وإن لم أبله غير هين
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الْحَرْبُ زَلَزَلَتْ	قلوب بني حواء في كل مأمن
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي	أطاشت رءوس الخلق من عاش أو فني
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الْأَرْضُ عَلَّمَتْ	بنيها هوان العيش علم التيقن
قضاءً علينا في الحياة فراقنا	لأحبابنا حيث التقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلها	فجيعتهم فينا ومن يبق يغبن
فلا ترضُ للأحباب غيباً يؤدُّهم	وليس الرضا في الحاليتين بممكن
ألا هانَ عيشٌ لا يزالُ خيارُهُ	لمن يرتجيه شاكياً مُتٌ أو احزَنَ

أخي هذه الدنيا وهذا عزاؤها	قصاراه بعد الجهد تسليم مذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة	فلا صبر فيها لامرئٍ غير مؤمن

نعيٌّ كاذب

لقد كذب النَّاعي وأنعمَ بكذبه	فلا صدق الناعون يوماً ولا همُّوا
فزعت لخطب الموتِ والموتِ واحدٌ	فكيف احتمالي فيكِ موتين يا أمُّ

صادق بعد حين

ولا يتقي يقظةً أو مناما
من ولا اعتصم القلب منه اعتصاما
له بغتةً أو نذيراً ترامي
ت وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
فلم أدكر لك يوماً جماما
م وخادعت ظني عليها دواما
ي وفي غيره ما شكوت الفحاما
أكان المشيب لدمعي فطاما؟
زُ فراقاً فكيف لسبعين عاما؟
لقد هان يومٌ سكنت الرغاما
على مقلية لا تطيق السواما
من الكون بعدك إلا ظلاما
تِ ويا شدَّ ما قد عرفت الرجاما
فأنعم بحيث أقاموا مقاماً
بَ فما الخوفُ بعدك إلا سلاماً

سرى نبأ لا يهابُ الظلاما
يقينٌ وما خلته باليقين
فراقك يا أم لم أحسب
وما رؤضتني له الحادثاً
كأنني أدكرتك لي مولداً
حسبتُ الأمومةَ أختَ الدوا
وأفحمني فيك خطب النع
تعجب قومٌ لشيخ بكى
وأم لما دون عشرِ تع
لئن عظم الموتُ يا أمّتا
وما أرخص النور لما غلا
خلا الكون منك فماذا أرى
فيا هولها من قفار ترك
تلاقي ذوي بطن الثرى
لأجلك كنتُ أخافُ الخطو

آخرُ الخطباء

إنَّ السميعَ اليومَ غيرُ مجيب
في مصر آخر قاتلٍ موهوب
أذنت منابرهم بطول مغيب
من كل ذي لسنٍ وذو أسلوب
سحراً لأسماعٍ لنا وقلوب
إلا لصوت طارقٍ بنعيب
«قَطَعْتُ جَهِيْزَةَ قَوْلٍ كُلِّ حَظِيْبٍ»

أسمعتَ جهدك يا نعيٍّ وهيب
اليوم يصمت من كرامٍ لِدَاتِهِ
اليوم غاب بقيّة من معشر
تلك المنابر ودعت فرسانها
لا نسمع الفصحى على أعوادها
كلا ولا يهتزُّ موقعُ شذوْها
خطبٌ ولكن ما له من خطبةٍ

داءٌ بغير طبيب

جَلَّ في العارفين خطبُ «حسين»
 الطبيب اللبيب يرحمه الله
 ما استبدَّ السقام إلا شَفَاهُ
 كيف يعدو عليه عادي المنايا
 لو يُفدَى منمنية حي
 «كيف أصبحت في محلك بعدي
 يا وفياً ولا وفاء بعهد
 محيي الودِّ للمغيَّب في الدهر
 عالي الرأس لا تصيخ لغاو
 عازفاً عن مطامع العيش كبراً
 «همة» مثلما تسميت تعلو
 كم رجاء زهدت فيه وما كا
 مؤمناً بالآله تعلم أنَّ الط
 ليت شعري من كنت تحنو عليهم
 هل تلاقى روحُ بروح ووافى
 تلك رؤياك كنت تنعم فيها
 كم صحبنا الزمان حلواً ومرّاً
 والتقينا على الجوار كأنني
 تسبق النخبة الأجلاء طبّاً
 وافترقنا يوم افترقنا على مو
 تستعيد السؤال عني ولا تس
 وأناديك سائلاً بعد نأي
 يا طببي مما يكابد جسمي
 إن حزني داءٌ بغير طبيب
 أحسن الله يا حسين اصطباراً
 هل يقر العيون طولُ سهاد

رجل الفضل والنهي والساد
 له لقد كان رحمة للعباد
 باجتهاد من طِبِّه واقتصاد
 وهو يثني من غريبها كلَّ عادي
 حقَّ فيه الفدا على ألف فادي
 يا جديراً مني بحسن افتقاد
 في اقتراب من أهله وابتعاد
 بر وقد مات فيه حيُّ الوداد
 راح يكسو غياً بثوب رشاد
 عن صغار الآمال والأحقاد
 عن منال الأنداد والحساد
 ن زهيداً في شرعة الزهاد
 بب علم ينهى عن الإلحاد
 في الثرى هل حلت منهم بوادي؟
 آخر العمر أول الميلاد
 كنعيم العيان للشهاد
 وخطوب الزمان بالمرصاد
 آمن عند حصنك المرتاد
 وأرى منك أسبق العواد
 عد لقيا فكان يوم المعاد
 أم نصحي يوماً ولا إرشادي
 فيجيب النعاة رجع المنادي
 وطبيبي مما يعاني فؤادي
 ونوى طوحت على غير زاد
 فيك لو يهتدي إلى الصبر هادي
 إن أقرَّ العيون طول رقاد؟

متفرقات

الشاعر الأعمى

وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
على الغيد أم بات الحصى كالجواهر؟
إذا راح يلحاه بصيحة حائر
ليهديه في فتكة بالجازر
وتسفكه فوق البطاح الغوامر
فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
يضيء سناه مظلمات السرائر؟
بدائعها عينٌ ترى كلَّ باهر؟
وما جاد فيها الحظُّ إلا لناظري
سيحجب عني حسن تلك المناظر؟
أمينًا ولا ريب المنون بزائري
فيا لي من مَيِّتٍ شقيٍّ الخواطرِ
ويلحظه قلبي بحسرة ساهر
أراه ولم يُغمِ الترابُ بصائري؟
لدى الشمس لألاء الوجوه النواضرِ

شكا الشاعر الباكي عمى قد أصابه
ينوح بعينٍ لم يدع عندها البلى
وتلحظُ عينُ الشمس شزراً جبينه
ويسألهم هل أومض البرقُ في الدجى
وهل يلمعُ الدر المنضدُ والحلى
تكادُ تشقُّ الأفقَ زفرةً صدره
تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى
وترميه في بئر عميقٍ قرارها
وتسلبني نوراً أراك بوحيه
وأرجعه معنى على الطرس مشرقاً
لمن تجمّل الأكوانُ إن كان لا يرى
فما كانت الدنيا سوى حسن منظرٍ
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنه
فها أنا لا جهد الحياة بهاجري
جمعتُ شقاء العيش في ظلمة الردى
أرى الصبح وهاجاً بمقلة نائم
ومن لي إلى هذا الوجود بلمحةٍ
فيا قلب أنفق من ضيائك واحتسب

تنازع الفردوس

يتحاسدون على الهباء فما لهم
نقموا على الكفار أن تركوا لهم
لو كان ما وعدوا من الجنات في
هذي الحياة لسرهم من يكفر
لا يحسدون البرّ فيما يؤجر
أجر السماء وأنكروا ما أنكروا

المصور

... ..
في طي ريشته وضمن بنانه
بيننا يداس على الثرى حتى يرى
أولى القرائح بالدوام قريحة
معبودة فيما تحل كأنها
روح بها يحيا الجمد فيخلد
رباً تخر له الجباه وتسجد
تجري على الصخر الأزل فتجمد
ظل الإله على الخلائق يعبد

إيه يا دهر

إيه يا دهر هات ما شئت وانظر
ما تعسفت في بلائك إلا
عزمات الرجال كيف تكون
هان بالصبر منه ما لا يهون

رحلة إلى الخزان

... ..
قلت وهل يفهم عن لساني
فاذهب إلى وردك في أمان
ما بيننا يا ذئب من أضغان
لا يحرم الماء على عطشان

فَمَرَّ يَعدو كاشِرَ الأسنان
 حتّى وردنا أول البنيان
 مَوَّارٍ ماءٍ ثائرٍ الدخان
 مصطفةً في حلبة الدهان
 فبات أدنى الهمس كالأذان
 وشرد النوم عن الجنان
 وتحسب الماء من النيران
 طرائقاً في الأرض ذا ألوان
 مندفعاً منحسراً في آن
 ملتئماً منشعب الثغبان
 مجذذ الرغو على الصُمان
 شعواء تغري القوم بالطعان
 وتجعل الراضي كالغضبان
 قامت عليها أعينُ الشهبان
 وكم لهذا الماء من معاني
 وفي اختلاف الشكل والجثمان
 فصاعدٌ في الجو كالعقبان
 وغائصٌ في الأرض كالشيطان
 وطائرُ البخارِ في الأعنان
 وفيه من أمنٍ ومن عدوان
 وهُوَ الوباءُ الجارفُ الطوفان
 وهُوَ الموت لدى الغرقان
 فما صغا الليلُ لصوتِ ثان
 إلا إلى هاتيكُم الألحان
 تُمت أدلجنا إلى أسوان
 فيها لها وما عدوت شاني

وهو ينادينا ولا يداني
 على دوي هائلٍ مرنان
 كالنقع قد ثار على الفرسان
 قد غلب الصوتُ على الأذان
 مستويين ليس يُسمعان
 فرددت صداه في الرعان
 مندلعاً يقذف بالصوّان
 كالليث أحياناً وكالثعبان
 مرتفعاً منحدرًا سيان
 يبيضُ كالمحض من الألبان
 قد شنّها في تَلْكُمُ القيعان
 وتحفز الخيل إلى الميدان
 وتبعث النخوة في الجبان
 وأرؤُسُ الجبال تشهدان
 في قوة البطش وفي الليان
 كأنه يلبس ثوبَ الجان
 وساربٌ في مزحف الديدان
 وللاعبُ الأمواج كالحملان
 كالنَّفَسِ الخافي عن العيان
 فهو قوام الزرع والأبدان
 وهُوَ هُوَ الدنيا لدى الظمآن
 شارفته والليل شطرتان
 ولا أَمال مسمع الأمان
 كأنها تجاوبُ الغيلان
 وفي طريق الصبح غلوتان
 من رحلة طيفية الأوان

تَنَقِضِي كُلَّهَا وَلَا أَتَمَنَّى	أَتَمَنَّى يَوْمًا لَوْ أَنَّ حَيَاتِي
لَوْ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَنْ أَتَمَنَّى	أَتَمَنَّى وَقَدْ أَطَلْتُ التَّمَنِي
بَاطِلُ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ أَتَمَنَّى	أَتَمَنَّى لَوْ عَلِمْتَنِي اللَّيَالِي
مَا تَمْلِكْتَهُ وَمَا أَتَمَنَّى	مَنِيَّةً لَوْ تَحَقَّقْتَ لِتَسَاوَى

القمة الباردة

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتّر عندها الحياة، فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم يَرَ شيئاً ولم يشعر بشيء؛ لأن حقيقة كل شيء أنها نرات ترجع إلى كل حركة متشابهة في كل ذرة، فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كُلَّ النظر ولا يعرض عن الظواهر كُلَّ الإعراض؛ لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدرّكها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فَقَد ارتفع من المعرفة إلى قمته الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.)

فإياك والقمة الباردة	إذا ما ارتقيت رفيع الذرى
ولا الأرض ناقصة زائدة	هنالك لا الشمس دَوَاوِرُ
مجدة الخلق أو بائدة	ولا الحادثات وأطوارها
أناس وتبصرها جامدة	قوالب يلتدُّ تقليبها
وألوانها أبداً واحدة	ويعجب قومٌ بترقيشها
وأساس جدرانها قاعدة	وتعلو وتهبط جدرانها
من الكون بالنظرة الخالدة	ويا بؤس فإن يرى ما بدا
وحيٌّ له جثة هامة	فذلك رب بلا قدرة
فلا خير فيها ولا فائدة	إلى الغورِ أما تُلَوِّجُ الذرى

على أطلال بعلبك

أيا «بعل» هذا قادمٌ لك مقدم
دعوتَ وحوليكَ الأسنةُ شرَّعُ
أتاكَ من الوادي الذي في ضفافه
وأقوى كما أقوتَ ذراك على المدى
يحييك عن «آمون» في مستقره
فما بعل إلا اسم لآمون تلتقي

وفي لمن يزري به الدهر مكرمٌ
فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دمٌ
تسامى «لآمون» البناء المدعمُ
وأقصر عنه العابدون وأحجموا
وأنت المحيي باسمه والمسلم
له صورٌ شتى ولفظٌ مقسمٌ

* * *

ويا دار بعل وهي لا بعل عندها
ويا جارة الماضين والدهر جائرٌ
عزاء إذا أدبرت والعيش مقبلٌ
ولم يدفع الأرباب عنك ولا الألى
وما حيلة الأرباب فيك وإنها

ويا حصن بعل وهي لا شيء تعصمُ
ويا مشرق الآمال والليل مظلم
وروضك مطلول الأزاهير يبسم
أنابوا إليهم بالدعاء ويمموا
لتبني كما تبني الصروح وتهدم؟!

* * *

«جبيتير» جبار الصواعق ساهرٌ
وللزهرة الغراء عندك قبلةٌ
وفيك مُصلَّى للمسيح ومطهرٌ
شفاعات أربابٍ لديك كثيرةٌ
فمن ذا يرجي العفو أو يأمن الحمى

عليك وسلطان العقار مخيم
يطلُّ عليها مسجدٌ متجهم
وفيك منارٌ للنبي ومعلم
وركنك مصدوع العماد محطَّمٌ!
إذا ما طغى صرفٌ من الدهر مبرم؟

* * *

عزاء إلى اليوم الذي فيه يستوي
وصبراً إذا ما شئت صبراً على البلى
ستحفظك الذكرى ملياً وتنطوي

أخيراً على حكم الردى ومقدمٌ
وإن لا تشائي فالقضاء محتمٌ
فلا ذاكرٌ يوماً ولا مُترسَمٌ

إلى غندي يوم إفطاره

ولشأنئيك الخسر والخذلان	غندي لك النصر المبين على المدى
وهو السجين الجائع العريان	لم ألقَ قبلكَ من يحرر قومه
أخنى عليها الجوع والحرمان	بالجوع والحرمان تصلحُ أمة
بعض السقام من السقام ضمان	خذ من قرارة دائهم لدوائهم
بَقَرُ السَّوَامِ وَيُلْعَنُ الْإِنْسَانُ	ومن العجائبُ أن يُقَدَّسَ بينهم
بعض الجزاء ومن أهان يهان	عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم
فكذلك تغفر ذنبها الأوطان	فاشفع لنقص القوم عند كمالهم

الظن

وإن لم تخفه أكرموك عن الظن	إذا خُفَّتْ ظَنُّ النَّاسِ ظَنُّوا وَأَكْثَرُوا
فدعهم بلا عينٍ تراك ولا أذن	فإن شئتُ هبهم ألف عينٍ وإن تشأ

القلم المسروق

وناله ما نالني من قسم	زاملني في السجنِ ذاك القلم
ما رامه الناس وما لم يُرَمَ	ومس من فكري وأسراره
ريشَتِه ثم انطوى فانحَسَمَ	فَرُبُّ مَعْنَى مَا وَعَاهُ سَوَى
فيما جرى من أدبٍ أو حكم	وكم له من حصيةٍ تُرْتَضَى
وكم له من لفحةٍ كالصَّبَا	وكم له من نفحةٍ كالصَّبَا
وكم له من ثمرٍ مُلْتَهَمٍ	وكم له من زهرٍ مُجْتَنَى
أو نقمةٍ مرَّتْ بأرض الهرم	سَجَلٌ مَا سَجَّلَ مِنْ رَحْمَةٍ

* * *

وَرُبُّ مَسْكِينٍ قَضَى حَقَّهُ
أَعَزَّتْهُ عَنْ حَلِيَّةٍ تُقَتِّلُنِي
وَلِي أَخٌ يَذْكُرُنِي بِالنَّعْمِ
فَلَمْ أَجِدْ أَنْفَسَ مِنْهُ لِمَنْ
قَدْ صَانَ مَا أَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ
يُظَلُّ يَسْتَوْحِيهِ فِي كُلِّ مَا
وَعَاشِمٌ أَحْصَى عَلَيْهِ اللَّمَمَ
وَصَنَّتُهُ عَنْ غَالِيَاتِ الْقِيَمِ
فَقُلْتُ أَجْزِي بَعْضُ تِلْكَ النَّعْمِ
مَحْضُنِي قَلْبًا نَفِيسَ الشِّيمِ
فَغَيْرَ بَدْعٍ أَنْ يَصُونَ الْقَلَمَ
أَوْحَى وَيُرْعَاهُ كَرْعِي الذَّمَمِ

* * *

رِعَاهُ فِي أَمْنٍ إِلَى أَنْ قَضَى
فَعَالَهُ مِنْهُ لَصُوصٌ لَهُمْ
فِي يَوْمٍ حَشِرٍ حَافِلِ الْمَزْدَحَمِ
قَدْ نَامَ لِمَحَّةٍ فِي الضُّحَى
عَلَيْهِ بِالْفَقْدِ قَضَاءُ حَتَمِ
مِنْ كُلِّ عَيْنٍ فُرْصَةٌ تُغْتَنَمِ
ضَلَلْتُ بِهِ الْعَيْنُ مَكَانَ الْقَدَمِ
فَبَاتَ فِي لَيْلَتِهِ لَمْ يَنْمِ

* * *

أَمَّا وَقَدْ فَارَقْتَنَا يَا قَلَمَ
فَخَيْرٌ مَا أَرْجُوهُ أَنْ لَا تُرَى
وَلَا تَخْطُ الْجَهْلَ فِي صَفْحَةٍ
وَلَا تَكُنْ يَا قَلَمِي آلَةً
فَتَنْظُمَ الْحِكْمَةَ لِي مِنْ هُنَا
بَدَأَتْ فِي الْأَوْجِ فَلَا تَنْحَدِرْ
وَصَالِحَ الْيَأْسِ عَلَيْكَ الْأَلَمِ
فِي كَفٍّ خَوَانٍ وَلَا مُتَّهَمِ
«أَبْيَضُ» مَا فِيهَا سَوَادُ الْحَمَمِ
تَشْتُمُنِي بِاللُّغُو فَيَمْنُ شَتَمِ
وَمِنْ هُنَا تَنْحِي عَلَى مَنْ نَظَمَ
إِلَى حَضِيضِ الذَّلِّ فِي الْمُخْتَمِ

بَيْنَ التَّعَبِ وَالرَّاحَةِ

قال المعري:

تَعَبْتُ كُلَّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعُ
جَبْتُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي الزُّدْيَا

ويقول صاحب الديوان:

راحةٌ كُلُّها الحياةُ فما أَعـ
ما ابتغاءُ المزيدِ مِنْ يومِ أَمِنِ
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيادِ
عاطِلٍ لا يَزادُ بالتعدادِ
واحدٍ واطَّرادُ حالٍ معادِ
فالزَّمانُ المريحُ تَكَرَّراً شَيءٌ

هذا هو التاريخ

من جانبِ القبرِ لسانُ بدا
هذا هو التاريخ لو أنني
يكذبُ ما شاء ولا يستحي
صورته يوماً على المسرحِ

رأي الناس

من عَوْدِ الناسِ خيراً طالَبوه به
ومن تعقَّبَهم شَرًّا فأَمهلهم
كَأَنَّهُ الدَّيْنُ يَلوِي بالمعاذيرِ
يوماً تقبل منهم أَجرَ مشكورِ
لا رأيَ للناسِ في نفعٍ ولا ضررِ
وما لهم قط من حكمٍ وتقديرِ

سيان

إِنْ قِيلَ بِالْحَقِّ أَوْ الْبَهْتانِ
دَعَهُم يَقُولُونَ وَقِلَ سِيانِ
سِيانٍ مَهْمَا افْتَرَقَ الضَّدانِ
سِيانٍ مَهْمَا اخْتَلَفَ الْخَصْمانِ
سِيانِ أَلْفٌ هِيَ أَوْ أَلْفانِ
سِيانِ بَيْدٌ هِيَ أَوْ مِغْنايِ

سيان نور أو ظلام فاني
سيان من يلهو ومن يعاني
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان

خداع النفس

يقول وما قضى عجبًا
أخذع نفسه رجلٌ
أجل يا صاح عينان
وهل أخذع للإنسا
فتى يخطب في حديثه
له عينان في رأسه؟
وزد ما شئت من حسه
ن بين الناس من نفسه؟
وقاك الله من دسه
خداع النفس معهودٌ

الأستاذ طاهر

أخي الأستاذ طاهر:

قل لي بحقك كم بلغت سنينا
إني أراك كما عهدتك بادئًا
قد كنت بين الناشئين محنًا
واليوم تقتحم الكهولة سابقًا
أنا فتى بين الشيوخ وأنه
خذ هذه أرقامنا من واحد
عشرًا إلى عشرين أو خمسين أو
إن قلت عشرًا صدقوك وإن تقل
خمسين أو ستين أو سبعينا؟
شوط الشباب تناهز العشرينا
حسن الأناة مع الخطوب رصينا
خطو الشبيبة لا تطيق سكونا
شيخًا مع الفتيان مستبقينا
ضع بعدها الثغر العزيز يمينا
ستين صاعدةً إلى التسعينا
تسعين قلنا عشتها عربونا

* * *

ومهنًا بالصالحات قمينا	أفتى طنّاح لا برحت مهنًا
مرّت بمدرجة الزمان قرونا	إن السنين وقد صدقت لعلها
ساعات حلم ما اغتمضن جفونا	وإذا حسبت صفاءها فلعلها
أني أبيت لها الفراغ قرينا	حسبي وقد فرغت يدي من زادا
عهد ظلومًا أو تسرّ خئونا	ورضاي عنها أنّها لم تُرّض في
أبدًا بأوهام المنى مفتونا	ومناي منها أن أعيش ولا أرى
ودعتها أسفًا ولا محزونا	ومداي فيها أن أودّعها وما
فاللهُ أحمدُ لستُ بعدُ غبينا	ما دام فيها حامدون كطاهر

الفن الحي

أو الحياة الفنية

من معاني النفوس ما كان بكرة	خذ من الجسم كل معنى وجسم
نحتليه ويبدع الجسم فكرًا	حبذا العيش يبدع الفكر جسمًا
ويرى للحياة فنًا وشعرا	ويرى الفن كالحياة حياة
واهتدى من حوى الحياتين طرا	ضلّ من يفضل الحياتين جهلاً

الحانُ والمسجدُ

وأرتاد فيك اللهو بعد التعبّد	تريدين أن أَرْضَى بِكَ اليوم للهوى
لقيتك جمّ الخوف جمّ التردد	وألقاك جسمًا مستباحًا وطالما
بلذة جثمان ولا طيب مشهد	رويدكِ إني لا أراك مليئة
تردّ مهاد الصفو غير ممهد	جمالكِ سمّ في الضلوع وعثرة
ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي	إذا لم يكن بدّ من الحان والطلّى

أحلاهما مر

لم أَسْخُ أَشْهَى مَذاقِكِ فما
خَلَّ يا دهرُ لغيري مزجها
مزجك الكأس بطعم العلقم؟
إِنَّ أَحْلاكِ لَمَرٌّ في فمي

فوق الحب

صاحبي مَنْ سروره وسروري
وصديقي من استجدَّ سرورًا
وحبيبي من قلبه كيفما كا
فالذي يرتضي العذابَ لأرضى
ذاك فوقَ الحبيبِ إن كان فوقَ الحـ
ذاك فيه من صبغة الله سرُّ
في صفاء الزمان يلتقيان
من سروري وإن تناءى مكاني
نَ وقلبي في الشجو يستويان
كيف أدعوه وما اسمه في البيان؟
بَّ شيء يُرجى من الإنسان
جل عن صبغة الوجود الفاني

النور

طهرت بماء سمائها أممٌ
والروح أولي بالطهور لها
فيض يشف فما به كدرٌ
وبه تطهر روحها الهند
نورٌ يخفُّ بها ويمتد
ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب

وقالوا خئون قلت مهلاً فإنما
لقد سلبتنيه الخيانة راغماً
وإني لأبكي كُلَّ مَنْ كان قبلها
بكائي عليه وافياً لعجيب
وإنَّ جديرًا أن ينوح سليب
يفي لي على زعم الهوى ويطيب

حب الدنيا

معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبته؟! أو هي دمية والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟
الجواب في القصيدة التالية: أن لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —
تستطيع أن تحب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس.)

قالوا الدنيا الحسناء سها	عنها ربُّ لا يقبلها
بل قالوا يحجبها عنا	أو ينهاها أو يعقلها
ونرى الشيطان يزينها	ونرى الشيطان يدلُّها
يا قوم ألا عينٌ نظرت	هذي الشوواء تمثّلها؟
ما يقدر إلا رب الكو	ن يحببها ويجملها
لولا قتلنا أنفسنا	أو لم نعذل من يقتلها
أفهدي دنيا نعشقها	لولا رضوانٌ يكفلها؟
من شك فهدي قدرته	فليعرفها من يجهلها!

المذكّر المنسي

لم يبقَ من دنياك ما يعنيني إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجهٌ — إذا ما مرَّ — ينسيني لا بل يذكّرني إلى حين
أنّي — كما قيل — ابنُ سبعين!

خبر الربيع

يأيها الورق المخضرُّ في شجرٍ
من أين أقبلت بل من أين أقبل في
إنا سألناه لو عاد السؤال إلى
سلنا بِحَقِّكَ من أين استجدَّ لنا
كلاهما طارقُ طاف الربيع به
سله فإن لم يُجبْ فانعم بمقدمه
إذا أجاب بأزهارٍ مفتحةٍ

عهدي وما فيه من ذي خضرةٍ أثر
عيدانك العوج ذاك العطر والزهر
فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
هذا السرور الذي في القلب ينتشر
على براقٍ من الأنوار ينحدر
وافرح به وانتظره حين يُنتظرُ
وبالسرور فحسبي ذلك الخبر

الطريق في الصباح

بدأت دَوْلَةَ الطريق وانتتهت دَوْلَةُ البيوت
ضاق بالكوكب المفيق عالم الليل والسكوت

* * *

حيثُ يَممت مسرع يتلقاه مسرعون
ما لهم أين أزمعوا ويحهم ممَّ يهربون؟
كلما غاب مجفل طلع اثنان في هجوم
ذاك ركبٌ مضلل حائرٌ حيثما يحوم

* * *

حائرٌ حيرة الألى سُجِرُوا ثم أطلقوا
وضح الصبحُ وانجلي فهو بالسحر أخلق

* * *

لا أرى فرد ساحر فيك يا صبح بل ألوف
كم أسيرٍ وآسر والرُّقى بينهم صنوف

* * *

ذلك الطفل ما عناه جدول الضرب في كتاب
ذلك الشيخ ما مناه لقمةٌ كلها عذاب

* * *

والفتى أين قبله نحوها يرسل العنان؟
غاية الأمر قبله بعدها يمسح الدهان!
خذهم أيها الطريق في غداةٍ من الصباح
لا تضلنَّ بالرفيق إن دنت ساعة الرواح
إن دنت ساعة السبات ويك لا تخطئ الوكور
كم وكور مناظرات للبيوت اسمها القبور

ماذا استفدت؟

بَرِئْتُ مِنْ غِشِّ نَفْسِي ولا أقولُ انتبهت
قد كنت ساهر عَيْنٍ مستيقظًا ما غفوت

* * *

بَرِئْتُ مِنْ غِشِّ نَفْسِي وليتني ما بَرِئْتُ
ما العمر محض نهارٍ في العمر للغمض وقت

* * *

ها أنتِ يا عَيْنُ يَقْطِي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمري وما عساني استفدت؟!

قلت للمريخ

قلتُ للمريخِ أعذله وهو يذكي جمره الغضب
ويك ما هذا الخراب وما ذلك الإغراق في العطب؟
أممٌ تسطو على أمم ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على عيلمٍ للدمع منسكب
وقبور كظُّها تَحَمَّا جثثُ الهلكى من السَّغب

* * *

قال مَهْ يا صاح أين ترى كل ما استهولت وا عجي
أرضكم ما زلت أبصرها نائياً حيناً وعن كثب
هَيْنُ ما قد تبدَّل من سمتها في هذه الحقب

لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا لو اسطعت سماعي قد نزلنا منك في غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا أو دعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا ألم أكرمكم كلنا في الحق مدعو وداع؟
حبَّذا الخانُ فلا ضيف هنا إنما يُجزى متاعاً بمتاع

تكاليفُ العظمة

كُنْ عَظِيماً ولا تلومنَّ إلا همَّةً كلفتك همًّا جسيما
كُلُّ راج يلقي عليك مناه فإذا خاب كنت أنت الملوما
تنصفُ الأمَّةَ الضعيفَ ولا تنص فُ يوماً عَظِيمَها المظلوما

النعيم والشقاء

ما العيش قل لي فأنت مختبرٌ هموم هذي الدنيا ونعماها

* * *

من ذاقها أو أصاب عدواها	العيش بأساء ليس يجهلها
من نال منها أو من تعدّاها	ونعمة لا يزال يُحرّمها
إن أقبلت جاهلين معناها	نشتاقها إن نأت ونبخسها
في بعض سكر الحياة نُعطاهَا	كأنها درة مسومة
آبٍ عليه سرور لقيهاها	يمنحها حاسدٌ لآخذها
أدراه ما قدرها لينعاهَا	حتى إذا رَدّها وأحرزها
دع عنك ما شرّها وبلواها	هذا سرور الدنيا ولذتها
إن شئت أو من صميم بؤساها	فاحسبه من خيرها ونعمتها

الصنم الهاوي

أين ألقت به الحُطَمُ	خَبَّرُونِي عَنِ الصَّنَمِ
للهوى فيه والشيم	خَبَّرُونِي بِمَصْرِعِ
د والحب والعظم	كيف باع العباد والخل
بضئيلٍ من القِسَمِ	والسموات كلها

* * *

ذلك الأروغ الأشم	خَبَّرُونِي عَنِ الصَّنَمِ
قصرته دونه الهمم	ذلك الشاهق الذي
في حمى الصمت ما ابتسم	ذلك العابس الذي
عزّة منه لم ترم	كَيْفَ قيدت لرائم
من أعاليه في القمم	كَيْفَ زلت عروشه

كَيْفَ أَمْسَى ورأسه	في الثرى موضع القدم
ما دهاه فما اتقى	من حذارٍ ولا وجم
فتهاوى بلا ونى	وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى	علمًا دونه علم
واستوى غيرَ نادِم	في حضيض من الرجم
خَبَّرُونِي وأجملوا	رُبَّ عذرٍ لِمُتَّهِم
حكمة تلك في الحكم	أَمْ قضاءً من القِدم؟
أَمْ إله أصابه	حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا	مثلها قط في الأمم
ضربةٌ تلك من إلا	ه فما عنه معتصم
هل سوى حكمةٍ يضـ	ل صوابًا إذا حكم؟

خَبَّرُونِي واسمعوا	أنا والله في صمم
أنا في غمرة الأسى	ظلمة فوقها ظلم
حيرةٌ تشدهُ العقو	لَ بمسٍّ من اللمم
إِنَّ وَيلي بسرُّها	فوق وَيلي على الصنم

حَدِّثُونِي عَنِ الصَّنَمِ	بدأ الويل أم ختم؟
زعم القلب أنها	لوعةٌ بعدها سأم
بَلِيّ القيد فانفصم	وهوى ذلك الحرم
لا قرابينَ تُهتدى	في المحاريب أو زمم
لا صلاةٌ ولا صيا	مٌ ولا فتنةٌ عمم
فليجد منه راحةٌ	عابدٌ طالما التزم
وليُثْبُ منه راضيًا	خادمٌ طالما خدم
جهل القلب نفسه	كذب القلب ما زعم
ليته عاد في القمم	ظالمًا كيفما ظلم

غانمًا كلَّ ما ارتضى	من ضحايا ومن نعم
آخذًا من دمائننا	ولنا بعدُ ما اغتنم
إنما الحب منعٌ	وهبَ الحبُّ أو حرم
ليته لم يكن هوى	ليته عاد في القمم
ليته في الحضيض لم	يُشفَ من ذلك النهم

* * *

ألّمي ما ابتغيت من	ناضب النفس مصطلم
دائبًا في المزيد لم	تسهُ عنه ولم تنم
حسبك اليأس والضنى	وجوى الليل يا ألم
فرغ المآتم الذي	بتَّ تحيي له الضرم
فدع النار ينطفئ	من لظى النار ما احتدم
أيعود الإله أَلـ	قى به الذل في العدم
ويك هيهات لا معا	د فطوبى لمن وهم
بدأ الليل وانتهى	وصحا حالٌ حلم

ولماذا القرد؟

أرى السخف في الإنسان طبعًا مؤصلاً	شواهده في كل بادرة تبدو
ولو لم يكن في طبعه ومزاجه	طوية سخفٍ لا يلازمها حدُّ
لما خصَّ من كل الخلائق سخره	بأشبههم طرًّا به وهو القرد!

نعمة من نقمة

جلا معرض الحب أصنافه	نماذج من كل صنف عجابٍ
فحبُّ يلاصق هذا الثرى	وحبُّ يحلق فوق السحابِ
وحب يعيش مدى ساعةٍ	وحبُّ من الخلد رحب الجنابِ

* * *

وفوّضتُ أمري على غِرّةٍ لكوبيد يختار لي ما يرى
فعلّقني منه ذاك الخبيـ ث بحبٍّ تعمّق تحت الثّرى
وقال إليك قرين الربـ ع في القاع يزهر ما أزهر

* * *

عجبت أنا الصاعد المرتقي وساءلت ربّي في قسمتي
فقال انتظر ريثما ينقضي هواك أنبئك عن حكمتي
فلما تقضى وزال الخفاء سألت القضاء فلم يصمتِ

* * *

لقد كنت تجهل هذا الثّرى وكنت تطير ولا فضل لك
فها قد عرفتَ وها قد علو تَ بوقر الرغام الذي أثقلك
أترضى فقلت نعم قد رضى تَ لك الحمد ربّي ما أعدلك

* * *

لك الحمد ربّي إنّي افتتح تَ سمائي بالحبِّ شبراً فشبراً
وشتان فاتحها مغمضاً وفاتها مبصر العين حُرّاً
ملكتُ الوهادَ ملكتُ النّجاء كَمَا تُمَلِّكَانِ فَحَمْدًا وَشُكْرًا

مقدمات ما تقدم

فيما يلي مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها:

... ..

... الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات: عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك، ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت، والوقت أيها القارئ أصناف؛ فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السموات، ومنه ما يطرحه للأبقار والحشرات! فإذا قلنا لك: أحبب الشعر فكأننا نقول لك: عش. وإذا قلنا: إن أمة أخذت تطرب للشعر. فكأننا نقول: إنها أخذت تطرب للحياة ...

الجزء الأول

أحسن فيكتور هوجو في كتابه «وليام شكسبير»؛ حيث قال: «ينادي كثير من الناس في أيامنا هذه — لا سيما المضاربون وفقهاء القانون — بأن الشعر قد أدبر زمانه، فما أغرب هذا القول! الشعر أدبر زمانه؟! لكأن هؤلاء القوم يقولون: إن الورد لن ينبت بعد، وإن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه، وإن الشمس كفت عن الشروق ...! وإنك تجول في مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائفة، وإن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم، والبلبل لا يغرد،

والأسد لا يزمجر والنسر لا يحوم في الفضاء، وإن قلل الألب والبرانس قد اندكت، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والإيفاع الحسان ...!
لكنهم يقولون: إنه لا أحد اليوم يبكي على قبر، ولا أم تحب وليدها، وإن أنوار السماء قد خمدت، وقلب الإنسان قد مات!

والحق أنه لا فرق بين القولين؛ إذ الشعر لا يفنى إلا إذا فنيت بواعثه، وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوارج النفس وأمانيتها، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان، وليس من العجب أن يولد في الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهي مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها، كأنهم سيمرون بها ألف مرة، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة ...

الجزء الثاني

... وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد، وعدها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!
ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم؛ مجارةً للأقدمين، واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد، أو جرياً على رأي الآخرين؛ إذ هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل. فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد، لا يدركون لماذا يستحسنون، ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضّرّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود! فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب؛ وهو التعبير الجميل عن الشعور الصادق، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر؛

وإن كان مديحًا، أو هجاءً، أو وصفًا للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر؛ وإن كان قصةً، أو وصفَ طبيعةٍ، أو مخترعًا حديثًا ...

وحي الأربعين

... ..

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلبل وأشباهاها على قلة ما تُسمع في هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء؛ لأنهم يلقبون المغني بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون ...

هدية الكروان

... ..

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر، أو كالمعدم الذي يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهو خير معاون للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور، فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريسًا سعيدًا، لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التي نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد
وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق، ولنتوجه
بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ
المحاسن المشهورة والمناظر الماثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا
تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز، وإن
أجمل وجه ليمر بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم
العجوز التي نراها صباح مساء.

عابر سبيل

... ..

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق في اللغة العربية أبو
العلاء وابن الرومي والشريف.
ومنهم في اللغات الأوروبية ليوباردي، وهنريك هيني، وتوماس هاردي،
وهذا فريدٌ عندنا في هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين.
رجعت إليه وأنا أفكر في طبع ديواني الجديد واختيار الاسم الذي يناسبه،
فقرأت له الأبيات التي يقول فيها:

أنظرُ إلى المرأة، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض، فأتوجه إلى الله
مبتهلًا إليه: أسألك يا رب إلا ما جعلت لي قلبًا يذبل مثل هذا الذبول.
إنني إذن لأحس برد القلوب من حولي فلم آلم ولا أحزن، وإنني إذن
لأظل في ارتقاب راحتي السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور.
غير أن الزمن الذي يأبى لي إلا الأسى قد شاء أن يختلس، فلا يختلس
كل شيء، ويترك فلا يترك كل شيء، ولا يزال يرجف هذه البنية
الهزيلة في مسائلها بأقوى ما في الظهيرة من خلجة واضطراب.

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لي الاسم الذي اخترته لهذا الديوان؛
وهو «أعاصير مغرب»، وإن لم يرد في الأبيات ذكرٌ للأعاصير.

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذي احتواه هذا الديوان ...
بأعاصيره، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزت كيان «الشيخ» هاردي فتمنى
من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه.

أعاصير مغرب

... ..

نحن في زمن المراجعة والتقويم.

نراجع كل شيء، ونعيد تقويم كل شيء وننقد ونعيد النظر في مقاييس
النقد نفسه، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذي تجري به المعاملات بين الناس
في البيع والشراء والأخذ والعطاء، أو مقاييس النقد الذي يتواضع الناس عليه
في فهم المعاني والأفكار، وتمحيص الأخلاق والأدواق.

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة.

وروجعت، أو ينبغي أن تُراجع قيمة النقد الذي يتداوله الناس عند تقويم
المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحف الفنية، فلا
محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته في عالم الأدب والفن، وقبل
الاعتماد عليه في تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان.

وأول ما يُنقَدُ به النقد في كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو
لوجه الفن وحده، فما من نقد قط يخلص من هوى في نفس الناقد، يهواه
باختياره أو على غير اختياره، ولا بدُّ مع النقد من شائبة مزغولة نعلها قبل
أن تنفذ إلى قيمة المعدن في صميمه، فالنقد الذي في الصميم هو القيمة التي
تدل على المنقود وتعطيه حقه في الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزرارية.

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هوى
البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التي يجهلها صاحبها في
كثير من الأحيان، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها
من وساوس النفوس.

وليس فيما نوميء إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد، فقديمًا عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر؛ لأنه من جنس المعجبين به، أو من أبناء نحلته في الدين، أو شيعتهم في السياسة.

ولكنَّ الجديد في هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررّة في دعوة مدبرة، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل، ويصدرون عنها في تقرّيزهم ونقدهم، وفي ثنائهم وتشهيرهم، ويتخذونها سبيلًا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية، بمعزل عن الفن والأدب، وعلى علم بالتلفيق والعوج في القياس، إذا لزم التلفيق أو العوج في خدمة الغرض الأصيل؛ لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير.

وفي عصرنا هذا ينبغي أن نلتفت إلى شوائب النقد التي عرفها الأقدمون، وإلى الشوائب التي لم يعرفوها قط، أو عرفوها في حيز محصور لا يُلْتَفَت إليه. ولقد عرف الأقدمون في الأدب العربي صنوفًا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب؛ تارة لأنه على مذهبه في التشيع، وتارة لأنه على هواه في مؤازرة الدولة القائمة من بني أمية أو من بني العباس، ولوحظ — مثلًا — إهمال كتاب الأغاني للشاعر «ابن الرومي».

أما الجديد الذي لم يعهده الأقدمون كما عهدناه في عصرنا هذا فهو — فيما نعتقد — أمران:

أحدهما — كما أسلفنا: ظهور خطة مقررّة يدعمها أصحابها برأي أساسي في مذهبهم، يقضي باستخدام «النقد الأدبي»؛ لترويج المذهب ومحاربة خصومه.

والآخر: ظهور المقلدين في حركة التجديد، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التي لا تميز بين حقائق الأسباب.

والذين يستخدمون «النقد الأدبي» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التي لا يختلطون فيها بغيرهم، فهم جميعًا من «غير الأدباء» ... وهم جميعًا لا ينتجون أدبًا ولا يقرءون أدبًا لأنه أدب، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر؛ لخدمة الأغراض التي تعنيهم باسم النقد

الأدبي، وما هو من النقد الأدبي في شيء، إن هو إلا العداوة التي تصدر عن الكراهية والاتهام، ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية. ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين في الدعوة إلى الجديد؛ فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد في الأدب، ولا يعرفون لماذا يقرضون ولماذا ينتقدون. بعد الأعاصير